المُنتَقَى

من أمثال العرب وقصصهم

سليمان بن صالح الخراشي

دار القاسم

المنتقى

من أمثال العرب وقَصَصهم

سليمان بن صالح الخراشي

دار القاسم
الرياض ١١٤٤٢ ص . ب ٦٣٧٧٣
ت/ ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس/ ٤٠٣٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ دار القاسم للنشر والتوزيع،١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخراشي، سليمان بن صالح

المنتقى من أمثال العرب وقصصهم/ سليمان بن صالح الخراشي.

الرياض، ١٤٢٨هـ

٢٠٥ ص ؛ ... سم

ردمك: ٩٩٦٠ - ٥٣ - ١٦٦ -

١ـ الأمثال العربية ٢ـ القصص العربية أـ العنوان

ديوي ٨١٨،٠٢ ١٤٢٨/٨٤٨هـ

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٨٤٨

ردمك: ٩٩٦٠ - ٥٣ - ١٦٦ -

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

حقوق الطبع محفوظة

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

فروع دار القاسم للنشر

جدة . هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ . فاكس: ٦٣٣٣١٩١

الدمام . هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ فاكس: ٨٤١٣٠١١

بريدة . هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ . فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨

خميس مشيط . هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ . فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

www.dar-algassem.com

sales@dar-algassem.com

المقدمة(*)

أمـــا بعد حمدِ لله بجميـــع محامده، والثناء عليـــه بما هو أهلُه، والصلاة على رسوله المصطفى وآله وصحبه:

فهذا كتاب ســـميته: **[المنتقى من أمثال العرب وقَصَصهم]** أودعته ماوقع عليه اختيـــاري، لا من كلمي وأقوالي، فليس لي في تأليفه مـــن الافتخار أكثر من الاختيار، واختيار المرء قطعة من عقله، تدلُّ علـــى تخلّقه على وفَضْله، وفضيلة هـــذا التأليف هي في جمع ما افترق، وتهذيب ما تناســـق واتسق، واختيار عيون، وترتيب فنون، من أمثال رائقة، وقصص ماتعة فائقة.

أمـــا الأمثال فقد انتقيتها من كتـــاب «مجمع الأمثال» للميداني ـ رحمـــه الله ـ، الذي قيل عن كتابـــه بأنه: «أتى على جميع قصص الأمثال التـــي زادت في مجمعه على نيّف وســـتة الآف، وهذا لم يحدث في كتب أخـــرى للأمثال». وقيل عنه: «إن هذا الكتاب هو ديوان المثل العربي دون شك أو منازع»(1).

(*) اســـتفدتها بتصرف وزيادة مـــن مقدمة ابن قتيبة لـــ: «أدب الكاتب»، وأحمد الهاشمي لـ: «جواهر الأدب».

(1) «الأمثال العربية ومصادرها في التراث» للدكتور محمد أبو صوفة (ص ٩٧ ـ ٩٨). ورسالته هذه مفيدة لمن أراد معرفة ما ألف في الأمثال العربية، مع وصف لكل كتاب. وللدكتور أميل بديع يعقوب: «موســـوعة أمثال العرب» فـــي (٧ أجزاء). وللدكتور محمد موســـى الشريف «معجم المصطلحات والتراكيب والأمثال المتداولة» إصدار دار الأندلس الخضراء، ١٤١٩هـ، رسالة مختصرة مفيدة للكتاب المعاصرين.

وأمـــا القصص فقد اســـتفدتها من الكتاب الســـابق، ومن كتاب «قطوف الريحان من زهر الأفنان» للشـــيخ أحمد بن محمد الأمين الجكني، وكتاب «قصص العرب» (٤) مجلدات، لمحمد أبي الفضل إبراهيم وصاحبيه[1].

هادفاً من هذا المنتقى إلى تقريب مناسبات هذه الأمثال والقصص الشهيرة للقراء، لعلهم يجدون فيها شيئاً من الفائدة الميسرة.

وليُعلم أني أبقيت على شرح غريب الكلمات، وأضفت التوثيق المختصر لما يمر من أحاديث يوردها الميداني في كتابه.

مع التنبيـــه إلى أن بعض القصص تحكي الحـــال الذي كان عليه العرب قبل أن يعزهم الله بالإســـلام، وينقلهم ـ به ـ من الضلالة والغواية إلى الهدى والرشاد، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والله الموفق لأقوم حال، وأنجح مآل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

(١) للدكتـــور قصي الحســـين: «جمهـــرة قصص العرب» (٤ أجـــزاء) صدرت عام ١٩٩٩م؛ لكنه توسع كثيراً في القصص الأدبي العاطفي على حساب قصص العرب التاريخية.

أولاً

الأمثـــال

إنَّ البُغاثَ بأَرضِنا يَسْتَنْسِرُ

البغاث: ضربٌ من الطير، وفي الباء ثلاث لغات: الفتح، والضم، والكسر، والجمع بِغْثَان، قالوا: هو طير دون الرخمة، واستنسر: صار كالنَّسر في القوّة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير.

يُضرب للضعيف يصير قويَّاً، وللذليل يعزّ بعد الذل.

إنَّ وَرَاءَ الأكَمِة ما وَرَءَهاَ

أصلُهُ أن أَمَةً واعدت شخصاً أن تأتيه وراء الأكمة، إذا فرغت من مهنة أهلها ليلاً، فشغلوها عن ذلك بما يأمرونها من العمل، فقالت حين غلبها الشوقُ: حبستموني وإنَّ وراء الأكمة ما وراءها.

يُضرب لمن يُفْشي على نفسه أمراً مستوراً.

إنَّ البلاء مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

يُقال إن أول مَنْ قال ذلك أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فيما ذكره ابن عباس، قال: حدثني عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: لمّا أمر رسول الله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب

خرج وأنا معه وأبوبكر، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبوبكر ـ وكان نَسَّابة ـ فسلَّم فردُّوا عليه السلام، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، فقال: أمنْ هامتها أم من لَهَازمها[1]؟ قالوا: من هامتها العظمى. قال: فأيُّ هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: ذُهْلٌ الأكبر، قال: أفمنكم عَوْف الذي يقال له لَاحُرّ بِوَادِي عَوْف؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم بِسْطَام ذُو اللِّواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا؟ قال: أفمنكم جسَّاس بن مُرٍّ حامي الذِّمار ومانعُ الجار؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم الحَوْفَزَان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم المزدَلف صاحب العمامة الفَرْدة؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم أخوال الملوك من كِنْدة؟ قالوا: لا، قال: فلستم ذُهْلا الأكبر، أنتم ذهل الأصغر، فقام إليه غلام قد بَقَلَ وَجْهُهُ يقال له دَغَفْل فقال:

إن عَلَى سائِلِنَا أنْ نَسْأَلَهْ
وَالْعَبْء لَاتَعْرِفُهُ أوْ تَحْمِلَهْ

يا هذا، إنك قد سألتنا فلم نستكتمك شيئاً فمن الرجل أنت؟ قال: رجل من قريش، قال: بخ بخ أهل الشرف والرياسة! فمن أي قريش أنت؟ قال: من تيم ابن مُرَّة، قال: أمْكَنْتَ والله الرامي من صفاء الثغرة[2]، أفمنكم قُصَيّ بن كلاب الذي جمع القبائل من فِهْر وكان يدعي مُجَمِّعاً؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشم الذي

---

(١) اللهزم: الرجل الأكول وجمعه لهازم.

(٢) الثغرة من البعير: هزمة ينحر منها، وصفاؤها: وسطها.

هَشَم الثريدَ لقومه ورجالُ مكة مُسْنِتُون عِجَاف[1]؟ قال: لا، قال: أفمنكم شيبة الحمد مُطْعم طير السماء الذي كأن في وجهه قمراً يضيء ليل الظلام الداجي؟ قال: لا، قال: أفمن المُفيضينَ بالناس أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل النَّدْوَة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الرِّفادة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الحِجَابة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل السِّقاية أنت؟ قال: لا، واجتذب أبوبكر زمام ناقته فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال دَغْفل: صادَف دَرْء السيل دَرْءًا يصدعُهُ، أما والله لو ثبتَّ لأخبرتك أنك من زَمَعات قريش، أو ما أنا بدغفل! قال: فتبسَّم رسول الله ﷺ، قال عليّ: قلت لأبي بكر: لقد وقَعْتَ من الأعرابي على باقعة، قال: أجَلْ إن لكل طامة طامة، وإن البلاء مُوَكَّل بالمنطق.

إنَّ النِّساء لَحْمٌ عَلَى وَضَم

الوضم[2]: ما وُقِيَ به اللحمُ من الأرض، وهذا المثل يروى عن عمر ـ رضي الله عنه ـ حين قال: لا يخلوَنَّ رجل بمغزية[3]، وإن النساء لحمٌ على وَضَم[4].

(١) مستنون: أصابتهم السَنَة، وهي الجدب. وعجاف: جمع أعجف، وهو الهزيل.
(٢) الوضم: الخوان الذي يوضع عليه اللحم عند الشواء.
(٣) المغزية: التي غزا زوجها.
(٤) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (رقم ٢١٤ ط دار النفائس)، وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية (٣/ ١٤٢)»: «هذا حديث غريب جداً».

أَتَتْك بِحَائِنٍ رِجْلَاهُ

صاحب هذا المثل هو: الحارث بن جبلة الغساني، قاله للحارث بن عيِّف العبدي، وكان ابن العيِّف قد هجاه، فلما غزا الحارث بن جبلة المنذر بن ماء السماء، كان ابن العيِّف معه، فقُتِل المنذر، وتفرقت جموعه، وأسر ابن العيِّف، فأتي به إلى الحارث بن جبلة، فعندها قال: أتتك بحائن رجلاه، يعني مسيره مع المنذر إليه، ثم أمر الحارث سيافه الدُّلامص فضربه ضربة دقت منكبه، ثم برأ منها وبه خبل.

وقيل: أول من قاله عبيد بن الأبرص حين عرض للنعمان بن المنذر في يوم بؤسه وكان قصَده ليمدحه، ولم يعرف أنه يوم بؤسه، فلما انتهى إليه قال له النعمان: ما جاء بك يا عبيد؟ قال: أتتك بحائن رجلاه، فقال النعمان: هلا كان هذا غيرك! قال: البلايا على الحوايا، فذهبت كلمتاه مثلا.

أَنا ابْنُ بَجْدَتِها

أي أنا عالم بها، والهاء راجعة إلى الأرض، يقال: عنده بَجْدَةُ ذاك، أي علم ذاك، ويقال أيضاً: هو ابن مدينتها، وابن بجدتها، من مَدَنَ بالمكان وبَجَدَ؛ إذا أقام به، ومن أقام بموضع علم ذلك الموضع، ويقال: البَجْدَةُ: الترابُ، فكأنَّ قولَهم: أنا ابن بجدتها، أنا مخلوق من ترابها، قال كعب بن زهير:

فيها ابن بجدتها يكاد يُذيبه
وَقْدُ النهار إذا اسْتَنَارَ الصَّيْخَدُ(١)

يعنى بابن بجدتها الحِرْبَاء، والهاء في قوله: «فيها» ترجع إلى الفَلَاة التي يصفها.

إذا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنْ

معناه مُيَاسَرَتُك صديقَك ليست بضَيْم يركبك منه، فتدخلك الحَمِّية به، إنما هو حسن وتفضل، فإذا عاسَرَك فياسره.

ويُقال: إنّ المثل لهُذَيل بن هبيرة التَّغْلَبيّ، وكان أغار على بني ضبة فغنِم فأقبل بالغنائم، فقال له أصحابه: اقْسِمْهاَ بيننا، فقال:

(١) الصيخد: عين الشمس.

إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يدرككم الطلب، فأَبَوْا، فعندها قال: إذا عزَّ أخوك فهُنْ، ثم نزل فقسَّم بينهم الغنائم، ويُنشد لابن أحمر:

دَبَبْتُ له الضَّرَاء وقُلْتُ: أبقى
إذا عَزَّ ابنُ عمِّك أنْ تَهُونا

إنَّما أُكِلتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الأَبْيَضُ

يروى أن أمير المؤمنين علياً ـ رضي الله عنه ـ قال: إنما مثلي ومثلُ عثمان كمثل أثوار ثلاثة كنَّ في أَجَمَةٍ: أبيض، وأسود، وأحمر، ومعهنّ فيها أسد، فكان لا يقدر منهن على شيء لاجتماعهن عليه، فقال للثور الأسود والثور الأحمر: لا يَدُلُّ علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيضُ فإن لونه مشهور، ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكُلُه صفَتْ لنا الأجَمة، فقالا: دونَك فكله، فأكله، ثم قال للأحمر: لوني على لونك، فَدَعْني آكل الأسود لتصفو لنا الأجَمة، فقال: دونَك فكُلْه، فأكله، ثم قال للأحمر: إني آكلُكَ لا مَحالة، فقال: دعني أنادي ثلاثاً، فقال: افْعَلْ، فنادى: أَلَا إني أُكِلْتُ يوم أُكِلَ الثورُ الأبيضُ، ثم قال عليٌّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ألا إني هُنْتُ ـ ويروى: وَهَنْتُ ـ يوم قتل عثمان، يرفع بها صوته.

يضربه الرجل يُرْزَأ بأخيه.

أنَا ابْنُ جَلا

يُضـرب للمشـهور والمتعالَم، وهـو من قول سُـحَيم بن وَثيل الرِّياحيّ:

أنـا ابْـنُ جَـلاَ وطَـلاَّعَ الـثـنَّـايـاَ
مَـتَـى أَضَـعِ الـعِـمَـامَـةَ تَـعْـرِفُـونـي

وتمثل به الحجّاج على منبر الكوفة، قال بعضهم: ابن جلا النهار، حُكي عن عيسى بن عُمَر أنه كان لا يصرف رجلاً يسمى بضَرَبَ، ويحتج بهـذا البيت، ويقول: لم ينوِّن جلا، لأنه على وزن فَعَل، قالـوا: وليس في البيت حجة؛ لأن الشـاعر أراد الحكاية، فحكى الاسـم على ما كان عليه قبل التسمية، وتقديره: أنا ابنُ الذي يقال له جَلاَ الأمور وكشفها.

أَنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ وَعُذَيْقُها المُرَجَّبُ

الجُذَيْل: تصغير الجِذْل، وهو أصل الشـجرة. والمحكَّكُ: الذي تتحكك به الإبل الجَرْبَى، وهو عُودٌ ينصب في مَبَارك الإبل تتمرَّسُ به الإبل الجَرْبَى. والعُذَيْق: تصغير العَذْق ـ بفتح العين ـ وهو النخلة. والمرَّجب: الذي جُعل له رُجْبَة وهي دعامة تُبْنَى من الحجارة، وذلك إذا كانـت النخلة كريمةً وطالت تخوَّفـوا عليها أن تنقَعر من الرياح

العواصف، وهذا تصغير يراد به التكبير، نحو قول لبيد:

وكلُّ أناس سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُم
دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرّ مِنْها الأنامل

إِنَّهُ نَسِيجُ وَحْدِهِ

وذلك أن الثوب النفيس لا يُنْسَجُ على مِنْواله عدَّةُ أثواب، قال ابن الأعرابيّ: معنى «نَسيج وَحْدِهِ» أنه واحد في معناه، ليس له فيه ثان، كأنه ثوب نُسجِ على حِدَته لم يُنسج معه غيره، وكما يقال نسيج وحده يقال: «رَجُلُ وَحْدِهِ» ويروى عن عائشة أنها ذكرت عمر ـ رضي الله عنهما ـ فقالت: كان والله أحْوَذِياً، ويروى بالزاء، نَسيج وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها، قال الراجز:

جاءت به مُعْتَجِراً بِبُرْدِهِ
سَفْوَاء تَرْدِي بِنَسِيجِ وَحْدِهِ

أَكَلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَشَرِبَ

يُضرب لمن طال عمره، يريدون أكَل وشرب دهراً طويلاً، وقال:

كم رأينا من أناس قَبْلَنا
شربَ الدهْرُ عَلَيْهِمْ وأكَلْ

إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ

ويروى: «من حيث تؤكَل الكتف».
يُضرب للرجل الداهية.
قال بعضهم: تجري المَرَقة بين لحم الكتف والعظم، فإذا أخذتها من أعلى جَـرَت عليك المرقة وانصبَّتْ، وإذا أخذتها من أسفلها انْقَشَرَتْ عن عظمها وبقيت المرقة مكانها ثابتة.

إذَا زَلّ العَالِمُ زَلَّ بِزَلَّته عالَمٌ

لأن للعالِم تبعاً فهم به يقتدون، قال الشاعر:

إن الفقيه إذا غَوَى وأطاعه
قومٌ غَوَوْا معه فَضَاعَ وَضَيَّعا
مثل السفينة إن هَوَتْ في لُجةٍ
تَغْرَقْ ويَغْرَقْ كُلُّ ما فيه مَعا

أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ

قال ابنُ الكلبيّ: من حديث النذير العريان أن أبا دُوَاد الشاعرَ كان جاراً للمنذر بن ماء السماء، وأن أبا دواد نازع رجلاً بالحيرة من بَهْراء يقال له رقبة بن عامر، فقال له رقبة: صالحني وحالفني، قال أبو داود: فمن أين يعيش أبا دواد؟ فوالله لولا ما تصيب من بَهْرَاء لهلكت. ثم افترقا على تلك الحالة، وإن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة الشام، فبلغ ذلك رقبة، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دواد عند المنذر، وأخبرهم أن القوم وَلَدُ أبي دواد. فخرجوا إلى الشام فقتلوهم وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة، فلما أتته الرؤوس صنَع طعاماً كثيراً، ثم أتى المنذر فقال له: قد اصطنعت لك طعاماً فأنا أحب أن تَتَغَدّى عندي، فأتاه المنذر وأبو دواد معه، فبينا ا لجفان تُرْفَع وتوضع إذ جاءت جَفْنة عليها أحد رؤوس بني أبي دواد، فقال أبو دواد: أَبَيْتَ اللَّعنَ! إني جارُك وقد ترى ما صنع بي، وكان رقبة جاراً للمنذر، قال: فوقع المنذر منهما في سوءة، وأمر برقبة فحبس، وقال لأبي دواد: ما يرضيك؟ قال: أن تبعث بكتيبتك الشَّهْباء والدَّوْسَر إليهم، فقال له المندر: قد فعلت، فوجَّه إليهم الكتيبتيْن، قال: فلما رأى ذلك رقبة من صُنْع المنذر قال لأمراته: الحقي بقومك فأنذريهم، فعمدت إلى بعض إبل البَهْرَانيّ فركبته ثم خرجت حتى أتت قومها، فعرَّفت، ثم قالت: أنا

النَّذير العُرْيَان، فأرسلتها مثلاً، وعرف القوم ما تريد، فصَعَدوا إلى علياء الشام، وأقبلت الكتيبتان فلم تُصيبا منهم أحداً، فقال المنذر لأبي دواد: قد رأيتَ ما كان منهم، أفيُسْكِتك عنِّي أن أعطيك بكل رأس مائتي بعير؟ قال: نعم، فأعطاه ذلك، وفيه يقول قيس بن زهير العبسي:

سأفْعَلُ ما بَدَا لِي ثُمَّ آوي
إلى جارٍ كَجَارِ أبي دُوَاد

وقال غيره: إنما قالوا: «النذير العريان» لأن الرجل إذا رأى الغارة قد فَجَأتْهم وأراد إنذار قومه تجرَّد من ثيابه، وأشار بها ليُعلم أنه قد فجأهم أمر، ثم صار مثلاً لكل أمر تُخَاف مفاجأته، ولكل أمر لا شبهة فيه.

إيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي ياَ جارَهْ

أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَزَاريّ، وذلك أنه خرج يريد النعمان، فمر ببعض أحياء طيء، فسأل عن سيّد الحي، فقيل له: حارثة بن لأم، فأمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شاهداً، فقالت له أخته: انْزِلْ في الرَّحْب والسَّعَة، فنزل فأكرمته ولاطفته، ثم خرجت من خبائها فرأى أجْمَلَ أهل دهرها وأكملهم، وكانت عَقِيلَةَ قومِها وسيّدة نسائها، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لايَدْري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك! فجلس بفناء الخباء يوماً وهي تسمع كلامه

فجعل ينشد ويقول:

يَا أُخْتَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَ الْحَضَارَةْ كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فَتًى فَزَارَهْ

أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهْ إِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهْ

فلما سمعت قوله عرفت أنه إياها يعني، فقالت: ما ذا يقول ذي عقل أريب، ولا رأى مصيب، ولا أنف نجيب، فأقِمْ ما أقَمْتَ مكرَّماً، ثم أرْتَحِلْ متى شئت مسلماً، ويقال أجابته نظماً فقالت:

إِنِّي أَقُولُ يَا فَتَى فَزَارَهْ لَا أَبْتَغِي الزَّوْجَ وَلَا الدَّعَارَهْ

وَلَا فِرَاقَ أَهْلِ هَذِي الْحَارَهْ فَارْحَلْ إِلَى أَهْلِكَ بِاسْتِخَارَهْ

فاسْتَحْيا الفتى وقال: ما أردتُ منكراً واسوأتاه! قالت: صدقْتَ، فكأنها اسْتَحَيَتْ من تسرُّعها إلى تُهْمته، فارتحل، فأتى النعمان فَحَباه وأكرمه، فلما رجع نزل على أخيها، فبينا هو مقيم عندهم تطلَّعت إليه نفسُها ـ وكان جميلاً ـ فأرسلت إليه أن اخْطُبني إن كان لك إليّ حاجة يوماً من الدهر، فإني سريعة إلى ما تريد، فخطبها وتزوَّجها وسار بها إلى قومه.

يُضْرب لمن يتكلَّم بكلام ويريد شيئاً غيره.

إِنَّكَ لَتُكْثِرُ الحَزَّ وَتُخْطِئُ المَفْصِلَ

الحز: المَقطعْ والتأثير، والمفاصل: الأوصال، الواحد مَفْصل. يُضرب لمن يجتهد في السعي ثم لا يظفر بالمراد.

إِنّ غَداً لناظِرِه قَرِيبُ

أي: لمنتظره، يقال: نَظَرْتُه أي: انتظرته، وأول من قال ذلك قُراد بن أَجْدَعَ، وذلك أن النعمان بن المنذر خرج يتصيّد على فرسه اليَحْمُوم، فأجراه على أثَر عَيْر، فذهب به الفرس في الأرض ولم يقدر عليه، وانفرد عن أصحابه، وأخذته السماء، فطلب مَلْجأ يلجأ، فدفع إلى بناء، فإذا فيه رجل من طيء يقال له حَنْظَلة ومعه امرأة له، فقال لهما: هل من مَأْوًى؟ فقال حنظلة: نعم، فخرج إليه فأنزله، ولم يكن للطائي غيرُ شاة وهو لا يعرف النعمان، فقال لامرأته: أرى رجلاً ذا هيئة، وما أَخْلَقَه أن يكون شريفاً خطيراً، فما الحيلة؟ قالت: عندي شيء من طَحين كنت ادّخرته، فاذبح الشاةَ لأتخذ من الطحين مَلَّة[1]، قال: فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه مَلَّة، وقام الطائيّ إلى شاته فاحتلبها ثم ذبحها، فاتخذ من لحمها

(١) يريد خبز ملة، والملة: الرماد الحار.

مَرَقَــة مَضِيرة[١]، وأطعمه من لحمها وسـقاه من لبنها، واحتال له شراباً فسقاه وجعل يُحَدثه بقية ليلته.

فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه، ثم قال: يا أخا طيء اطلب ثَوَابك، أنا الملك النعمان، قال: أفعل إن شـاء الله، ثم لحق الخيل فمضى نحـو الحِيرة، ومكث الطائيّ بعـد ذلك زماناً: حتى أصابته نَكْبة وجَهْد وسـاءت حاله، فقالت له امرأته: لو أتيت الملك لأحسن إليك، فأقبل حتى انتهى إلى الحِيرة فوافق يوم بؤس النعمان، فإذا هو واقف في خَيله في السـلاح، فلما نظر إليه النعمان عرفه، وسـاءه مكانهُ، فوقف الطائيّ المنزول به بين يدي النعمان، فقال له: أنـت الطائيّ المنزول به؟ قال: نعم، قـال: أفلا جِئْتَ في غير هذا اليـوم؟ قال: أَبَيْتَ اللعن! وما كان علمي بهذا اليوم؟ قال: والله لو سَـنَح لي في هذا اليوم قابوسُ ابني لـم أجد بُدّا من قتله، فاطلب حاجَتَكَ من الدنيا وسَلْ ما بدا لك فإنك مقتول، قال: أَبَيْتَ اللعنَ! وما أصنع بالدنيا بعد نفسي! قال النعمان: إنه لا سبيل إليها.

قال: فإن كان لا بدَّ فأجِّلْني حتى ألِمَّ بأهلي فأوصى إليهم وأهيِّء حالهم ثم أنصرف إليـك، قال النعمان: فأقم لي كَفيلاً بموافاتك، فالتفت الطائي إلي شريك بن عمرو بن قيس من بني شيبان، وكان يكنى أبـا الحَوْفَزَان وكان صاحب الرِّدافـة[٢]، وهو واقف بجانب

(١) المضيرة: مريقة تطبخ باللبن.

(٢) الردافة: أن يجلس الملك والردف على يمينه، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس، وإذا غزا الملك قعد في موضعه وكان خليفته على الناس.

النعمان، فقال له:

يـــا شـــريـــكـــا يـــا بـــــنَ عَـــمـــرو
هـــــلْ مـــــن المـــــوت مَـــحَـــالـــهْ
يـــــا أخـــــا كـــــلّ مُـــــضَـــاف
يـــــا أخـــــا مَـــــنْ لاَ أخـــــا لـــهْ
يـــا أخـــا الـــنـــعـــمـــان فُـــكَّ الـــيـــ
ـــــوم ضَـــيْـــفـــاً قـــد أتـــى لـــهْ
طـــالمـــا عـــالـــج كُـــــرَبَ المـــ
ـــــوتِ لا يـــنـــعَـــمُ بـــالَـــهْ

فأبي شـريك أن يتكفَّل به، فوثب إليه رجل من كلب، يقال له: قُراد بن أَجْدَع، فقال للنعمان: أبيت اللَّعْن! هو عليّ، قال النعمان: أفعلت؟ قال: نعم، فضمّنه إياه ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة.

فمضـى الطائيّ إلى أهله وجَعَلَ الأجَلَ حولاً من يومه ذلك إلى مثـل ذلك اليوم من قابل، فلمـا حال عليه الحولُ وبقي من الأجل يوم قال النعمان لقُراد:

فـإن يَـكُ صَـدْرُ هـذا الـيـوم وَلـى
فـإنَّ غَـداً لـنـاظـره قَـريـبُ

فلما أصبح النعمان ركب في خيله ورَجْله متسلِّحاً كما كان يفعل حتى أتى الغَرِّيين(١) فوقف بينهما، وأخرج معه قُرَاداً، وأمر بقتله، فقـال له وزراؤه: ليس لك أن تقتله حتى يستوفىَ يومه، فتركه، وكان النعمان يشتهي أن يَقْتُل قُرَاداً ليُفْلِتَ الطايئَّ من القتل، فلما

---

(٢) الغريان: بناءان مشهوران بالكوفة، والغري في الأصل هو البناء الحسن.

كادت الشمس تجب وقُرَاد قائم مُجَرَّد في إزار على النِّطَع، والسياف إلى جنبه أقبلت امرأته وهي تقول:

أيا عَيْنُ بكّي لي قُرَاد بن أجْدَعا
رَهيناً لِقَتْلٍ لا رهيناً مُوَدّعا
أتَتْه المنايا بَغْتَةً دون قومه
فأمسى أسيراً حاضر البَيْتِ أضْرَعا[١]

فبيناهم كذلك إذ رُفع لهم شخص من بعيد، وقد أمر النعمانُ بقتلِ قُراد، فقيل له: ليس لك أن تقتله، حتي يأتيك الشخص فتعلَم مَنْ هو، فكفَّ حتى انتهى إليهم الرجلُ، فإذا هو الطائيّ، فلما نظر إليه النعمان شَقَّ عليه مجيئُهُ، فقال له: ما حملك على الرجوع بعدَ إفلاتك من القتل؟ قال: الوفاء، قال: وما دَعَاك إلى الوفاء؟ قال: ديني، قال النعمان: وما دِيُنك؟ قال النّصرانية، قال النعمان: فاعْرِضْهَا عَلَيّ، فعرضها عليه فتنصر النعمان وأهلُ الحِيرة أجمعون، وكانَ قبل ذلك على دين العرب[٢]، فترك القتلَ منذ ذلك اليوم، وأبطل تلك السُّنَّة وأمر بهدْم الغَرِيّيْن، وعفا عن قراد والطائي، وقال: والله ما أدري أيُّهما أوفى وأكرم، أهذا الذي نجا من القتل فعاد، أم هذا الذي ضمنه؟ والله لا أكون ألأمَ الثلاثة، فأنشد الطائي يقول:

---

(١) الضرع: الذلة والاستسكانة.

(٢) ثم جاء الإسلام فنسخ جميع الأديان السماوية، وأبطل الأديان الأرضية، فلا يقبل الله ديناً غيره ـ ولله الحمد ـ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

مـا كُـنْـتُ أُخْـلِـفُ ظنـه بـعـد الـذي
أسْـدَى إلـيّ مـن الـفَـعَـال الخـالـي
ولـقـد دَعَـتْـنـي لـلـخـلاف ضَـلالـتـي
فـأَبَـيْـتُ غـيـرَ تمـجُّـدِي وفَـعـالـي
إنـي امـرؤ مـنِّـي الـوفـاءُ سَـجـيـة
وجـزاء كـل مـكـارم بَـذَّال

وقال أيضاً يمدح قُرَادا:

ألا إنمـا يـسـمـو إلـى المـجـد والـعـ
مَـخـاريـقُ أمـثـال الـقُـراد بـنْ أجْـدَعـا
مـخـاريـقُ أمـثـال الـقـراد وأهـلـه
فـإنـهـمُ الأخـيـار مـن رَهْـطِ تُـبَّـعـاَ(١)

إنّ أَخَاكَ مَنْ آساكَ

يقال: آسيت فلاناً بمالي أو غيره: إذا جعلته أسْوَةَ لك، ووَاسَيْتُ لغة فيه ضعيفة بنوها على يُوَاسي، ومعنى المثل: إن أخاك حقيقة مَنْ قدَّمك وآثَرَك على نفسه.

يُضرب في الحثّ على مراعاة الإخوان:

وأول من قال ذلك خُزَيم بن نَوْفل الهمداني، وذلك أن النعمان بن ثواب العبدي ثم الشّنيّ كان له بنون ثلاثة: سعد، وسعيد، وساعدة، وكان أبوهم ذا شرف وحكمة، وكان يوصي بنيه ويحملهم

(١) المخراق: الرجل الحسن الجسم والرجل السخي.

على أَدَبه، أما ابنه سعد، فكان شجاعاً بطلاً، من شياطين العرب، لا يُقام لسبيله، ولم تَفُتْه طلبته قط، ولم يفرَّ عن قِرْن. وأما سعيد فكان يشبه أباه في شرفه وسؤدده. وأمَّا ساعدة فكان صاحب شراب ونَدَامَى وإخوان، فلما رأى الشيخ حال بنيه دعا سعدا وكان صاحب حرب فقال: يا بُنَيّ، إن الصارم يَنْبو، والجواد يَكْبُو، والأثر يعفو، فإذا شهدت حرباً فرأيت نارها تستعر، وبطلها يخطر، وبحرها يزخَر، وضعيفها يُنْصَر، وجبانها يجسُر، فأقْلِل المكث والانتظار؛ فإنّ القرار غيرُ عار، إذا لم تكنْ طالب ثار، فإنما ينصرون هم، وإيّاك أن تكون صَيْدَ رماحها، ونطيح نطاحها. وقال لابنه سعيد وكان جواداً: يا بنيّ لا يبخل الجواد، فابذُل الطارف والتِّلاد[1]، وأقلل التَّلاح، تُذْكَرْ عند السماح، وابْلُ إخوانك، فإن وفِيَّهم قليل، واصنع المعروف عند محتمله. وقال لابنه ساعدة وكان صاحب شراب: يا بنيّ إن كثرة الشراب تفسد القلب، وتقلِّل الكسب، وتجدّ اللعب، فأبصر نَديمك، واحْم حريمَك، وأعِنْ غريمَك، واعلم أن الظمأ القامح[2]، خير من الرِّيِّ الفاضح، وعليك بالقَصْد فإن فيه بلاغاً.

ثم إن أباهم النعمان بن ثَوَاب تُوُفِّي، فقال ابنه سعيد وكان جواداً سيداً: لآخذنّ بوصية أبي، ولأبلُوَنَّ إخواني وثقاتي في نفسي، فعمِد إلى كبش، فذبحه، ثم وضعه في ناحية خِبائه، وغَشَّاه ثوباً، ثم دعا بعض ثقاته فقال: يا فلان إن أخاك مَنْ وفَى لك بعهده،

(١) أي: ابذل القديم والحديث.

(٢) القامح: الكاره لأي علة كانت.

وحاطـك برفده، ونصرك بوده، قـال: صدقْتَ، فهل حدث أمر؟ قال: نعم، إني قتلت فلاناً، وهو الذي تراه في ناحية الخِباء، ولا بد من التعاون عليه حتى يُوَارَى، فما عندك؟ قال: يا لَهاَ سَوْءة وقعتَ فيها، قال: فإني أريد أن تعينني عليه حتى أغيِّبَه، قال: لستُ لك في هذا بصاحب، فتركه وخرج.

فبعث إلى آخر من ثقاته فأخبره بذلك وسـأله مَعُونتَه، فردّ عليه مثـل ذلك، حتى بعث إلى عَدَد منهم، كلهم يردّ عليه مثل جواب الأول.

ثـم بعث إلى رجل من إخوانه يقال له خزيم بن نوفل، فلمَّا أتاه قال له: يا خزيم مالي عندك؟ قال: ما يسرّك، وما ذاك؟ قال: إنِّي قتلت فلاناً وهو الذي تراه مُسَجَّى، قال: أيْسَرُ خَطْب، فتريد ماذا؟ قال: أريد أن تعينَني حتَّى أغيبَه، قال: هان ما فَزِعْتَ فيه إلى أخيك ـ وغلامٌ لسـعيد قائم معهما ـ فقال له خزيم: هل اطَّلع على هذا الأمـر أحدٌ غير غلامك هذا؟ قيل: لا، قال: انظر ما تقول، قال: ما قلت إلا حقا، فأهْوَى خزيم إلى غلامه فضربه بالسـيف فقتله، وقال: «ليس عبدٌ بأخٍ لك»، فأرسلها مثلاً.

وارتاع سـعيد وفزَع لقتل غلامه، فقـال: ويحك! ما صنعت؟ وجعل يلومه، فقال خزيم: «إنَّ آخاكَ من آسـاك»، فأرسلها مثلاً، قال سـعيد: فإني أردْتُ تجربتَك، ثم كشف له عن الكبش، وخبَّره بمـا لقي من إخوانـه وثقاته. وما ردُّوا عليه، فقال خزيم: «سـبق السيف العَذَلَ»، فذهبت مثلاً.

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهَراً بِنَوْمٍ

قال: إن أول مَنْ قــال ذلك ذو رُعَيْنٍ الْحِمْيَرِي، وذلك أن حِمْيَر تفرقت على ملكها حَسَّان، وخالفت أمره لسوء سيرته فيهم، ومالوا إلى أخيه عمرو، وحملوه على قَتْل أخيه حَسَّــان، وأشــاروا عليه بذلك، ورغَّبوه في المُلْك، ووَعَدوه حســن الطاعة والموازرة، فنهاه ذو رُعَيْن من بين حمير عن قتل أخيه، وعلم أنه إن قتل أخاه ندِم، ونَفَر عنه النوم، وانتقض عليه أمره، وأنه سيعاقِبُ الذي أشار عليه بذلك، ويعرف غِشَّــهم له، فلما رأى ذو رُعَــيْن أنه لا يقبل ذلك منه وخشِــيَ العواقب قال هذين البيتين وكتبهما في صحيفة وختم عليها بخــاتم عمرو، وقال: هذه وديعة لي عنــدك إلى أن أطلبَها منــك، فأخذها عمرو، فدَفَعها إلى خازنه وأمَرَه برفْعها إلى الخزانة والاحتفاظ بها إلى أن يَسْــأل عنها، فلما قَتَلَ أخاه، وجلس مكانه في الملك مُنِعَ منه النومُ، وسُــلِّط عليه السهر، فلما اشتد ذلك عليه لم يَدَعْ باليمن طبيباً ولا كاهناً ولا منجّما ولا عرّافاً ولا عائفاً(١) إلا جمعهم، ثم أخبرهم بقصته، وشكا إليهم ما به، فقالوا له: ما قَتَلَ رجل أخاه أو ذا رَحِم منه على نحو ما قتلت أخاك إلا أصابه السهر ومُنِــع منه النوم، فلما قالوا له ذلك أقبل على مَنْ كان أشــار عليه

(١) كان أهل الجاهلية مولعين بأباطيل العرافين والكهان الذين يخلطون مع الكلمة الواحدة مئة كذبة، فجاء الإسلام بتحريم الذهاب إليهم وتصديقهم؛ حفظاً لدين المسلم.

بقتل أخيه، وساعده عليه من أقْيَال حِمْير، فقتلهم حتى أفناهم، فلما وصل ذي رُعَين قال له: أيها الملك إن عندك بَرَاءة مما تريد أن تصنع بي، قال: وما براءتُك وأمانك؟ قال: مُرْ خازنك أن يُخرِج الصحيفة التي استودعتكها يوم كذا وكذا، فأمر خازنه فأخرجها فنظر إلى خاتمة عليها ثم فَضَّها، فإذا فيها:

أَلَا مَنْ يَشْتَرِى سَهَراً بِنَوْمٍ ... سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ

فَإِمَّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخانت ... فَمَعْذِرَةُ الإلهِ لِذِى رُعَيْنِ

ثم قال له: أيها الملك قد نَهيتُك عن قتل أخيك، وعلمتُ أنك إن فعلت ذلك أصابك الذي قد أصابك، فكتبُ هذين البيتين بَرَاءة لي عندك مما علمت أنك تصنع بمن أشار عليك بقتل أخيك، فقبل ذلك منه، وعفا عنه، وأحسن جائزته.

إنْ كُنْتَ كَذُوباً فَكُنْ ذَكوراً

يُضرب للرجل يكذب ثم ينسى، فيحدّث بخلاف ذلك.

إذا ما القارظُ العَنَزِيُّ آبا

هما قارظان(١)، كلاهما من عَنَزة، فالأكبر منهما هو يَذْكر ابن عَنَزة لصُلبه، والأصغر هو رُهْم بن عامر بن عَنَزة، كان من حديث الأول أن خزيمة بن نهد ـ ويروى: «حزيمة»، كذار رواه أبو الندى في أمثاله ـ كان عَشقَ فاطمة ابنة يَذْكر، قال: وهو القائل فيها:

إذا الجَوْزَاء أردفت الثريَّا
ظننتُ بآل فاطمة الظنونا

قال: ثم إن يَذْكُر وخزيمه خرجا يطلبان القَرَظَ، فمرَّا بُهوَّة من الأرض فيها نحل، فنزل يَذْكُر يَشْتَار(٢) عَسَلا، ودَلَّاه خزيمة بحبل، فلما فرغ قال يَذْكُر لخزيمة: امددني لأصعد، قال: خزيمة: لا والله حتى تزوِّجني ابنتك فاطمة، فقال: أعلى هذه الحال؟ لا يكون ذلك أبداً، فتركه خزيمة فيها حتى مات، قال: وفيه وقَع الشرّ بين قضاعة وربيعة. قال: وأما الأصغر منهما فإنه خرج لطلب القَرَظ أيضاً، فلم يرجع ولا يُدْرَى ما كان من خبره، فصار مثلاً في امتداد الغَيْبة، قال بشر بن أبي خازم لابنته عند موته:

فَرَجِّي الخيرَ وانتظري إيابي
إذا ما الْقَارِظ العَنَزِيُّ آبا

(١) القرظ: ورق السلم، والقارظ: مجتنيه.

(٢) يشتار: يستخرج.

بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى

هي جمع زُبْيَة، وهي حُفْرة تُحْفَر للأسد إذا أرادوا صَيْده، وأصلها الرابية لا يَعْلُوها الماء، فإذا بلغها السيلُ كان جارفاً مُجْحفاً.

يُضرب لما جاوز الحد.

عن ابن المعتمر قال: أتِيَ مُعاذُ بن جبل بثلاثة نَفَر قتلهم أسد في زُبْيَة، فلم يدر كيف يفتيهم! فسأل عليّاً ـ رضي الله عنه ـ وهو مُحْتَب بفناء الكعبة، فقال: قُصُّوا عليَّ خبرَكم، قالوا: صِدْنا أسَداً في زُبْية، فاجتمعنا عليه، فتدافع الناسُ عليها، فَرَمَوْا برجل فيها، فتعلق الرجل بآخر، وتعلق الآخر بآخر، فَهَوَوا فيها ثلاثتهم، فقضى فيها عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ أن للأول ربْعَ الدية، وللثاني النصف، وللثالث الدِّية كلها، فأُخبر النبي ﷺ بقضائه فيهم، فقال: «لقد أَرْشَدَكَ الله للحق»[1].

بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي

هما الداهية الكبيرة والصغيرة، وكَنَى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيهاً بالحيَّة، فإنها إذا كثر سمَّها صغرت لأن السمّ يأكل جسَدها.

وقيل: الأصل فيه أن رجلاً من جَدِيس تزوَّج امرأة قصيرة، فقاسى

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بنحوه (١٣٠٩)، وضعف إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط.

منها الشدائد، وكان يعبر عنها بالتصغير، فتزوّج امرأة طويلة، فقاسى منها ضعفَ ما قاسى من الصغيرة، فطلقّها، وقال: بعد اللَّتيَّا والَّتي لا أتزوّج أبداً، فجرى ذلك على الداهية. وقيل: إن العرب تُصغِّر الشيء العظيم، كالدهَيْم واللُّهَيْم، وذلك منهم رَمْز.

بَيْنَهُمْ عِطْرُ مَنْشِمَ

مَنْشِم ـ بكسر الشين ـ اسمُ امرأة عطَّارة كانت بمكة، وكانت خزاعة وجُرْهم إذا أرادوا القتال تطيَّبُوا من طيبها، وإذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم؛ فكان يقال: أشأَم من عطر مَنْشِمَ.

يضرب في الشيء العظيم.

بَعْضُ الشرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

هذا من قول طَرَفة بن العبْد حين أمَر النعمان بقتله، فقال:

أبا مُنْذِرٍ أفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بَعْضَنا
حَنانَيْكَ بَعْضُ الشرِ أهْوَنُ من بَعْضِ

يُضرب عند ظهور الشرَّين بينهما تفاوت.

وهذا كقولهم: «إنَّ من الشر خِياراً».

بَاتَ فُلان يَشْوِي القَرَاحَ

يعنى الماء القَرَاح، وهو الخالص لا يُخَالطه شيء.

يُضرب لمن ساءت حالُه ونَفِذَ مالُه، فصار بحيث يشوي الماء شهوةً للطبيخ.

وأصله أن رجلاً اشتهى مأْدُوماً، ولم يكن عنده سوى الماء، فأوقد ناراً، ووضع القِدْر عليها، وجعل فيها ماء وأغلاه، وأَكَبَّ على الماء يتعلَّل بما يرتفع من بُخَاره، فقيل له: ما تصنع؛ فقال: أشوِي الماء، فضُرب به المثل.

أبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ اليَمامَةِ

واليمامة: اسمُها، وبها سُمِّي البلد، وذكر الجاحظ أنها كانت من بنات لُقْمَان بن عاد، وأن اسمها عنز، وكانت هي زَرْقَاء وكانت الزبَّاء زَرْقَاء وكانت البَسُوس رزقاء.

قال محمد بن حبيب: هي امرأة من جَديس ـ يعني زرقاء ـ كانت تُبْصِر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، فلما قَتَلَتْ جَديس طَسْماً خرج رجل من طَسْم إلى حَسَّان بن تُبَّع، فاستجاشه ورَغَّبه في الغنائم، فجهَّز إليهم جيشاً، فلما صاروا من جَوّ[1] على مسيرة ثلاث ليال؛

(١) جو: اسم لناحية اليمامة

صعدت الزرقاء، فنظرت إلى الجيش وقد أُمِرُوا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبِّسُو عليها، فقالت: يا قوم قد أتتكم الشَّجَر، أو أتتكم حِمْيَر، فلم يصدقوها، فقالت على مثال رجز:

أقْسِمُ باللهِ لقد دَبَّ الشَّجَرْ
أو حِمْيَر قد أخَذَتْ شيئاً يُجَرْ

فلم يصدِّقوها، فقالت: أحلف بالله لقد أرى رَجُلاً، يَنْهَسُ كتفاً، أو يَخْصِفُ النعل، فلم يصدَّقوها، ولم يستعدُّوا، حتى صَبَّحهم حَسَّان فاجتاحهم، فأخذ الزرقاء فشق عينيها فإذا فيهما عُرُوق سود من الإثْمِد، وكانت أوّل من اكتحل بالإثمد من العرب، وهي التي ذكرها النابغة في قوله:

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحيِّ إذْ نَظَرتْ
إلى حمامٍ سِرَاعٍ وارِدِ الثَّمَدِ

تَجوعُ الحُرَّةُ وَلا تأْكُلُ بثَدْيَيْها

أي لا تكون ظِئْراً وإنْ آذاها الجوع، ويروى: ولا تأكل ثدييها.

وأوَّل من قال ذلك الحارث بن سليل الأسَديّ، وكان حليفاً لعلقمة بن خصفة الطائيّ، فزاره فنظر إلى ابنته الزَّبَّاء ـ وكانت من أجمل أهل دهرها ـ فأُعْجِبَ بها، فقال له: أتيتُكَ خاطباً، وقد يَنْكِحُ الخاطب، ويُدْرَك الطالب، ويُمنح الراغب، فقال له علقمة: أنت كُفْءٌ كريم، يُقبل منك الصَّفْو، ويؤخذ منك العَفْو[1]، فأقم

(١) العفو: الفضل والمعروف.

نظر في أمرك، ثم أنكفأ إلى أُمِّها فقال: إن الحارث بن سليل سيد قومه حَسَبا ومَنْصِباً وبيتا، وقد خطب إلينا الزبَّاء فلا ينصرفَنَّ إلا بحاجته، فقالت امرأته لابنتها: أيُّ الرجال أَحَبُّ إليك؟ الكَهْلُ الجَحْجَاح[1]، الواصِلُ المَنَّاح، أم الفتى الوَضاح[2]؟ قالت: لا، بل الفتى الوضاح، قالت: إن الفتى يُغيرُك[3]، وإنّ الشيخ يَميرُك[4]، وليس الكَهْل الفاضل، الكثيرُ النائل، كالحديث السنِّ، الكثير المَنِّ، قالت:

يا أمتاه إن الفَتَاة تحبُّ الفتى
كحبِّ الرّعاء أَنيقَ الكَلأ

قالت: أي بُنَيَّة، إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يُبْلِي شبابي، ويدنِّس ثيابي، ويُشْمت بي أترابي، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوّجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فابْتَنَى بها ثم رَحَل بها إلى قومه. فبينا هو ذاتَ يوم جالسٌ بفناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبَلَ إليه شَبَابٌ من بني أسد يعتلجون[5] فتنفَّست صُعَداء، ثم أرْخَتْ عينيها بالبكاء، فقال لها: ما يُبْكيك؟ قالت: مالي وللشيوخ، الناهضين كالفُرُوخ! فقال لها: ثَكِلَتْكِ أُمُّك، تَجُوع الحرة ولا تأكل بثدييها.

---

(١) الجحجاح: السيد.
(٢) الوضاح: الأبيض اللون.
(٣) يغيرك: يتزوج عليك.
(٤) يميرك: يجلب لك الطعام، ويملأ به بيتك.
(٥) يعتلجون: يتصارعون.

قال أبوعبيد: فإن كان الأصل على هذا الحديث فهو على المثل السائر: «لا تأكل ثدييها». وكان بعضُ العلماء يقول: هذا لا يجوز، وإنما هو: «لا تأكل بثدييها».

وكلاهما في المعنى سَوَاء؛ لأن معنى لا تأكل ثدييها، لا تأكل أجْرَةَ ثدييها، ومعنى بثدييها، أي لا تعيش بسبب ثَدْييها وبما يُغلَّان عليها.

ثم قال الحارث لها: أما وأبيك لرُبَّ غارة شهدتها، وسَبيَّة أردفتها، وخَمْرة شربتها، فالحقى بأهلك فلا حاجة لي فيك، وقال:

تَهَزَّأتْ أنْ رَأتْني لابساً كِبَراً
وغايةُ الناس بينَ المَوْت والكِبرِ
فإنْ بقيتِ لقيتِ الشَّيْبَ راغمَةً
وفي التعرُّفِ ما يمضي من العِبَرِ
وإن يكن قد عَلاَ رأسي وغَبَّره
صَرْفُ الزمان وتغييرٌ من الشَّعَرِ
فقد أرُوحُ لِلَذَّاتِ الفَتَى جَذِلاً
وقَدْ أُصيبُ بها عِينَاً من البَقَرِ
عَنِّي إليك فإنِي لا تُوافِقُني
عُورُ الكلام ولا شُرْبٌ على الكَدَرِ

يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال.

تَرَكْتُهُمْ فِي حَيْص بَيْص وَحِيص بِيصِ

ويقال: حَيْصِ بَيْصِ وحَيْص بَيْص، فالْحَيصُ: الفرار، والبَوْص: الفَوْت، وحَيْص من بنات الياء، وبَيْص من بنات الواو، فصُيِّرت الواو ياء ليزدوجا.

يُضرب لمن وقع في أمر لا مَخْلَص له منه فِراراً أو فَوْتاً.

تَطْلُبُ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ

العَيْن: المعاينة.

يُضرب لمن ترك شيئاً يَرَاه ثم تبع أَثره بعد فوت عينه.

أول من قال ذلك مالك بن عمرو العاملي، وفي كتاب أبي عبيد مالك بن عمرو الباهلي، قال: وذلك أن بعض ملوك غَسَّان كان يطلب في عاملة ذَحلاً، فأخذ منهم رجلين يقال لهما: مالك وسماك ابنا عمرو، فاحتبسهما عنده زماناً، ثم دعاهما فقال لهما: إني قاتل أحَدَكما، فأيُّكما أقتل؟ فجعل كلٌّ واحد منهما يقول: اقتلني مكان أخي، فلما رأى ذلك قتل سِمَاكاً وخلَّى سبيل مالك، فقال سماك حين ظن أنه مقتول:

ألا من شَجَتْ ليلةٌ عامدَهْ
كما أبداً ليلَةٌ واحدَهْ

فأبْلِغْ قُضاعة إن جئْتَهمْ
وخُصَّ سَرَاة بني ساعدهْ
وأبلغ نِزاراً على نأيها
بأنَّ الرِّماح هي الْعائِدَهْ
وأقْسِمُ لو قَتَلُوا مالكاً
لكُنْتُ لهم حَيَّةً رَاصِدَهْ
برأس سبيل عَلَى مَرْقَب
ويوماً على طُرُقٍ وارِدَهْ
فأُمَّ سِماكَ فَلاَ تَجْزَعي
فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الوالدهْ

وانصرف مالك إلى قومه، فلبث فيهم زماناً، ثم إن رَكْباً مرُّوا وأحدهم يتغنى بهذا البيت:

وأقْسِمُ لو قتلوا مالكاً
لكنت لهم حَيَّةً رَاصِدَه

فسمعتْ بذلك أمُّ سماك، فقالت: يا مالك، قبح الله الحياة بعد سماك! اخْرُجْ في الطلب بأخيك. فخرج في الطلب، فلقي قاتلَ أخيه يسيرُ في ناس من قومه، فقال: من أحَسَّ لي الجمل الأحمر؟ فقالوا له وعرفوه: يا مالك لك مائة من الإبل فكُفَّ، فقال: لا أطلب أثراً بعد عين، فذهبت مثلاً، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله، وقال في ذلك:

يا راكباً بَلِّغاً ولا تَدَعا
بني قُمَيْر وإنْ هُمُ جَزِعُوا
فَلْيَجِدُوا مثلَ مَا وَجَدْتُ فقدْ
كنْتُ حَزِيناً قد مَسَّنِي وَجَعُ

لا أسمع اللهوَ في الحديث
ولا ينفعني في الفراش مُضْطَجَعُ
لا وَجْدُ ثَكْلَى كما وَجَدْتُ ولا
وَجْدُ عَجُول أضَلَّها رُبَعُ
ولا كبير أضَلَّ ناقَتَهُ
يوم تَوافَي الحَجِيجُ واجْتَمَعُوا
ينظر في أوجُه الرِّكاب فـ
يَعْرِفُ شيئاً والوَجْهُ ملتمِعُ
جَلَّلْتُه صارمَ الحديدة
كالملح وفيه سَفَاسِقٌ لُمَعُ
بين ضُمَيْر وباب جلَّقَ في
أثوابه من دمائه دُفَعُ
أضْرِبُهُ بادياً نَواجذُه
يدعو صَداه والرأسُ مُنْصَدعُ
بني قُمَيْر قَتَلْتُ سيِّدَكم
فاليومَ لا رَنَّةٌ ولا جَزَعُ
فاليوم قُمْنا على السَّواء فإنْ
تجرُوا فدهري ودهرُكُمْ جَذَعُ

تَسْمَعُ بالْمُعَيْدِيِّ خَيرٌ مِن أَنْ تَرَاهُ

ويروى: «لأنْ تَسْمَعَ بالمعَيْدي خير» و«أنْ تَسْمَعَ» ويروى: «تسمع بالمعيدي لا أن تراه»، والمختار «أن تسمع».

يُضرب لمن خَبَرُه خَيْرٌ من مَرْآه، ودخلت الباء على تقدير: تُحَدَّث به خير.

أولُ مَنْ قال ذلك المنذر بن ماء السماء، وكان من حديثه أن كُبَيْشَ بن جابر أخا ضَمْرَة بن جابر من بني نَهْشَل، كان عَرَضَ لأمة لزرارة بن عُدَسُ يقال لها رُشَيَّة كانت سَبِيَّةً أصابها زُرَارة من الرُّفَيْدَاتِ[1]، وهم حيٌّ من العرب، فولدت له عمراً وذُؤَيبا وبُرغوثا، فمات كُبَيْش وترعرع الغِلْمَة، فقال لقيط بن زرارة: يارُشَيَّة مَنْ أبو بنيك؟ قالت: كبيش بن جابر، قال: فاذهبي بهؤلاء الغلمة فغَلِّسي بهم وجه ضمرة وخَبِّرِية مَنْ هم. وكان لقيط عدوًّا لضَمْرة، فانطلقت بهم إلى ضَمْرة فقال: ما هؤلاء؟ قالت: بنو أخيك، فانتزع منْها الغلمة وقال: الْحَقِي بأهلك. فرجعت فأخبرت أهلها بالخبر، فركب زُرارة وكان رجلاً حليماً حتى أتى بني نَهْشَل فقال: رُدُّوا عليَّ غِلْمَتي، فسبّه بنو نهشل، وأهْجَرُوا له، فلما رأى ذلك انصرف، فقال له قومُه: ما صنعت؟ قال: خيراً، ما أحْسَنَ ما لقيني به قومي! فمكث حولاً، ثم أتاهم فأعادوا عليه أسْوَأ ما كانوا. قالوا له: فانصرف، فقال

(١) الرفيدات: قبيلة من كلب.

له قومه: ما صنعت؟ قال: خيراً، قد أحْسَنَ بنو عمي وأجملوا، فمكث بذلك سبعَ سنين يأتيهم في كل سنة، فيردُّونه بأسوأ الردّ، فبينما بنو نهشل يسيرون ضُحى إذ لحق بهم لاحقٌ، فأخبرهم أن زرارة قد مات، فقال ضمرة: يا بني نهشل، إنه قد مات حليم إخوتكم اليوم فاتقوهم بحقهم، ثم قال ضمرة لنسائه: قِفْنَ أقْسم بينكن الثكل ـ وكانت عنده هند بنت كرب بن صفوان وامرأةٌ يقال لها خُلَيْدَة من بني عجل وسَبية من عبد القيس وسَبِية من الأزد من بني طَمَثان، وكان لهنَّ أولاد غير خُليدة ـ فقالت لهند وكانت لها مُصافية: ولِّي الثكل بنت غيرك ـ، فأرسلتها مثلاً، فأخذ ضمرة شِقَّة بن ضمرة وأمه هند وشهاب بن ضمرة وأمه العبدية وعنوة بن ضمرة وأمه الطمثانية، فأرسل بهم إلى لقيط بن زرارة وقال: هؤلاء رُهُن لك بغلمتك حتى أرضيك منهم. فلما وقع بنو ضمرة في يدي لقيط أساء ولايتهم وجفاهم وأهانهم، فقال في ذلك ضمرة بن جابر:

صرمْتُ إخاء شِقَّةَ يوم غَوْل
وإخْوَتِه فلا حَلَّتْ حِلالي
كأني إذ رَهَنْتُ بنيَّ قَوْمِي
دفعتهم إلى الصُّهْب السِّبَال(١)
ولم أرْهَنْهُم بدم ولكن
رهنتهمُ بصُلْح أو بمالِ
صرمْتُ إخاء شقة يوم غَوْلٍ
وحق إخاء شقَّةَ بالْوِصَالِ

(١) الصهب السبال، كناية عن الأعداء.

فأجابه لقيط:

أبـــا قَـــطَـــن إنّـــي أراكَ حـزيـنـاً
وإن الـــعَـــجُـــولَ لا تـبـالـي حـنـيـنـا
أفِـــي أنْ صَـــبَـــرْتُم نـصـفَ عـــام لحقنا
ونـــحـــنُ صـبـرنـا قَـــبْـــلُ سَـــبْـــعَ سنينا

فقال ضمرة بن جابر:

لـــعـــمـــرك إنـــنـــي وطِـــلابَ حُـــبِّـــي
وتـــرك بـــنـــيّ فـــي الـــشُّـــرَط الأعـــادي
لَمِـــنْ نَـــوْكَـــى الـــشـــيـــوخِ وكَـــانَ مثلي
إذا مـــا ضَـــلَّ لـــم يُـــنَـــعَـــشْ بـــهـــادي

ثم إن بني نَهْشَـل طلبوا إلى المنذر بن ماء السماء أن يطلبهم من لَقيط. فقال لهم المنذر: نَحُّوا عني وجوهكم، ثم أمر بشراب وطعام ودعا لقيطاً فأكلا وشـربا، حتى إذا أخذ الشـراب منهما قال المنذر للقيط: يا خير الفتيان، ما تقول في رجل اختارَكَ الليلة على نَدَامى مُضَرَ؟ قال: وما أقول فيه! أقول: إنه لا يسألني شيئاً إلا أعطيتهُ إياه غير الغِلْمة، قال المنذر: أمّا إذِ استثنيتَ فلستُ قابلاً منك شيئاً حتى تعطيَني كلَّ شـيء سـألْتك، قال: فذلك لك، قال: فإني أسألك الغلمة أن تَهَبهم لي، قال: سَلْني غيرهم، قال: ما أسألُك غيرهم، فأرسل لقيط إليهم فدفَعهم إلى المنذر، فلما أصبح لقيط لامَهُ قومُه، فندم فقال في المنذر:

إنـــك لـــو غَـــطَّـــيْـــتَ أَرْجَـــاءَ هُـــوَّة
مُـــغَـــمَّـــســـة لا يُـــسْـــتَـــثَـــارُ تُـــرَابُـــهـــا

بِثَوْبِكَ في الظلماء ثم دَعَوْتَني
لجئْتُ إليها سادراً لا أُهابُها
فأصْبَحْتُ مَوْجُوداً عليَّ مُلَوِّماً
كأن نُضِيَتْ عن حائض لي ثيابُها

قال: فأرسل المنذر إلى الغلْمة ـ وقد مات ضمرة وكان صديقاً للمنذر ـ فلما دخل عليه الغلْمة وكان يسمع بِشَقَّةَ ويعجبه ما يبلغه عنه، فلما رآه قال: «تَسْمَعُ بالمعيديِّ خَيْرٌ من أن تراه» فأرسلها مثلاً، قال شقة: أَبَيْتَ اللعن وأسعدك إلهكَ! إن القوم ليْسُوا بجُزْر ـ يعني الشاة ـ إنما يعيش الرجلُ بأصْغَرَيْه لسانه وقلبه، فأعجب المنذرَ كلامُه، وسره كلُّ ما رأى منه، قال: فسماه ضَمْرة باسم أبيه، فهو ضَمْرة بن ضمرة وذهب قوله: «يعيش الرجل بأصغريه» مثلاً، وينشد على هذا:

ظننت به خَيْراً فقصَّرَ دونه
فيارُبَّ مظنون به الخيرُ يُخْلِفُ

وقريبٌ من هذا ما يُحْكَى أن الحجاج أرسل إلى عبد الملك بن مروان بكتاب مع رجل، فجعل عبدُالملك يقرأ الكتاب ثم يسأل الرجل فيَشْفيه بجواب ما يسأله، فيرفع عبد الملك رأسَه إليه فيراه أَسْوَدَ، فلما أعجبه ظَرْفه وبيانُه قال متمثلاً:

فإن عَرَاراً إن يكن غَيْرَ وَاضح
فإني أُحِبُّ الجَوْنَ ذَا المَنْكِب الْعَمَمْ

فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين هل تدري مَنْ عَرَار؟ أنا والله عَرار بن عمرو بن شأس الأسدي الشاعر!

تَرِبَتْ يَدَاكَ

يقال للرجل إذا قلَّ ماله: قد تَرِبَ أي افتقر حتى لَصِق بالتراب، وهذه كلمة جارية على ألسنة العرب، يقولونها ولا يريدون وقوع الأمر، ألا تراهم يقولون: لا أرْضَ لك، ولا أمَّ لك، ويعلمون أن له أرضاً وأمّاً!

جَرَى الْوَادِي فَطَمَّ عَلَى القَرِيِّ

أي: جرى سيلُ الوادي فطَمَّ أي: دفن، يُقال: طَمَّ السيلُ الركيَّةَ أي: دفنها، والقرِيُّ: مَجْرَى الماء في الرَّوضة، والجمع أَقْرِيَة وقِرْيَان، وعلى مِنْ صلة المعنى، أيْ: أتى على القَرِيِّ، يعني أهلكه بأن دفنه.
يُضرب عند تجاوز الشرّ حَدَّه.

جَزَاءَ سِنِمَّارٍ

أي جَزَاني جزاء سنمار، وهو رجل روميّ بَنَى الخوَرْنَقَ الذي بظَهْر الكوفة للنعمان بن أمرئ القيس، فلمّا فرغ منه ألقاه من أعلاه فَخَرَّ ميّتاً، وإنّما فعل ذلك لئلّا يبني مثله لغيره، فضربت العرب به المثَلَ لمن يجزى بالإحسان الإساءة، قال الشاعر:

جَـزَتْـنـا بـنـو سـعـد بُـحـسْـن فِـعَـالِـنـاَ
جَـزاء سِـنِـمَّـار ومـا كـانَ ذَا ذَنْـب

ويقـال: وهو الذي بني أطمَ أُحَيْحَةَ بـن الجُلَاح، فلما فرغ منه قال له أُحَيْحَة: لقـد أحكمتَه! قال: إنّي لأعرفُ فيه حجراً لو نُزِع لتقوَّضَ من عند آخره، فسـأله عن الحجـر، فأراه موضعه، فدفعه أُحَيحَة من الأُطُم ميتاً.

جَعْجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْناً

أي: أسـمعُ جَعْجَعَـةً. والطِّحنُ: الدقيـق، فِعْل بمعنى مفعول كالذِّبحْ والفِرْق بمعنى المذبوح والمفروق.
يُضرب لم يَعِدُ ولا يفي.

جَاءَ بِالطِّمِّ وَالرِّمِّ

الطِّـم: البحرُ، وقال ابن الأنبـاري: الطِّم: الماء الكثير، والرِّم: الثرَى، قال الأزهريّ: الطَّمُّ بالفتح: البحر، وإنما كُسِرتْ الطاء في هذا المثل لمجاورة الرِّمِّ.

جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعك

ويُرْوَى: «أجِع كلبك».

وكلاهما يُضرب في معاشرة اللئام وما ينبغي أن يعامَلوا به.

أوّل من قال ذلك ملك من ملوك حِمْيَر كان عنيفاً على أهل مملكته: يَغْصِبُهم أموالهم ويَسْلُبهم ما في أيديهم، وكان الكَهَنَةُ تخبره أنّهم سيقتلونه؛ فلا يَحفَل بذلك، وإنّ امرأتَه سمعت أصوات السُّؤَّال فقالت: إني لأرْحَم هؤلاء لما يَلْقَوْ من الجَهْد، ونحن في العيش الرَّغْد، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سِباعاً، وقد كانو لنا أتباعاً، فردّ عليها: «جَوِّعْ كلبك يتبعك!» وأرسَلَها مَثَلاً، فَلبث بذلك زماناً، ثم أغزاهم فغنموا ولم يَقْسِمْ فيهم شيئاً، فلمّا خرجو من عنده قالوا لأخيه وهو أميرُهم: قد ترى ما نحن فيه من الجَهد، ونحن نكره خروج المُلْك منكم أهلَ البيت إلى غيركم فساعِدْنا على قتل أخيك، واجلس مكانه، وكان قد عَرَف بَغْيه واعتداءه عليهم، فأجابهم إلى ذلك، فوثَبوا عليه فقتلوه، فمرّ به عامر بن جُذيمة وهو مقتول، وقد سمع بقوله: «جَوِّعْ كلبك يتبعك» فقال: رُبّما أكل الكلْب مؤدِّبه إذا لم ينل شِبَعَه، فأرسلَها مَثَلاً.

جَاوَزَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ

الطُّبْيُ للحافر والسِّباع: كالضّرْع لغيرها.

يُضرب هذا عند بلوغ الشِّدَّة مُنْتَهاها.

وكتب عثمان إلى عليّ ـ رضي الله عنهما ـ لما حُوصِر: «أمّا بعد فإن السَّيْلَ قد بلغ الزُّبَى، وجاوز الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ، وتجاوز الأمرُ بي قَدْرَه، وطَمِعَ فيَّ مَنْ لا يدفع عن نفسه.

وإنَّكَ لَم يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفاخِر
ضَعِيف، ولَم يَغْلِبْكَ مِثلُ مُغَلَّبِ

ورأيت القومَ لا يقصُرون دون دمي.

فإن كُنْتُ مأكُولاً فكُنْ أنت آكلي
وإلّا فأدْرِكْني وَلَمَّا أمَزَّقِ

جَاءوا عَلى بَكْرَةِ أَبِيهِمْ

أي جاءوا جميعاً لم يتخلَّف منهم أحد، وليس هناك بكرة في الحقيقة.

وقيل: البَكْرَة تأنيث البَكْر وهو الفتيُّ من الإبل، يصفهم بالقِلَّة،

أي جاءوا بحيث تحملهم بكرة أبيهم قِلَّة.

وقيل: البَكرة هاهنا التي يُسْتَقَى عليها، أي جاءوا بعضهم على أَثَر بعض كَدَوَرَان البَكرة على نَسَق واحد. وقيل: أرادوا بالبكرة الطرِيقَةَ، كأنهم قالوا: جاءوا على طريقة أبيهم أي يَتَقَيَّلُون أثرَه. وقال ابن الأعرابيّ: البَكرة جماعة الناس، يقال: جاءوا على بَكْرتهم، وبَكْرة أبيهم، أي بأجمعهم. فعلى قول ابن الأعرابيّ يكون «على» في المثل بمعنى مع، أي جاءوا مع جماعة أبيهم، أي: مع قبيلته، ويجوز أن يكون «على» من صلة معنى الكلام، أي جاءوا مُشتملين على قبيلة أبيهم؛ هذا هو الأصل، ثمّ يُستعمل في اجتماع القوم وإنْ لم يكونوا من نسب واحد، ويجوز أن يراد البَكرة التي يُستقى عليها، وهي إذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مُسْتَقِينَ لا يمنعهم عنها أحد، فشبّه اجتماع القوم في المجيئ باجتماع أولئك على بَكرة أبيهم.

حَالَ الجَرِيضُ دُونَ القَرِيضِ

الجَرِيض: الغُصَّة، من الجَرَض وهو الريق يُغَصّ به، يُقال: جَرِض بريقه يَجْرَضُ، وهو أن يبتَلع ريقَه على همٍّ وحزن، يقال: مات فلان جَرِيضا، أي مغموماً.

والقَرِيض: الشِّعْرُ، وأصله جِرَّةُ البعيرِ. وحال: مَنَع.

يُضرب للأُمر يُقْدَرُ عليه أخيراً حين لا يَنْفَع.

وأصلُ المثل أنَّ رجلاً كان له ابنٌ نَبَغ في الشِّعر، فنهاه أبوه عن ذلك، فجاْشَ به صَدْرُه، ومَرِض حتَّى أشرف على الهلاك، فأذِن له أبوه في قول الشِّعر، فقال هذا القول.

حَنَّت وَلاتَ هَنَّتْ وَأَنَّى لكِ مَقْرُوعُ

هَنَّت: من الهَنين وهو الحنين، يُقال: هَنَّ يَهِنُّ بمعنى حَنَّ يَحِنُّ، وقد يكون بمعنى بكى؛ وقال:

لما رأى الدارَ خَلاءً هَنَّا

ولات: مَفْصُولة من هَنَّتْ؛ أي لاتَ حين هَنَّتْ، فحذف «حين» لكثرة ما يستعمل لَات معه، وللعلم به؛ ويروى: «ولا تَهَنَّتْ» أراد تَهَنأتْ فَلَّين الهمزة.

كانت الهَيْجُمانَة بنت العَنْبر بن عمرو تَعْشَق عَبْشَمْس بن سعد؛ وكان يلَّقب بمقروع، فأراد أن يُغير على قبيلة الهَيْجُمانَة؛ وعلمت بذلك الهَيْجُمانَة؛ فأخبرت أباها؛ فقال مازن بن مالك بن عمرو: حنَّتْ ولاتَ هَنَّتْ، أي اشتاقت؛ وليس وقت اشتياقها؛ ثم رجع من الغَيْبَة إلى الخِطاب فقال: وأنَّى لَكِ مقروع! أي من أين تظفرين به!

يُضرب لمن يَحنُّ إلى مطلوبه قبل أوانه.

وحكي أن عَبْشَمْس بن سعد، وكان اسمه عبد العُزَّى، كان وسيم

الوجه حسن الخلقة، فسمى بعبشمس، وعبء الشمس ضوؤها، فحذفت الهمزة، وهو ابن سعد بن زيد مناة شغف بحب الهيجمانة، فمُنع عنها وقُوتِل، فجاء الحارث بن كعب بن سعد ليذُبَّ عن عمرو؛ فضُرب على رجله فشُلَّت، فسمِّي الأعرج؛ فسار عَبْشَمْس إليهم وسألهم أنْ يُعطوه حقَّه من رجل الأعرج، فتأبَّى عليه بنو عنبر بن عمرو، فقال عَبْشَمْس لقومه: إن خَرَج إليكم مازن بن مالك بن عمرو مترجِّلاً قد لبس ثيابه، وتزيَّنَ فظُنُّوا به شرّاً. وإن جاءكم أشْعَثَ الرأس خبيثَ النَّفس فإنِّي أرجو أن يُعطوكم حقَّكم، فلمَّا أمْسَوْا راح إليهم مازن مترجِّلاً قد لبس ثيابه وتزَينَ لهم، فارتابُوا به، فدسَّ عَبْشَمسٌ بعض أصحابه إليهم، ليسترق السمع، ويتحسَّس ما يقولون، فسمع رجلاً من الرِّعاء يقول:

لا نَعْقِلُ الرِّجْلَ ولا نَدِيَها
حَتَّى ترى دَاهِيَةً تُنسيهاَ

فلما عاد الرَّجل إلى عَبْشَمْس وخبّره بما سمع قال عَبْشَمْس: إذا جنَّ عليكم الليل بَرِّزُوا رحالَكم، وأقيموا ناحية، ففعلوا وتركوا خيامهم، فنادى مازن، وأقبل إلى القبَّة: ألا لَاحَيَّ بالقرى فإذا الرجال قد جاءوا وعليهم السلاح حتى أحاطوا بالقُبّة فاكتنفوها، فإذا القُبَّة خالية من بني سعد، فلما علم عَبْشَمْس بذلك جمع بني سعد فغزاهم، فلما كان بعَقْوَتهم(١) نزل في ليلة ذات ظُلْمَة ورعد وبرق، وأقام حتى يغير عليهم صُبْحاً، وكان يدور على قومه

---

(١) عقوة الدار: ساحتها.

ويَحُوطهم مـن دبيب الليل، وكانت الهَيْجُمانَة عاركاً[١] ـ والعارك لا تخالـط أهلها ـ وأضاء البرق فرأت سـاقيْ مقروع، فأتَتْ أباها تحت الليل، فقالت: إني رأيت سـاقى عَبْشَمْس في البرق فعرفته، فأرسـل العنبر في بني عمرو فجمعهم، فلمَّا أتوْه خبَّرهم بما سمع من الهيجمانة، فقال مازن: حَنَّتْ ولاتَ هَنَّت، وأنّى لَكِ مقروع، ثـم قال مازن للعنبر: ما كنت حقيقاً أن تجمعنا لعشـق جارية، ثم تفرَّقـوا عنه، فقال لها العنبر عند ذلك: أيْ بُنيَّة، اصدُقي فإنه ليس للكذوب رأي، فأرسلها مثلاً، فنجا العنبر من تحت الليل، وصبَّحهم بنو سـعد فأدركوهم وقتلوا منهم ناسـاً كثيراً، ثم إنّ عَبْشَمْس تبع العَنْبر حتى أدركه، وهو على فرسـه وعليه أداتُه يَسُـوق إبلَه، فلما لحقـه قال: يا عنبـر، دع أهلك، فإن لنا وإنّ لـك، فأجابه العنبر وقال: لكن مَنْ تقدَّم منعته، ومَنْ تأخَّر عَقَرْته، فدنا منه عَبْشَمْس، فلمّا رأتهْ الهيجمانة نزعت خمارها، وكشفت عن وجهها، وقالتْ: يا مَقْرُوع، نَشَـدْتُكَ الرحِمَ لَمَا وهبته لي! وتضرَّعَتْ إلى عَبْشَمس، فوهَبَه لها.

---

(١) المرأة العارك: الحائض.

حَسْبُكَ مِنْ شَرّ سَماعُهُ

أي اكْتَف من الشرِّ بسماعه، ولا تُعايِنْه، ويجوز أن يُريد: يَكْفِيك سَمَاعُ الشرِّ، وإنْ لم تُقْدِم عليه ولم تُنسَبْ إليه.

حَدِيثُ خُرَافَةَ

هو رجل من عُذْرة استهوتهْ الجنّ، كما تزعُم العرب مدّةً، ثم لمَّا رجع أخبرَ بما رأى منهم، فكذَّبوه حتى قالوا لما لا يمكن: حَديث خُرافة، وعن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «خُرافة حقٌّ»[1]، يعنى ما تحدَّث به عن الجِنِّ حَق.

حَذْوَ القُذَّةِ بالْقُذَّةِ

أي: مثلاً بمثل.

يُضرب في التَّسْوية بين الشيئين.

ومثله «حَذْوَ النَّعْل بالنَّعْلِ»، والقُذَّة لعلَّها من القَذِّ وهو القطع،

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٢٨٣)، وضعفه الشيخ شعيب الأرنؤوط، وكذا ضعفه الشيخ حسين سليم أسد في تعليقه على مسند أبي يعلى (٤٤٤٢).

يعنى به قَطْعَ الريشــة المقذوذة على قدر صاحبتها في التَّسْوية وهي فُعْلَــة بمعنى مفعولة كاللُّقْمَة والغُرْفــة، والتَّقدير حَذْياً حَذْواً، ومَنْ رفع أراد: هُمَا حَذْوُ القُذّة.

حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ

هذا مســتعارٌ من حَلَبَ أَشْطُرَ الناقة، وذلك إذا حلب خلْفَين من أخلافهــا، ثم يحلبها الثانية خلْفَيْن أيضاً، ونصبَ «أشْــطُرَه» على البدل، فكأنه قال: حلَبَ أشطرَ الدهر.

والمعنى أنه اخْتبَر الدهْر شَطْرَيْ خيره وشرِّه؛ فعرَف ما فيه.

يُضْرب فيمن جَرَّب الدهر.

حَسْبُكَ مِنَ القِلادَة مَا أحَاطَ بِالعُنُقِ

أي: اكْتَفِ بالقليل من الكثير.

حَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ

الغارب: أعلى السَّنام، وهذا كناية عن الطلاق، أي اذْهَبي حيثُ شئت، وأصلُه أنَّ الناقة إذا رَعَت وعليها الخِطامُ أُلقي على غاربها؛

لأنَّها إذا رأت الخِطامَ لم يهنأها شيء.

حبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ

أي: يخفي عليك مساويه، ويُصمُّك عن سماع العذل فيه.

الحَرْبُ خُدْعَة

يُروى بفتح الخاء وضمها، واختار ثعلب الفتحة، وقال: ذُكِرَ لي أنه لغة النبي ﷺ، وهي فَعْلَة من الخَدْع، يعني أنّ المحارب إذا خَدَع مَنْ يُحَاربه مرة واحدة وانخدع له ظَفِرَ به وهَزَمه، والخُدْعة بالضمِّ معناها أن يخدع فيها القِرْنَ، وروى الكسائي خُدَعَة ـ بضم الخاء وفتح الدال ـ جعله نَعْتاً للحَرْب: أي: أنها تَخْدَع الرجال، ومثله هُمَزَة ولُمَزَة ولُعَنَة، للذي يَهْمز ويَلْمِز ويَلْعَن، وهذا قياس.

الحَدِيثُ ذُو شُجُون

أي ذو طُرُق، والواحدُ شَجْنٌ بسكون الجيم، والشَّواجِنُ: أودية كثيرة الشَّجَر، الواحدةُ شاَجِنة، وأصل هذه الكلمة الاتصال والالتفاف، ومنه الشِجْنَةُ والشَّجنة: الشَّجَرَة الملتفَّة الأغصان.

يُضرب هذا المثل في الحديث يُتَذَكَّر به غيره.

وقد نظم الشيخ أبوبكر عليّ بن الحسين القهستانيّ هذا المثل ومثلاً آخر في بيت واحد، وأحسن ما شاء، وهو:

تَذَكَّر نَجْداً والحَدِيثُ شُجُون
فَجُنَّ اشْتِيَاقاً والجُنُونُ فُنُونُ

وأوّل من قال هذا المثل ضَبَّة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر، وكان له ابنان يُقال لأحدهما: سَعْد، وللآخر: سعيد، فنفَرَتْ إبلٌ لضبّة تحت الليل، فَوَجَّه ابنيْه في طَلَبها، فتفرَّقا فوجدها سعد، فردَّها، ومضى سعيدٌ في طلبها، فلَقِيَه الحارث بن كعب، وكان عَلَى الغلام بُرْدَان، فسأله الحارث إيَّاهما، فأَبَى عليه، فقتله وأخذ بُرْدَيْه، فكان ضبَّة إذا أمسى فرأى تحت الليل سَوَاداً، قال: أَسَعْد أم سعيد؟ فذهب قوله مثلاً.

يُضرب في النَّجاح والخَيْبَة، فمكث ضبّة بذلك ما شاء الله أن يمكُث، ثم إنّه حجَّ فوافى عُكاظ، فلقي بها الحارث بن كعب ورأى بُرْدَيْ ابنه سعد، فعرَفَهما، فقال له: هل أنت مُخْبري ما هذان البرْدان اللذان عليك؟ قال: بلَى، لقيتُ غلاماً وهما عليه فسألْتُه إياهما فأبَى عليَّ فقتلته وأخذتُ بُرْدَيه هذين، فقال ضَبَّة: بسيفك هذا؟ قال: نعم، فقال: فأعطنيه أنظر إليه فإني أظنُّه صارماً، فأعطاه الحارث سيفه، فلمَّا أَخَذَهُ من يده هزّه، وقال: الحديثُ ذو شجون ثم ضربه به حتى قتله فقيل له: يا ضَبّة أفي الشهر الحرام؟ فقال: «سَبَقَ السيفُ العَذَلَ»؛ فهو أوّل مَنْ سار عنه هذه الأمثال الثلاثة،

قال الفرزدق:

لا تـأمـنَنَّ الحـربَ إنَّ اسْـتـعـارَهـا
كَـضَـبَّـةَ إذ قـال: الحَـديـثُ شُـجُـونُ

أَحَقُّ الخَيْل بالرَّكْضِ المُعَارُ

قالوا: المُعَار من العارِيَّة، والمعنى: لا شَفقَة لك على العارِيَّة؛ لأنها ليست لك، واحتَجُّوا بالبيْت الذي قبله، وهو من قول بِشْر بن أبي خازم يَصِف الفرسَ:

كـأن حَـفِـيـفَ مَـنْـخِـره إذا مـا
كَـتَـمْـنَ الـرَّبْـوَ كِـيـرٌ مُـسْـتَـعَـار

وَجَـدْنَـا فـي كـتـاب بـنـي تميم
أحَـقُّ الخـيـل بـالـرَّكـض المُـعَـارُ

قالوا: والكير إذا كان عارِيَّة كان أشَدَّ لكدِّه، وقال مَنْ رَدَّ هذا القول: المُعَار المُسَمَّنُ، يقال: «أعَرتَ الفرَس إعارة» إذا سَمَّنْتَه، واحتج بقول الشاعر:

أعِـيـرُوا خَـيْـلَـكـم ثـم ارْكُـضُـوهـا
أحَـقُّ الخَـيْـل بـالـركـض المُـعَـارُ

واحتجّ أيضاً بأن أبا عبيدة كان يَزْعُمُ أن قوله:

وجـدنـا فـي كـتـاب بـنـي تميم

ليس لبشر، إنما هو للطِّرِمَّاح، وكان أبو سعيد الضَّرير يروي: «المُغَار» بالغين المعجمة ـ المضَمَّر، من قولهم: «أغَرْت الخَيْلَ» إذا

فَتَلْتَه.

قلتُ: يجوز أن يكون «المعار» بالعين المهملة من قولهم: عارَ الفَرَسُ بَعيرُ، إذا انْفَلتَ وذهب ها هنا وها هنا، وأعاره صاحبهُ إذا حمله على ذلك؛ فهو يقول: أحقُّ الخيلِ بأن يُرْكَضَ ما كان مُعار لأنَّ صاحبَه لم يُشْفق عليه، فغيرُه أحقُّ بألَّا يُشفقَ عليه.

وقال أبو عبيدة: مَنْ جعل المُعَار من العاريّة فقد أخطأ.

الحُمَّى أَضْرَعَتْنِي لَكَ

يُضرب هذا في الذل عند الحاجة تنزل.

ويُرَوَى: «الحمَّى أضرعتني للنَّوم»، قال المفضل: أوّل من قال ذلك رجل من كَلْب يُقال له مرير، ويُرْوَى مرين، وكان له أخَوان أكبر منه يقال لهما: مرارة ومُرَّة، وكان مرير لصَّاً مُغيراً؛ وكان يقال له الذِّئب؛ وإن مرارة خرج يتصيّد في جبل لهم فاختطفته الجنّ؛ وبلغ أهلَه خَبَره فانطلق مُرَّة في أثره حتى إذا كان بذلك المكان اختُطف؛ وكان مرير غائباً، فلما قدم بلغه الخبر، فأقسم لا يشرب خمراً ولا يمس رأسه غسلٌ حتى يطلب بأخويه، فتنكَّب قوسَه وأخذ أسهماً، ثم انطلق إلى ذلك الجبل الذي هَلَك فيه أخَوَاه، فمكث فيه سبعة أيام لا يرى شيئاً، حتى إذا كان في اليوم الثامن إذا هو بظَليم، فرماه فأصابه واسْتَقَلَّ الظَّليمُ حتى وقع في أسفل الجبل، فلما وجبت الشمسُ بصُر بشخص قائم على صَخْرة ينادي:

يا أيُّها الرامي الظَّليم الأسْوَدَ
تَبَّتْ مَرَامِيكَ التي لم تَرْشُدِ

فأجابه مرير:
يا أيُّها الهاتف فَوْقَ الصَّخْرَهْ
كم عَبْرَةٍ هَيَّجْتَهَا وَعَبْرَهْ
بقتلكم مَرارَةَ ومُرَّهْ
فَرَّقْتَ جمعاً وتركْت حَسْرَهْ

فتوارَي الجنِّي عنه هَوِيًّا من الليل، وأصابت مريراً حمّى، فغلبته عيناه، فأتاه الجنِّي فاحتمله، وقال له: ما أنَامَكَ وقد كنتَ حذِراً! فقال: الحمَّى أضْرَعْتني للنوم، فذهبت مثلاً، وقال جرير:

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ فتيانَ قَوْمِي
بما لا قَيْتُ بعدهُمُ جميعا
غزوْت الجنَّ أطلبهم بثأري
لأسْقِيَهُمْ به سمَّا نَقيعاَ
فَيَعرِضُ لي ظَليمٌ بعد سبع
فأرْميهِ فأتْركهُ صَريعاَ

في أبيات أخر يطول ذكرها.

أَحَشَفاً وَسُوءَ كِيلَةٍ

الكيلة: فِعْلَة من الكَيْل، وهي تدلّ على الهيئة والحالة نحو الرِّكْبة والجِلْسَة.

والحَشَفُ: أَرْدَأ التمر، أي أتجمَعَ حَشفَاً وسوء كَيْل!
يُضرب لمن يجمع بين خَصْلتين مكروهتين.

الْحقُّ أبْلَجُ وَ الباَطلُ لجلَجٌ

يعني أنّ الحقّ واضح، يقال: صُبْح أبْلَجُ، أي مُشْرق، ومنه قوله:

حتَّى بَـدَتْ أَعْـنَـاقُ صُبْحٍ أبْلَجَا

وفي صفة النبيّ ﷺ: «أبْلَجُ الوجه» أي مَشْرِقُه. والباطلُ لجلَج: أي مُلْتَبِس، قال المبرِّد: قوله: لجلج أي يَتَرَدَّد فيه صاحبُه ولا يُصِيب منه مخرجاً.

أحْبِبْ حَبيبَكَ هَوْناً ما

أي أحْبِبْهُ حُبَّاً هَوْناً، أي: سَهْلاً يسيراً، وما تأكيد، ويجوز أن يكون للإبهام، أي: حُبَّاً مُبْهَماً لا يكثر ولا يظهر، كما نقول: أعْطِنِي شيئاً ما، أي: شيئاً يَقَعُ عليه اسم العطاء، وإنْ كان قليلاً. والمعنى لا تُطْلعه على جميع أسْرَارِكَ؛ فلعلّه يتغير يوماً عن مودّتك، وقال النَّمرُ بن تَولَب:

أحْبِبْ حَبِيبَكَ حُبَّاً رُوَيداً
فَقَدْ لا يَعُولُك أنْ تَصرِمَا

وأبغضْ بغيضَك بُغضاً رُوَيداً
إذا أنْتَ حاوَلْتَ أن تَحْكُما

ويُرْوَى: «فليس يَعُولك» أي فليس يَغْلبك ويفوتك صَرْمُه، وقوله: «أن تحكُما»، أي أن تكون حكيماً، والغرض من جميع هذا كلِّه النَّهْيُ عن الإفراط في الحبّ والبُغْض، والأمرُ بالاعتدال في المعنيين.

حتى يُؤَلَّف بَيْنَ الضَّبِّ والنُّونِ

الضب يعيش في الصحراء، والنون ـ أي الحوت ـ يعيش في البحر، وهما لا يأتلفان أبداً، قال الشاعر:

إن يهبط النُّون أرضَ الضَّبِّ يَنْصرُه
يضلل ويأكله قَوْمٌ غَرَائِنُ

الحَرْبُ سِجَالٌ

المُسَاجَلَة: أن تَصْنَع مثلَ صنيع صاحبك من جَرْي أو سَقْي، وأصله من السَّجْل، وهو الدَّلْو فيها ماء قلّ أو كثرَ، ولا يقال لها وهي فارغة: سَجْل، قال الفضل بن العباس بن عُتْبة بن أبي لهب:

مَنْ يُساجِلْني يُساجِلْ ماجدا
يَمْلأ الدَّلْوَ إلى عَقْد الكَرَبْ

وقال أبو سفيان يوم أُحُد بعدَما وقعت الهزيمة على المسلمين: اعْلُ هُبَلُ اعْلُ هُبَلُ، فقال عمر: يا رسول الله ألا أجيبه؟ قال: «بَلَى يا عمر»، قال عمر: الله أعْلَى وأجَلّ، فقال أبو سُفيان: يا بنَ الخطَّاب، إنه يومُ الصَّمْت، يوماً بيَوْم بَدْر، وإنَّ الأيام دُوَل، وإنّ الحرب سِجَال، فقال عمر: ولاَ سَوَاء، قَتلاَنا في الجنَّة وقَتْلاَكم في النَّار، فقال أبو سفيان: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خِبْنَا إذَنْ وخَسِرْنا.

الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ

يعني أنَّ المؤمن يَحْرِصُ على جَمْع الحِكَم من أين يجدها يأخذها.

خَالِفْ تُذْكَرْ

أوَّل مَنْ قال ذلك الحطَيئة، وكان وَرَدَ الكوفة فلقيَ رجلاً فقال: دُلَّني على أفتى المصر نائلاً، قال: عليك بُعتَيْبَةَ بن النَّهاس العجليّ، فمضى نحو داره، فصادفه، فقال: أنت عُتَيْبَة؟ قال: لا، قال: فأنت عتَّاب؟ قال: لا، قال: إنَّ اسمك لشَبيه بذلك، قال: أنا عُتْيبةُ فَمَنْ أنتَ؟ قال: أنا جَرْوَل، قال: ومن جَرْوَل؟ قال: أبو مُلَيْكَة، قال: ووالله ما ازدَدْتَ إلَّا عمى، قال: أنا الحُطَيْئَة، قال: مَرْحَباً بك، قال الحطَيْئة: فحدِّثني عن أشْعر الناس من هو؟ قال: أنت،

قال الحُطَيْئة: خالف تُذْكَرْ، بلِ أشعرُ مِنِّي الذي يقول:

ومَــنْ يَــجْــعَــلِ المَــعْــرُوف مــن دون عــرْضِــه
يَــفِــرْهُ، ومَــنْ لا يَــتَّــقِ الــشَــتــم يُــشْــتَــم
ومَــنْ يَــكُ ذا فَــضْــل فَــيَــبْــخَــلْ بــفَــضْــلــه
عــلــى قــومِــه يُــسْــتَــغْــنَ عــنــه ويُــذْمَم

قال: صَدَقْتَ، فما حاجتُك؟ قال: ثيابُك هذه فإنَّها قد أعْجبَتْني، وكان عليه مُطْرَف خَزّ، وجُبّة خزّ، وعمامة خَزّ، فدعا بثياب فلبسها ودفع ثيابه إليه، ثم قال له: ما حاجَتُك أيضاً؟ قال: مَيرَة أهلي مِنْ حَبٍّ وتمرٍ وكسوة، فدعا عَوْناً له فأمره أن يميرَهم وأن يكسوَ أهله، فقال الحُطَيْئة: العَوْدُ أحْمَدُ، ثمّ خرج من عنده وهو يقول:

سُــئِــلْــتَ فــلــم تَــبْــخَــلْ ولَــمْ تُــعْــطِ طــائــلاً
فــســيَّــان لا ذَمٌّ عَــلَــيْــكَ ولا حَــمْــدُ!

خَطْبٌ يَسيرٌ في خَطْبٍ كَبيرٍ

قاله قَصير بن سعد اللَّخميّ لجذيمة بن مالك بن نصر الذي يُقال له: جذيمة الأَبْرَش وجذيمة الوضَّاح، والعربُ تقول للذي به البرص: به وَضَح، تفادياً من ذكر البرص.

وكان جذيمة ملك ما على شاطئ الفُرات، وكانت الزَّبّاء مَلكة الجزيرة وكانت من أهل باَجَرْمى[1] وتتكلَّم بالعربية، وكان جذيمة

(١) باجرمى: قرية من أعمال بلخ.

قد وترها بقتل أبيها، فلمَّا استجمع أمرها، وانتظم شملُ مُلْكها، أحَبَّتْ أن تغزو جذيمة، ثم رأت أن تكتب إليه أنها لم تجد مُلْكَ النِّساء إلا قبحاً في السَّماع، وضعفاً في السُّلطان، وأنّها لم تجد لملكها موضعاً، ولا لنفسها كُفؤاً غيرك، فأقبلْ إليَّ لأجمع مُلْكي إلى مُلْكك وأصل بلادي ببلادك، وتقلّدَ أمري مع أمرك. تريد بذلك الغَدر.

فلمَّا أتَى كتابُها جذيمة وقدم عليه رسُلها استخفه ما دَعَتْه إليه، ورغب فيما أطمعته فيه، فجمع أهل الحجاَ والرَّأْي من ثقاته، وهو يؤمئذ ببقَّة من شاطئ الفرات، فعرض عليهم ما دَعَتْه إليه، وعرضَتْ عليه؛ فاجتمع رأيُهم على أن يَسيَر إليها فيستولي على مُلْكها، وكان فيهم قَصير، وكان أريباً حازماً عند جذيمة، فخالفهم فيما أشاروا به، وقال: الرَّأْي أن تَكْتُب إليها، فإنْ كانت صادقة في قولها فَلْتُقْبل إليك وإلا فلا تُمكِّنْها من نفسك، ولم تقع في حبالتها، وقد وَتَرْتَها وقتلت أباها، فلم يُوافق جذيمة ما أشار به، فقال قصير:

إنِّي امْرُؤٌ لا يُميلُ العَجْزُ تَرْوِيَتي
إذا أتَتْ دُونَ شيء مرة الوَذَم

فقال جذيمة: لا، «ولكنَّك امرؤ رأيُك في الكِنِّ لا في الضِّحِّ» فذهبت كلمته مثلاً، ودعاَ جذيمة عمرو بن عديٍّ ابن أُخته فاستشاره، فشجَّعه على المسير، وقال: إنَّ قومي مع الزَّبَّاء، ولو قد رَأوكَ صاروا معك، فأحَبَّ جذيمة ما قاله، وعَصَى قصيراً، فقال قصير: «لا يُطَاعَ لِقَصِير أمرٌ»، فذهبت مثلاً، واستخلف جذيمة عمرَو بن

عدي على ملكه وسلطانه، وجعل عمرو بن عبد الجنّ معه على جنوده وخيوله، وسار جذيمة في وجوه أصحابه، فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي.

فلما نزل دعا قصيراً فقال: ما الرَّأي يا قصير؟ فقال قصير: «ببقَّة خَلَّفْتُ الرَّأْي» فذهبت مثلاً، قال: وما ظنُّك بالزَّبَّاء؟ قال: «القول رداف، والحزم عَثَراته تُخاف»، فذهبت مثلاً، واستقبله رسل الزَّبَّاء بالهدايا والألطاف، فقال: يا قصيرُ كيف ترى؟ قال: «خَطْبٌ يسير في خطْب كبير»، فذهبت مثلاً، وسَتَلْقَاكَ الجيوش، فإنْ سارت أمامك فالمرأة صادقة، وإن أخذت جَنْبَتَيْك وأحاطت بك مِنْ خلفك فالقوم غادرون بك، فاركَب العصا «فإنه لا يُشَقُّ غُبارَه»، فذهبت مثلاً ـ وكانت العصا فرساً لجذيمة لا تجارى ـ وإنّي راكبها ومسايرك عليها، فلقيته الخيول والكتائب، فحالت بينه وبين العصا، فركبها قصير، ونظر إليه جذيمة على مَتْن العصا مُوَلِّياً فقال: «وَيْلُ أمه حزماً على متن العصا»، فذهبت مثلاً؛ وجرت به إلى غروب الشَّمس، ثم نفقت، وقد قطعت أرضاً بعيدة، فبنى عليها بُرْجاً يُقال له برج العصا، وقالت العرب: «خيرُ ما جاءت به العصا»، فذهبت مثلاً، وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزَّبَّاء، فلما رأته تكشفَّتْ فإذا هي مضفورة الأسب، فقال: يا جذيمة «أدأب عروس ترى؟» فذهبت مثلاً، فقال جذيمة: «بلغ المدى، وجفَّ الثَّرى، وأمْرَ غَدْر أرى» فذهبت مثلاً.

ودعت بالسيف والنِّطْعَ ثم قالت: إنَّ دماء الملوك شفاء من الكَلَب،

فأمرت بطَسْتٍ من ذَهَب، قد أعدته له وسقته الخمر حتى سكر، وأخذت الخمر منه مأخذها، فأمرت براهشيه فقطعا، وقدَّمت إليه الطَّسْتَ، وقد قيل لها: إنْ قطر من دمه شيء في غير الطَّسْت طُلب بدمه، وكانت الملوك لا تُقْتل بضرب الأعناق إلَّا في القتال تكرمه للملك، فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه في غير الطَّسْت، فقالت: لا تضَيِّعوا دم الملك، فقال جذيمة: «دَعُوا دَماً ضَيَّعه أهله»، فذهبت مثلاً، فهلك جذيمة، وجعلت الزَّبَّاء دمه في ربعة لها، وخرج قصير من الحي الذي هلكت العصا بين أظهرهم، حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة، فقال له قصير: «أثائر أنت؟» قال: «بل ثائر سائر»، فذهبت مثلاً، ووافق قصير الناس، وقد اختلفوا؛ فصارت طائفة مع عمرو بن عدي اللخمي، وجماعة منهم مع عمرو بن عبد الجن الجرمي.

فاختلف بينهما قصير حتى اصطلحا وانقاد عمر بن عبد الجنِّ لعمرو بن عدي، فقال قصير لعمرو بن عدي: تَهَيَّأْ واستعدَّ ولا تطلنَّ دم خالك، قال: وكيف لي بها، وهي «أمْنَعُ من عُقَاب الجوّ»؟ فذهبت مثلاً، وكان الزَّباءُ سألت كاهنةً لها عن هلاكها، فقالت: أرى هلاكك بسبب غُلام مَهين، غير أمين، وهو عمرو بن عدي، ولن تموتي بيده، ولكنَّ حَتْفك بيدك، ومن قِبَله ما يكون ذلك.

فحذرت عمراً واتَّخَذَتْ لها نفقاً من مجلسها الذي تجلسُ فيه إلى حصن لها في داخل مدينتها، وقالت: إن فَجَأني أمرٌ دخلت النَّفق إلى حصني، ودعت رجلاً مصوراً من أجود أهل بلاده تصويراً

وأحسنهم عملاً، فجهزته وأحسنت إليه، وقالت: سر تقدم على عمرو بن عدي متنكراً فتخلو بحشمه وتنضم إليهم وتخالطهم وتعلِّمهم ما عندك من العلم بالصُّور، ثم أثبت لي عمرو بن عدي معرفة؛ فصوره جالساً وقائماً وراكباً ومتفضِّلاً ومتسلِّحاً بهيئته ولبسته ولونه، فإذا أحكمت ذلك فأقبل إليّ، فانطلق المصوِّر حتى قدم على عمرو بن عدي وصنع الذي أمرته به الزَّبَّاء، وبلغ من ذلك ما أوصته به، ثم رجع إلى الزَّبّاء بعلم ما وجَّهته له من الصُّور على ما وصفت، وأرادت أن تعرف عمرو بن عدي، فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرته، وعلمت عِلْمَهُ، فقال قصير لعمرو بن عدي: اجْدَعْ أنفي، واضرب ظَهري، ودَعْني وإيَّاها، فقال عمرو: ما أنا بفاعل، وما أنت لذلك مستحقاً عندي، فقال قصير: «خَلِّ عَنِّي إذَن وخَلاَك ذمّ»، فذهبت مثلاً، فقال له عمرو: فأنت أبْصَرُ، فجدع قصيرٌ أنفه، وأثَّر آثاراً بظهره، فقالت العرب: «لِمَكْر مّا جَدَعَ قصير أنفه»، وفي ذلك يقول المتلمِّس:

وفي طَلَبِ الأوْتارِ ما حَزَّ أنْفَهَ
قَصيرٌ، ورَام الموتَ بالسيف بَيْهسُ(١)

ثم خرج قصير كأنه هارب، وأظهر أن عمراً فعل ذلك به، وأنّه زعم أنه مَكَر بخاله جذيمة وغَرَّه من الزَّبَّاء؛ فسار قصير حتى قدم على الزَّبَّاء، فقيل لها: إنَّ قصيراً بالباب، فأمرت به فأدخل عليها، فإذا أنْفُه قد جُدع، وظهرُه قد ضُرب، فقالت: ما الذي أرى بك

(١) الأوتار: جمع وتر، وهو الثأر.

يـــا قصير؟ قال: زعَم عمرو أنّي قد غَرَرْت خاله، وزيَّنْتُ له المصير إليك، وغَشَشتُه، وما لأتك، ففعل بي ما ترين.

فأقبلـــت إليك وعَرَّفْتُه أنِّي لا أكون مع أحد هو أثقلُ عليه منك. فأكرَمَتْـــه وأصابـــت عنده من الحزم والرَّأي مـــا أرادت، فلمَّا عرف أنهـــا استرســـلتْ إليه ووثقت به قال: إن لي بالعـــراق أموالاً كثيرة وطرائف وثيابـــاً وعطراً، فابعثيني إلى العراق لأحمل مالي وأحمل إليك من بزوزها وطرائفهـــا وثيابها وطيبها، وتصيبين في ذلك من التمـــر الصَّرَفان، وكان يُعجبها، فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له، ودفعت إليه أمولاً وجَهَّزت معه عبيداً.

فســـار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق، وأتي الحيرة متنكراً، فدخل علي عمرو فأخبره الخبر، وقال: جَهِّزْني بصنوف البز والأمتعه، لعلَّ الله يمكن من الزَّبَّاء فتصيبُ ثأرك، وتقتلُ عدوّك، فأعطاه حاجته.

فرجع بذلك إلى الزَّبَّاء، فأعجبها ما رأت وســـرَّها، وازدادت به ثقة، وجهزته ثانية فسار حتى قدم على عمرو فهجزه وعاد إليها، ثم عـــاد الثالثة وقال لعمرو: اجمع لي ثقات أصحابك، وهَيِّئ الغرائر والمُسُـــوح واحمل كلَّ رجلين على بعير فـــي غرارتين، فإذا دخلوا مدينـــة الزَّبَّاء أقَمْتُك على باب نفقهـــا وخرجت الرِّجال من الغرائر فصاحـــوا بأهل المدينة، فمن قاتلهم قتلـــوه، وإن أقبلت الزَّبَّاء تريد النفق جَلَّلتَها بالسَّـــيْف. ففعل عمرو، وحمـــل الرِّجال في الغرائر بالسِّـــلاح، وسار يكْمُنُ النهار، ويســـير اللَّيل، فلمّا صار قريباً من مدينتها، تقدَّم قصير فبشَّـــرها وأعلمها بما جاء من المتاع والطَّرائف،

وقال لها: «آخر البَزِّ على القَلُوص» فأرسلها مثلاً، وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جاء به، وقال لها: جئْتُ بما صاءَ وصَمَت، فذهبت مثلاً، ثم خرجت الزَّبَّاء، فأبصرت الإبل تكاد قواها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها، فقالت: يا قصير:

ما لِلْجِمالَ مَشْيُهُا وَئِيدَا
أجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أمْ حديدا
أمْ صَرَفَانَاً تارَزاً شديدا

فقال قصير في نفسه:

بَلِ الرِّجالَ قُبَّضاً قُعُوداً

فدخلت الإبل المدينة حتى كان آخرها بعيراً مرَّ على بَوَّاب المدينة، وكان بيده منخسة. فنخس بها الغِرَارة فأصابت خاصرة الرَّجل الذي فيها، فَضَرَط، فقال البواب بالرُّومية «بشنب ساقاً»، يقول: «شرٌّ في الجُوالق»، فأرسلها مثلاً، فلما توسَّطت الابل المدينة أنيخَتْ ودلَّ قَصيرٌ عمراً على باب النَّفق الذي كانت الزَّبَّآء تدخله، وأرته إياه قبل ذلك، وخرجت الرِّجال من الغَرَائر فصاحوا بأهل المدينة، ووضعوا فيهم السِّلاح، وقام عمرو على باب النَّفق: وأقبَلَت الزَّبَّاء تريد النَّفق، فأبصرت عمراً فعرفته بالصُّورة التي صُوِّرت لها، فمصَّتْ خاتمها وكان فيه السُّمّ وقالت: «بيدَي لا بيَدِ عمرو».

فذهبت كلمتها مثلاً، وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها، وانكفأ راجعاً إلى العراق.

خَلَا لَكِ الجْوُّ فَبِيضي وَاصْفِرِي

أوّل من قال ذلك: طَرَفة بن العبد الشاعر، وذلك أنَّه كان مع عمِّه في سَفَر وهو صبيّ، فنزلوا على ماء، فذهب طرفة بِفُخَيخ له فنصبه للقَنَابر، وبقي عامة يومه فلم يصد شيئاً، ثم حمل فخَّه ورجع إلى عَمِّه، وتحمَّلوا من ذلك المكان، فرأى القنابر يَلْقُطْنَ ما نثر لَهُنَّ من الحبِّ، فقال:

يا لَكِ من قُنْبَرَةٍ بِمَعْمَرِ
خَلَا لَكِ الجوُّ فَبِيضي وَاصْفِرِي
وَنَقِّرِي مَا شِئْتِ أن تُنَقِّرِي
قَدْ رَحَلَ الصَّيَّادُ عنك فأَبْشِرِي
وَرُفِعَ الفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي
لا بُدَّ من صيدك يوماً فاصْبِرِي

وحذف النون من قوله: «تحذري» لوفاق القافية، أو لالتقاء الساكنين.

قال أبو عبيد: يروى عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنَّه قال لابن الزبير حين خرج الحسين ـ رضي الله عنه ـ إلى العراق: خَلَا لك الجَوّ فبيضي واصفري.

يُضرب في الحاجة يَتَمَكَّن منها صاحبها.

خَيرُ الأُمورِ أَوْسَاطُهَا

يُضرب في التمُّسك بالاقتصاد.

قال أعرابيٌّ للحَسنَ البصريُّ: عَلِّمني ديناً وَسُوطاً، لا ذاهبا فَرُوطا، ولا ساقطا سَقُوطاً، فقال: أحسنت يا أعرابيّ، خيرُ الأمور أوساطُها.

الخُنْفَسَاء إذَا مُسَّت نَتَّنَتْ

أي جاءت بالنَّتن الكثير.

يُضرب لمن يَنْطَوي على خُبث، فيقال: لا تُفَتِّشُوا عما عنده فإنه يؤذيكم بنتن معايبه، والخُنفَساء بفتح الفاء ممدود هذه الدويبة، والأنثى خنفساه، وقال الأصمعي: لا يُقال خُنْفساه بالهاء، والخُنْفس لغة في الخَنفساء، والأنثى خُنْفُسة.

أَخْطَأَتِ اُسْتُهُ الحُفْرَةَ

يُضرب لمن رام شيئاً فلم يَنَلْه.

يُروى أنَّ المختار بن عبيد قال وهو بالكوفة: والله لأدْخَلَنَّ البصرة لا أرمى بكتَّاب ثم لأَمْلِكَنَّ السِّنْدَ والهندَ والبند، أنا والله صاحب

الخضراء والبيضاء، والمسجد الذي ينبع منه الماء، فلما بلغ هذا القول الحجَّاجَ بن يوسف قال: أخطأتِ اسْتُ ابن عبيد الحُفْرَةَ، أنا والله صاحبُ ذاك.

الخيرُ عادَة، والشرُّ لجاجةٌ

جعل الخير عادة لعود النَّفْس إليه، وحرصها عليه إذا ألفته لطيب ثمره وحسن أثره، وجعل الشَّرَّ لَجَاجة لما فيه من الاعوجاج ولا جتواء العقل إيَّاه.

أخْطَبُ مِنْ سَحْبان وَائِلٍ

وهو رجُل من باهلة، وكان من خطبائها وشعرائها، وهو الذي يقول:

لَقَدْ عَلِمَ الحيُّ اليمانُونَ أنَّني
إذا قُلْتُ أمَّا بَعْدُ أني خَطِيبُها

وهو الذي قال لطلحة الطَّلحات[1] الخزاعي:

يا طَلْحُ أكْرَمَ مَنْ بها
حَسَباً وأعْطاهُمْ لِتالِدْ

(١) طلحة بن عبد الله الخزاعي، أحد الأجواد المتقدمين، وكان أجود أهل زمانه، ولاه زياد بن مسلمة على سجستان، فتوفي بها سنة ٦٥هـ.

مِــــنْــــكَ الْـــعَــــطـــاءَ فــأَعْـــطِــنِــي
وعَـــلَـــيّ مَـــدْحُـــكَ فِـــي المَــشـــاهِـــدْ

فقال له طلحة: احتكم، فقال: بِرْذَونْك الأشهب الورد، وغلامك الخباز، وقصرك بزَرَنج[1] وعشرة آلاف، فقال له طلحة: أفٍّ لم تسألني على قدري، وإنما سألتني على قدرك وقدر باهلة، ولو سألتني كلَّ قصر لي وعبد ودابة لأعطيتك، ثم أمر له بما سأل ولم يزده عليه شيئاً، وقال: تالله ما رأيت مسألة مُحَكم ألأم من هذا.

وطلحة هذا هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وأمَّا طلحة الطَّلَحات الذي يُقال له طلحة الخير وطلحة الفياض، فهو طلحة بن عبيد الله التيمي، من الصَّحابة، ومن المهاجرين الأوَّلين، ومن العشرة المسمَّين للجنَّة، وكان يُكنى أبا محمد، ـ رضي الله عنه ـ.

أَخْرَقُ مِنْ حَمَامَةٍ

لأنَّها لا تُحْكِم عُشَّها، وذلك أنَّها ربَّما جاءتْ إلى الغُصْن من الشَّجرة، فتبني عليه عُشَّا في الموضع الذي تذهب به الرِّيح وتجيئ، فَبيضُها أضْيَعُ، وما ينكسر منه أكثر مما يسلم، قال عَبيد بن الأبرص:

عَــيُّـــوا بـــأمــرِهِــمُ كَـــمَـــا
عَـــيَّـــتْ بِـبـيـضـتِـهـا الْحَـمـامَـهْ

(١) زرنج: مدينة بسجستان.

جَـعَـلَـتْ لـهـا عُـودَيْـن مـن نَـشَـم وآخَـرَ مـن ثُـمـامَـهْ

ويُروى: وعُوداً من ثمُامه

أَخْيَبُ مِنْ حُنَين

أصل المثل أنَّ هاشم بن عبد مناف كان رجلاً كثير التقلُّب في أحياء العرب للتِّجارات والوفادات على الملوك وكان نُكَحَة، فكان أوصى أهله أنَّه متى أتوا بمولود معه علامته قبلوه، وتصير علامة قبولهم إياه، أن يكسوه ثياباً، ويلبسوه خفّاً. ثم إنَّ هاشماً تزوج في حيٍّ من أحياء اليمن، وارتحل عنهم، فولد له غلام فسَّماه جدُّه أبو أمِّه حُنَيْناً، وحمله إلى قريش مع رجل من أهله، فسأل عن رهط هاشم، فُدل عليهم، فأتاهم بالغلام، وقال: إنَّ هذا ابن هاشم، فطالبوه بالعلامة، فلم تكن معه، فلم يقبلوه، فردَّ الغلام إلى أهله فحين رَأوْه قالوا جاء بخفِّ حُنَيْن، أي جاء خائباً حين جاء في خُفِّ نفسه، أي لو قُبل لألبس خفَّ أبيه.

وقال غيره: كان حُنَيْنٌ رجلاً عِبادياً(١) من أهل دومة الكوفة، وهي النَّجف محلة منها، وهو الذي يقول:

---

(١) العِباد، بسكر العين: قوم من قبائل شتي من بطون العرب، وقالوا نحن العباد، اجتمعوا على النصرانية، فأنفوا أن يتسموا بالعبيد، وقالوا: نحن العباد، وكانوا ينزلون الحيرة، ومنهم عدي بن زيد العبادي الشاعر المشهور.

أَنَـــا حُـــنَـــيْنٌ وَدَاري الـــنجـفُ
وما نَـــديمــي إلا الْـــفَـــتَـــى الـــقَـــصِـــفُ
لـيـس نَـــديمِـــي المُـــبَـــخّـــلُ الـصَّـــلِـــفُّ

وكان من قصته أن دَعاه قومٌ من أهل الكوفة إلى الصَّحراء ليغنِّيَهم، فمضَى معهم، فلما سكر سلبوه ثيابه، وتركوه عرياناً في خُفَّيْه، فلمَّا رجع إلى أهله وأبصروه بتلك الحالة قالوا: جاء حُنَين بخيبه، ثمّ قالوا: أخْيَبُ من حُنَين؛ فصار مثلاً لكلّ خائب وخاسر، ثم قالوا: «أصْحَبُ لليائس من خُفَّي حنُين»، فصار مثلاً لكل يائس وقانط ومكدٍ.

أَخْدَعُ مِنْ ضَبّ

التَّخدع: التواري، والمخْدَع من هذا أخذ، وهو بيتٌ في جوف بيت يُتَوَارى فيه، وقالوا في الضب ذلك لتواريه وطول إقامته في جُحْره وقله ظهوره.

دُونَ ذَلِكَ خَرْطُ القَتَاد

الخَرْطُ: قَشْرُكَ الوَرَقَ عن الشَّجَرة اجتذاباً بَكَفِّك، والقَتَاد: شجر له شَوْك أمثال الإبَرِ.
يُضرب للأمر دونه مانع.

الدَّمَ الدَّمَ وَالهَدَمَ الهَدَمَ

جعل الهَدْمَ هَدَماً مُحَرَّكَ الدال متابعة لقوله: «الدَّمَ الدَّمَ»، يعني أنّي أبايِعُكَ على أنّ دَمي في دمك وهَدمِي في هَدْمك، قاله عَطاء بن مصعب، ونصب «الدَّمّ» على التحذير، أي احذر سَفْكَ دَمِي، فإن دمي دمك، وكذلك هَدْمي هَدْمُكَ.

يُضرب عند استجلاب منفعة للوفاق والاتحاد.

دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ

النْهبُ: المالُ المنهوب، وكذلك النُّهْبَى، والحجرات: النواحي.

يُضرب لمن ذهب من ماله شيء ثم ذهب بعده ما هو أجلُّ منه.

وهذا من بيت أمرئ القيس، قاله حين نزل على خالد بن سَدوس بن أصمع النَّبْهَاني، فأغار عليه باعث بن حويص وذهب بإبله، فقال له جاره خالد: أعطني صنائعك ورواحلك، حتى أطلب عليها مالك، ففعل، فانطوى عليها، ويقال: بل لحق القوم، فقال لهم: أغرتم على جاري يا بني جديلة! فقالوا: والله ما هو لك بجاره، قال: بلى والله ما هذه الإبل التي معكم إلا كالرَّواحل التي تحتي! قالوا: كذلك، فأنزلوه وذهبوا بها، فقال امرؤ القيس فيما هجاه به:

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ في حَجَرَاتِه
وَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِل

يقول: دع النَّهب الذي انتهبه باعث، ولكن حدِّثني حديثاً عن الرَّواحل التي ذهبت أنتَ بها ما فعلتْ، ثم قال في هجائه:

وأعْجَبَني مَشْيُ الحُزُقَّةِ خالد
كَمَشْيِ أَتَانٍ حُلِّئَتْ عن مَنَاهِل

ذَهَبَ أَمْسِ بِمَا فِيهِ

أول من قال ذلك ضَمْضَم بن عمرو اليَرْبُوعيّ، وكان هوي امرأة، فطلبها بكل حيلة فأبت عليه، وقد كان غِرٌّ بن ثعلبه بن يَرْبوع يختلف إليها، ، فاتبع ضمضم أثرهما وقد اجتمعا في مكان واحد، فصار في خَمَرٍ إلى جانبهما يراهما ولا يريانه، فقال غِرّ:

قديماً تُواتِينَنِي وتَأبى بنفسها
على المرء جَوّابُ التَّنُوفَةِ ضَمْضَمِ

فشدّ عليه ضمضم فقتله، وقال:

سَتَعْلَمُ أنِّي لست آمن مبغضاً
وأنَّكَ عَنْهَا إنْ نأيْتَ بمَعْزل

فقيل له: لِمَ قتلت ابن عمك؟ قال: ذهب أمس بما فيه، فذهب قوله مثلاً.

ذَهَبُوا أَيْدي سَبا، وَتَفرَّقُوا أَيْدي سَبا

أي تفرَّقوا تَفَرُّقاً لا اجتماع معه.

عن فروة بن مسيك، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أخبرني عن سبأ، أرجل هو أم امرأة؟ فقال: «هو رجل من العرب، ولد عَشَرَةً، تَيَامَنَ منهم ستَّة، وتشاءم منهم أربعة، فأمَّا الذين تيامَنُوا فالأزْد وكِنْدَة ومَذْحِج والأشْعَرون وأنْمار منهم بجيلة؛ وأمَّا الذين تشاءَمُوا فعاملة وغَسَّان ولَخْم وجُذام، وهم الذين أرْسَلَ عليهم سَيْلَ العَرِم، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشِّحْر وأوْدِية اليمن، فرَدَمُوا رَدْما بين جبلين، وحبسوا الماء، وجعلوا في ذلك الرَّدْم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يَسْقُون من الباب الأعْلَى، ثمّ من الثاني ثمّ من الثالث، فأخْصَبوا، وكَثُرَت أموالهم، فلمَّا كذَّبوا رسولهم، بَعَثَ الله جُرَذاً نقبت ذلك الرَّدْم حتى انقض، فدخل الماء جَنَّتَيْهم فغرقهما، ودفن السَّيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ:١٦]»[١].

والعَرِم: جمع عَرِمة، وهي السِّكْرُ الذي يحبس الماء، وقال ابن الأعرابي: العَرِم السَّيْلُ الذي لا يُطَاق، وقال قتادة ومقاتل: العَرِم اسم وادي سبأ.

وعن أبي صالح قال: أَلْقَتْ طريفة الكاهنة[٢] إلى عمرو بن عامر

---

(١) صحيح الترمذي للألباني ـ رحمه الله ـ (٢٥٧٤) وحسن إسناده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٣٩ ط دار المعرفة).

(٢) ثم جاء الإسلام بتحريم الكهانة، وتحريم سؤالهم أو تصديقهم؛ حفظاً لدين المسلم أن يتعلق بغير الله ممن يستعينون بالشياطين، ويخلطون الكلمة بمئة كذبة. فالحمد لله على هدايته.

الذي يقال له مُزَيْقيا بن ماء السماء، وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبه بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغَوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان، وكانت قد رأت في كهانتها أنَّ سَدَّ مأرب سَيَخْرب، وأنَّه سيأتي سَيْلُ العَرِم فيُخرب الجنّتْين، فباع عمروو بن عامر أمواله، وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة فأقاموا بمكة وما حولها، فأصابتهم الحمَّى، وكانوا ببلد لا يَدْرُون فيه ما الحمى، فدعوا طريفة فشكوا إليها الذي أصابهم، فقالت لهم: قد أصابني الذي تشكون، وهو مُفَرِّق بيننا، قالوا: فماذا تأمُرين؟ قالت: من كان منكم ذا هَمٍّ بعيد، وجَمَل شديد، ومَزاد جديد، فلْيلْحَق بقصر عُمان المشيد، فكانت أزْدُ عُمان. ثم قالت: مَنْ كان منكم ذا جلَد وقَسْر، وصَبْر على أزمات الدَّهْر، فعليه بالأرَاك من بطن مُرّ، فكانت خُزاعة، ثمّ قالت: من كان منكم يريد الرّاسيات في الوَحْل، المُطْعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النَّخْل، فكانت الأوْس والخزْرج، ثم قالت: من كان منكم يريد الخمر والخمير، والملك والتَّأْمير، ويلبس الدِّيباج والحرير، فليلحق ببصرى وغَوير، وهما من أرض الشَّام، فكان الذين سكنوها آل جَفْنة من غسَّان، ثم قالت: من كان منكم يريد الثياب الرِّقاق، والخيل العتاق، وكنوز الأرْزاق، والدَّم المُهْراق، فليلحق بأرض العراق، فكان الذين سكنوها آل جَذيمة الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرّق.

ذَكَّرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِياً

قيل: إنّ أصلَه أنّ رجلاً حمل على رجل ليقتله، وكان في يد المحمول عليه رُمْح فأنْساه الدَّهش والجَزَعُ مافي يده، فقال له الحامل: ألْقِ الرُّمْحَ، فقال الآخر: إنَّ معي رمحاً لا أشعربه؟ ذكَّرْتَنِي الطَّعْنَ... المثل، وحمل على صاحبه فَطَعَنه حتى قتله أو هزمه.

يُضرب في تذكر الشي بغيره.

يُقال: إن الحامل صَخْر بن معاوية السُّلمي، والمحمول عليه يزيد بن الصَّعق.

وقيل: أوَّل من قاله رهيم بن حزن الهلالي، وكان انتقل بأهله وماله من بلده يُريدُ بلداً آخر، فاعترضه قوم من بني تَغْلِب فعرفوه وهو لا يعرفهم، فقالو له: خَلِّ ما معك وانجُ، قال لهم: دونكم المال، ولا تعرضوا للحُرَم، فقال له بعضهم: إنْ أردْتَ أن نفعل ذلك فألق رُمْحَك، فقال: وإنَّ معي لَرُمْحاً؟ فشدَّ عليهم فجعل يقتلهم واحداً بعد واحد وهو يترتجز ويقول:

رُدُّوا على أقْرَبِهَا الأقاصيا
إنَّ لها بالمَشْرَفيِّ حادِيا
ذكَّرتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ ناسِيا

رَمَتْنِي بدَائِهَا وانْسَلَّتْ

هـذا المثل لإحدى ضرائر رُهْم بنت الْخَزرَج امرأة سَعْد بن زيد مناة رَمَتْها رُهْم بِعَيْبٍ كان فيها، فقالت الضَّرّة: رَمَتْنِي بدائها... المثل.

يُضرب لمن يعير صاحبه بعيب هو فيه.

رَمَاهُ الله بثَالِثَة الأثافِي

قالوا: هي القِطْعَة من الجبل يُوضَع إلى جَنْبها حَجَران ويُنْصَب عليها القِدْر.

يُضرب لمن رُمي بداهية، ويُضرب لمن لا يُبقي من الشرِّ؛ لأنَّ الأثفيَّة ثلاثة أحجار كلُّ حجر مثلُ رأس الإنسان؛ فإذا رماه بالثالثة فقد بلغ النِّهاية، كذا قاله الأزهريّ، قال البديعُ الهَمَذاني:

وَلِي جِسْمٌ كَوَاحِدَةَ المَثَانِي
لَهُ كَبِدٌ كَثَالِثَةِ الأَثَافِي

يُريدُ القطعة من الجبل.

أُرِيهَا السُّهَا وَتُرِينِي القَمَرَ

السُّها: كوكب صغير في بنات نعش.
يُضرب لمن يُغالط فيما لا يخفي.

رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ

يُروى هذا المثل للقمان بن عاد، وذلك أنَّه أقبل ذات يوم، فبينا هو يسير إذْ أصابه عَطَش، فهجم على مِظَلَّة في فنائها امرأة تُداعب رَجُلاً، فاسْتَسْقَى لقمان، فقالت المرأة: اللبنَ تَبْغِي أم الماء؟ قال لُقْمان: «أَيَّهما كان ولا عداء»، فذهبت كلمته مثلاً، قالت المرأة: أما اللبن فخَلْفك وأما الماء فأمامَك، قال لقمان: «المَنْعُ كان أوْجَزَ»، فذهبت مثلاً، قال: فبينا هو كذلك إذ نظر إلى صبيٍّ في البيت يبكي فلا يُكْتَرث له ويَسْتَسْقِي فلا يُسْقَى. فقال: إنْ لم يكن لكم في هذا الصبي حاجة دفَعْتُمُوه إلـيّ فكَفَلْته، فقالت المرأة: ذاك إلى هانئ، وهانئ زوجها، فقال لقمان: وهانئ من العَدَد؟ فذهبت كلمته مثلاً، ثمّ قال لها: مَنْ هذا الشاب إلى جَنْبك فقد علمته ليس ببَعْلك؟ قالت: هذا أخي، قال لقمان: «رُبَّ أخ لم تَلِدْه أُمُّك»، فذهبت مثلاً، ثم نظر إلى أثر زوجها في فَتْل الشَّعَر فعرف في فَتْله شعر البناء

أنّه أعْسَر، فقال: «ثكلَتْ الأعَيْسِرَ أمُّه، ولو يعلم العلْمَ لطال غَمُّه»، فذهب مثلاً، فذُعرت المرأة من قوله ذُعْراً شديداً، فعرَضت عليه الطعَّام والشَّراب، فأَبَى وقال: «المبيت على الطَّوَى حتى تَنَالَ به كريم المَثْوَى خيرٌ من إتيان ما لا تَهْوَى»، فذهبت مثلاً، ثم مضى حتى إذا كان مع العشاء إذا هو برجل يسوق إبله وهو يرتجز ويقول:

رُوحِي إلى الحيِّ فإنَّ نَفْسي
رَهِينَةٌ فيهم بِخَيْرِ عِرْس
حُسَّانَةُ المُقْلَةِ ذَاتُ أنْس
لا يُشْتَرَى اليومُ لها بأمْس

فعرف لقمان صوته ولم يَرَه، فهتف به: يا هانئ، يا هانئ، فقال: ما بالُكَ؟ فقال:

يا ذَا البِجَادِ الحلَكَهْ
والزَّوْجَةِ المُشْتَرَكَهْ
عِشْ رُوَيْداً أبْلُكَهْ
لَيْسَتْ لِمَنْ لَيْسَتْ لَكَهْ

فذهبت مثلاً، قال هانئ: نَوِّرْ نَوِّرْ، لله أبوك! قال لقمان: «عَلَيَّ التنوير، وعليك التَّغيير، وإن كان عندك نكير، كلُّ امرئ في بيته أمير»، فذهبت مثلاً، ثمّ قال: إنِّي مَرَرْتُ وبي أُوَام فدفعت إلى بيت، فإذا أنا بامرأتك تُغازل رجلاً، فسألتها عنه، فزعَمَتْهُ أخاها، ولو كان أخاها لجلَّى عن نفسه وكفاها الكلام، فقال هانئ: وكيف عَلِمْتَ أنّ المنزل منزلي والمرأة امرأتي؟ قال: عرفت عَقَائِقَ هذه النُّوق في البناء، وبوِهَدْة الخليّة في الفناء، وسَقْب هذا الناب، وأَثَر

يدك في الأطناب، قال: صَدقْتَني فِدَاك أبي وأمِّي، وكذبتْني نفسي! فما الرَّأى؟ قال: هل لك علم؟ قال: نعم بشأني، قال لقمان: «كل امرئ بشأنه عليم» فذهبت مثلاً، قال له هانئ: هل بقيت بعد هذه؟ قال لقمان: نعم، قال: وما هو؟ قال: تحمي نفسك، وتحفظ عرسك، قال هانئ: أفعل، قال لقمان: «من يَفْعَل الخَيْر يَجد الخَبَر»، فذهبت مثلاً، ثم قال: الرَّأي أنْ تقلب الظهر بطناً والبطن ظهراً حتى يستبين لك الأمر أمراً؟ قال: أفلا أعاجلها بكَيَّة، توردها المنيّة، فقال لُقمان: «آخر الدَّوَاء الكَيُّ» فأرسلها مثلاً، ثم انطلق الرَّجل حتى أتَى امرأته فقصَّ عليه القصَّة، وسَلَّ سَيْفه فلم يَزَلْ يضربها به حتَّى بَرَدَتْ.

رُبَّ عَجَلَة تَهَبُ رَيْثاً

ويروى: «تَهُبُّ رَيْثاً»، وريثاً: نَصْب على الحال في هذه الرِّواية، أي تهبُّ رائثة، فأقيم المصدر مقام الحال، وفي الرِّواية الأولى نصب على المعفول به.

وأوَّل من قال ذلك مالك بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن مُحَلَّم الشيباني، وكان سنان بن مالك بن أبي عمرو بن عوف بن محلَّم شامَ غَيْما، فأراد أنْ يرحَل بامرأته خماعة بنت عوف بن أبي عمرو، فقال له مالك: أين تظعن يا أخي؟ قال: أطلب موقع هذه السَّحابة، قال: لا تفعل فإنه ربما خيَّلَتْ وليس فيها قَطْر، وأنا أخاف

عليك بعض مقانب العرب، قال: لكني لستُ أخاف ذلك، فمضى، وعَرَضَ له مَرْوان القرظ بن زنباع بن حذيفة العبسيّ فأعجله عنها وانطلق بها وجعلها بين بناته وأخواته، ولم يكشف لها ستراً، فقال مالك بن عوف لسنان: ما فعلت أختي؟ قال: نفتني عنها الرِّماح، فقال مالك: «رُبَّ عجلة تهبُ ريثاً، ورُبَّ فروقة يُدْعَى لَيْثاً، ورُبَّ غَيْث لم يكن غَيْثاً»، فأرسلها مثلاً.

يُضرب للرَّجل يشتدُّ حِرْصه على حاجة ويخرق فيها حتى تذهب كلّها.

رَجَعْتُ أدْرَاجي

أي: في أدراجي، فحذف «في» وأوصل الفعل، يعني رجعت عودي على بدْئي، وكذلك رَجَعَ أدْرَاجَه، أي: طريقَه الذي جاء منه، قال الرّاعي:

لما دَعَا الدَّعْوَةَ الأولى فأسْمَعَني
أخَذْتُ ثَوْبِي فَاسْتَمْرَرْتُ أدْرَاجي

وُلِّقب عامر بن مجنون الجرْمي جَرْم زبّان «مُدَرِّج الريح» لبيته:

أعَرَفْتَ رَسْماً من سُمَيَّةَ باللوى
دَرَجَتْ عليه الرِّيحُ بَعدْكَ فاسْتَوَى

يقال: إنه قال:

أعرفت رسماً من سميّة باللوى

ثم ارتُجَّ عليه سنة، ثم أرسل خادماً إلى منزل كان ينزله قد خَبَأ فيه خبيئة، فلما أتَتْه قال لها: كيف وجدت أثر منزلنا؟ قالت: دَرَجَتْ عليه الرِّيحُ بعدك فاستوى، فأتَمَّ البيت بقولها، ولُقِّبَ «مدرج الريح».

رَضِيتُ مِنْ الغَنِيمَة بالإيابِ

أول مَن قاله امرؤ القيس بن حجر في بيت له، وهو:

وقد طَوَّفْتُ في الآفاق حَتَّى
رضيتُ من الغَنِيمَةِ بالإيابِ

يُضرب عند القَناعة بالسَّلامة

رَجَعَ بخُفَّيْ حُنَيْنٍ

أصله أنّ حُنَيناً كان إسكافاً، من أهل الحِيرة، فساومه أعرابيٌّ بخُفَّين، فاختلفا حَتَّى أغْضَبه، فأراد غَيْظَ الأعرابي، فلما ارتَحَل الأعرابي أخذ حُنَيْنٌ أحد خُفَّيْه وطَرَحه في الطَّريق، ثمّ ألقى الآخر في موضع آخر، فلمَّا مَرَّ الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الْخُفَّ بخفّ حُنَيْن ولو كان معه الآخر لأخذته! ومضى، فلمَّا انتهى إلى الآخر نَدِمَ على تركه الأول، وقد كمن له حُنَيْنٌ، فلمَّا مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حُنَيْن إلى راحلته وما عليها فذهب بها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخُفَّان، فقال له قومه: ماذا

جئت به من سفرك؟ فقال: «جئتكم بِخُفّي حُنَيْن»، فذهبت مثلاً.
يُضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

رُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَام

أي: رُبَّ رمية مصيبة حصلت من رام مخطئ، لا أن تكون رمية من غير رام؛ فإنّ هذا لا يكون قطُّ.

وأول من قال ذلك الحكم بن عبد يغوث المنقريّ، وكان أرمى أهل زمانه، وآلَى يميناً ليذبَحَنَّ على الغَبْغَب[1] مَهاة فحمل قوسَه وكنانته، فلم يَصْنَع يومه ذلك شيئاً، فرجع كئيباً حزيناً، وبات ليلته على ذلك، ثمّ خرج إلى قومه فقال: ما أنتم صانعون فإنِّي قاتل نفسي أسفاً إنْ لم أذبحها اليوم؟ فقال له الحصين بن عبد يغوث أخوه: يا أخي اذبَحْ مكانها عشراً من الإبل ولا تقتل نفسك، قال: لا واللات والعزى لا أظلم عاترة، وأترك النَّافرة، فقال ابنه المطعم بن الحكم: يا أبة احملني معك أرفدك، فقال له أبوه: وما أحمل من رعش وهل، جبان فشِل، فضحك الغلام وقال: إن لم تر أوداجها تخالط أمشاجها فاجعلني وداجها، فانطلقا، فإذا هما بمهاة فرماها الحكم فأخطأت، ثم مرت به أخرى فرماها فأخطأها، فقال: يا أبة أعطني القوس، فأعطاه فرماها فلم يخطئها، فقال أبوه: «رُبَّ رميةٍ من غير رَامٍ».

(١) الغبغب: صنم.

رِضا الناس غايَةٌ لا تُدْرَكُ

هذا المثل يُرْوَى من كلام أكْثَمَ بن صَيْفيّ.

أرْسِلْ حَكِيماً وَلاَ تُوصِهِ

أي: هو مُستْغَنٍ عن الوَصيّة
قالوا: إنّ هذا المثل للقمان الحكيم، قاله لابنه.

أُرِيدُ حِباءَه وَيُرِيدُ قَتْلِي

هذا مَثَلٌ تمثَّل به أمير المؤمنين عليّ ـ رضي الله عنه ـ حين ضربه ابنُ مُلْجَم ـ لعنه الله ـ وباقي البيت:

عَذِيرَكَ مِن خليلِكَ مِنْ مُرَاد

رُبَّ كَلِمةٍ تَقُولُ لِصاحِبِهاَ دَعْنِي

يُضرب في النَّهيِ عن الإكثار مخافة الإهجار.
ذكروا أنّ ملكاً من ملوك حِميرَ خرج مُتَصَيِّداً ومعه نديم له كان

يقرِّبه ويكرمه، فأشرف على صخرة مَلسْاء ووقف عليها، فقال له النديم: لو أن إنساناً ذُبِحَ على هذ الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه؟ فقال الملك: اذْبَحُوه عليها ليرى دمه أين يبلغ، فذُبح عليها، فقال الملك: رُبَّ كلمة تقول لصاحبها دَعْني.

زَوْجٌ مِنْ عُودٍ، خَيْرٌ مِنْ قُعودٍ

هـذا المثل لبعض نساء الأعراب، قال المبرد: حدّثني عليّ بن عبدالله عن ابن عائشة قال: كان ذو الإصبع العدواني رجلاً غيوراً وله بنات أربع، وكان لايزوِّجهن غَيْرَة، فاستمع عليهن يوماً وقد خَلَوْنَ يتحدَّثن، فقالت: قائلة منهنّ: لتَقُلْ كلُّ واحدة منَّا ما في نفسها، ولنصدق جميعاً، فقالت كُبْرَاهُن:

ألا لَيْتَ زَوْجي من أناس ذَوي غنى
حديثُ شباب طَيِّبُ النَّشْر وَالذِّكْرِ
لَصُوق بأكْبَاد النِّساء كأنَّه
خَلِيفَةُ حانٍ لا يُقيم على هَجْرِ

وقالت الثانية:

ألا لَيتَه يُعْطى الجمال بَديهَةً
له جَفْنة تَشْقَى بها النِّيبُ وَ الجُزْرُ
له حَكَمات الدهر من غير كبْرَة
تَشِينُ: فلا وَانٍ ولا ضَرِعٌ غَمْرُ

فقلن لها: أنت تُرِيدين سيداً، وقالت الثالثة:

ألا هَلْ تراها مَرَّة وحَليلُها
أشَم كنَصْل السَّيْف عَيْنَ المُهنَّد
عليمٌ بأدْوَاء النَّساء ورَهْطُهُ
إذا ما انْتَمَى مِنْ أهْل بَيْتي ومَحْتدي

فقلن لها: أنت تريدين ابن عمٍّ لَكِ قد عرفته. وقُلن للصُّغْرَى: ما تقولين؟ قالت: لا أقول شيئاً، فقُلْنَ: لا نَدَعُكِ وذاك، إنَّكِ قد اطَّلَعْتِ على أسرارنا وتكتمين سرك! فقالت: زوج من عود خير من قعود، فخُطِبْنَ، فزوّجن جُمَع، ثمّ أمهلَهُنّ حَوْلاً، ثم زار الكبرى فقال لها: كيف رأيت زوجك؟ فقالت: خير زَوْج، يُكْرِم أهْلَه، ويَنسى فَضْلهَ، قال: فما مالُكم؟ قالت: الإبل، قال: وماهي؟ قالت: نأكلُ لحمانها مزعاً، ونشرب ألبانها جرعاً، وتحملنا وضَعَفتنا معاً. فقال: زَوْج كريم، ومال عميم، ثمّ زار الثَّانية فقال: كيف رَأيْتِ زَوْجَك؟ قالت: يُكْرِم الْحَليلة، ويُقَرِّب الوسيلة، قال: فما مالكم؟ قالت: البقر، قال: وما هي؟ قالت: تألف الفناء، وتملأ الإناء، وتُودِك السِّقاء، ونساء مع نساء، فقال: رضيتِ فحَظيتِ. ثمّ زار الثالثة فقال: كيف رأيت زوجك؟ فقالت: لا سَمْح بذر، ولا بخيل حكر، قال: فما مالكم؟ قالت: المعزى، قال: وما هي؟ قالت: لو كنا نولدها فطماً، ونسلخها أدماً، لم نبع بها نَعَماً، فقال: جذو مُغْنِيَة. ثمّ زار الرَّابعة فقال: كيف رأيت زوجك؟ قالت: شرّ زَوْج، يُكْرِم نَفْسَه، ويَهين عِرْسَه، قال: فما مالُكم؟ قالت: شرّ مال الضّأْن، قال: وما هي؟ قالت: جُوفٌ لا يَشبَعْن،

وهيم لا يَنْقَعْن، وصُمٌّ لا يَسْمَعْن، وأمْرَ مُغْوِيتهن يَتْبَعْن، فقال: «أشبه امرؤ بعضَ بَزِّه».

قال علي بن عبد الله: قلت لابن عائشة: ما قولها «وَأمرَ مُغْوِيتهنَّ يتْبَعْنَ؟».

قال: أما تراهُنَّ يمررن فتسقطُ الواحدة منهنَّ في ماء أو وحل أو غير ذلك فيتبعنها عليه، وقوله: «جذو مُغْنِيَة» جمع جذوة، وهي القطعة.

زُرْغِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً

أول من قال ذلك مُعَاذ بن صِرْم الخُزَاعي، وكانت أمّه من عَكٍّ؛ وكان فارس خزاعة؛ وكان يكثر زيارة أخواله، قال: فاستعار منهم فرساً؛ وأتى قومه؛ فقال له رجل يُقال له جحيش بن سودة، وكان له عدوّاً: أتُسابقني على أن مَنْ سبق صاحبه أخذ فرسه؟ فسابقه، فسبق معاذ؛ وأخذ فرس جحيش، وأراد أن يغيظه فطعن أيْطَلَ الفرس بالسَّيْف فسقط، فقال: جحيش: لا أمّ لك! قتلت فرساً خَيْراً منك ومن والديك؟ فرفع معاذ السَّيف فضرب مفرقه فقتله، ثمّ لحق بأخْواله. وبلغ الحيَّ ما صنع، فركب أخٌ لجحيش وابن عم له، فلحقاه فشدَّ على أحدهما فطعنه فقَتَلَه، وشَدَّ على الآخر فضربه بالسَّيف فَقَتَلَه؛ وقال في ذلك:

ضَرَبْتُ جُحَيْشاً ضَرْبَةً لا لئيمةً
وكنتُ بصافٍ ذي طَرائفَ مُسْتَكِّ

قتلتُ جُحيشاً بعد قتل جواده
وكنتُ قديماً في الحوادث ذا فتكِ
قصدتُ لعمرو بعد بَدْر بضربة
فَخَرَّ صَريعاً مثل عائرة النُّسْكِ
لِكَى يَعْلَم الأقوَامُ أنَّي صارِمٌ
خُزاعة أجْدَادي وأُمَّى إلى عَكِّ
فقد ذُقْتَ يَا جَحْشُ بنَ سَوْدَةَ ضَرْبَتي
وجَرَّبْتَني إن كنتَ مِنْ قبلُ في شَكِّ
تركْتُ جُحَيشاً ثاوياً ذا نَوَائح
خَضيبَ دم جَارَاتُه حَوْلَه تَبْكي
ترنُّ عليه أمُّهُ بانْتحابَها
وتقشر جِلْدَيْ مَحْجرَيْها مِنَ الحَكّ
ليرفَعَ أقْوَاماً حُلولي فيهمُ
ويُزْري بقوم - إنْ تركتُهُم - تَرْكي
وحِصْني سَرَاة الطِّرْف والسَّيْفُ مَعْقلي
وَعِطْري غُبَارُ الحرْب لاَ عَبَقُ المِسْكِ
تَتُوقُ غَدَاةَ الرَّوْع نَفْسي إلى الْوَغَى
كتَوْق الْقَطَا تَسْمُو إلى الوَشَل الرَّكِّ
ولَسْتُ بِرِعْدِيد إذَا رَاعَ مُعْضلُ
وَلَا في نَوَادي الْقَوْم بالضَّيِّقِ المَسْكِ
وكَمْ مَلك جَدَّلْتُهُ بمُهَنَّد
وَسَابِغَة بَيْضَاءَ مُحْكَمَة السَّكِّ

قال: فأقام في أخواله زماناً، ثم إنه خرج مع بني أخواله في جماعة من فتْيانهم يَتَصَيدون، فَحَمَل مُعاذ على عِير فلحقه ابن خال له يقال

له الغضبان، قال: خلِّ عن العير، قال: لا، ولا نعمة عين، فقال له الغضبان: أما والله لو كان فيك خير لما تركت قومك، فقال معاذ: «زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً»، فأرسلها مثلاً، ثم أتى قومه فأراد أهل المقتول قتله، فقال لهم قومه: لا تقتلوا فارسكم وإنْ ظَلَم، فقبلوا منه الدِّيَة.

ومن هذا المثل قال الشاعر:

إذا شئتَ أنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاتِراً
وإنْ شئتَ أنْ تَزْدَادَ حُبَّاً فُزرْ غِبَّاً

وقال آخر:

عليكَ بإغبابِ الزِّيارة؛ إنَّها
إذا كَثُرَتْ كانَتْ إلى الْهَجْرِ مَسْلَكا
ألم تَرَ أنَّ القَطْرَ يُسْأَمُ دائما
ويُسْأل بالأيْدِي إذَا هُوَ أمْسَكا

سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ

قاله ضَبَّة بن أدّ لما لامه الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم، وقد مرّ تمام القصة فيما تقدَّم عند قوله: «إنَّ الحديثَ ذو شُجُون»، ويُقال: إن قولهم: «سَبَقْ السَّيفُ العَذَلَ» لخزيم بن نوفل الهمداني.

سَكَتَ أَلْفاً وَنَطَقَ خَلْفاً

الْخَلْفُ: الرديء من القَوْل وغيره، قال ابن السّكّيت: حدَّثني ابن الأعرابيّ قال: كان أعرابيّ مع قوم فحبقَ حَبْقَة، فتشور، فأشار بإبهامه إلى أَسْتِه وقال: إنها خَلْفٌ نَطَقَتْ خَلْفاً
ونصب «ألفا» على المصدر: أي سكت ألفَ سكتة ثم تكلّم بخطأ.

أَساءَ سَمْعاً فأَساءَ جَابَةً

ويروى: «ساءَ سَمْعاً فأساء إجابه» وساء في هذا الموضع تعمل عمل بئس، نحو قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلاً﴾ [الأعراف:١٧٧] ونصب سمعاً على التمييز، وأساء سمعاً نصب على المفعول به، تقول: أَسَأْتَ القولَ وأَسَأْتَ العمل، وقوله: «فأساء جابة» هي بمعنى إجابة، يقال: أجابَ إجابةً وجابة وجَوَاباً وجَيْبَةً. ومثل الجابة في موضع الإجابة: الطَّاعة والطَّاقَة والغَارة والعارَة، قال المفضّل: هذه خمسة أحرف جاءت هكذا. وكلها أسماء وضعت موضع المصادر. قال المفضّل: إن أول من قال ذلك سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، وكان تزوج صفيَّة بنت أبي جهل بن هشام، فولدت له أنس بن سهيل، فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهه، يريد التَحى،

فوقفا بحَزَوَّرَة مكة، فأقبل الأخنس بن شريف الثقفي، فقال: من هذا؟ قال سهيل: ابني، قال الأخنس: حيَّاك الله يا فتى، قال: لا والله ما أمِّي في البيت، انطلقت إلى أمِّ حنظلة تطحن دقيقاً، فقال أبوه: «أساء سَمْعاً فأساء جابة» فأرسلها مثلاً، فلما رجعا قال أبوه: فَضَحَني ابنك اليوم عند الأخنس قال كذا وكذا، فقالت الأمّ: إنَّما ابني صبي. قال سهيل: «أشْبَهَ امرؤٌ بعضَ بَزِّه»، فأرسلها مثلاً.

سُقِطَ فِي يَدِه

يُضرب لمن ندم.

قال الأخفش: يُقال سقط في يده أي: ندم، وقرأ بعضهم: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِم﴾ [الأعراف: ١٤٩]، كأنَّه أضمر النَّدَم، وجوز أُسْقط في يده، وقال أبو عمرو: لا يقال «أُسْقِطَ» بالألف على ما لم يُسَمَّ فاعله، وكذلك قال ثعلب، وقال الفَرَّاء والزَّجَّاج: يُقال سُقط وأسْقط في يده، أي: ندم. قال الفرَّاء: وسُقط أكثر وأجود، وقال أبو القاسم الزَّجَّاجي: سُقط في أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن، ولا عَرَفَتْه العرب، ولم يوجد ذلك في أشعارهم، والذي يَدُلُّ على ذلك أن شعراء الإسلام لمَّا سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم، خفي عليهم وجه الاستعمال؛ لأنَّ عادتهم لم تجر به، فقال أبو نواس:

ونَشْوَةٍ سُقِطْتُ مِنْها في يدي

وأبو نواس هو العالم النِّحرير، فأخطأ في استعمال هذا اللفظ؛

لأن فُعلت لايُبنى إلا من فعل يتعدَّى، لا يُقال رُغِبْتُ ولا يُقال غُضِبْت؛ وإنَّما يُقال: رَغِبَ فيَّ وغُضِب عَلَيَّ. قال: وذكر أبو حاتم: سَقَطَ فلان في يده أي: ندم، وهذا خطأ مثل قول أبي نُوَاس، هذا كلامه.

وأما ذكر اليد فلأن النَّادم يعضُّ على يديه، ويضرب إحداهما بالأخرى تَحَسُّراً، كما قال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]، وكما قال: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢]، فلهذا أضيف سقوط النَّدَم إلى اليد.

سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ

ويروي: «أسْمِنْ».

أول من قال ذلك حازم بن المنذر الحمّاني، وذلك أنه مرّ بمحلة همدان فإذا هو بغلام ملفوف في المَعَاوز[1]، فرحمه وحمله على مقدَّم سرجه حتى أتَى به منزله، وأمر أمة له أن ترضعه، فأرضعته حتى فطم وأدرك وراهق الحلم، فجعله راعياً لغنمه وسماه جحيشاً، فكان يرعى الشاء والإبل، وكان زاجراً عائفاً، فخرج ذات يوم فعرضت له عُقَاب، فعافها، ثم مرّ به غداف فزجره، وقال:

تُخْبِرُني شَوَاحِجُ الغُدْفَانْ
والخُطَبُ يَشْهَدْنَ مع العِقْبَانْ

(١) المعاوز: الثياب الخلقة.

أنِّي جُحَيْش مَعْشري هَمْدانْ
ولَسْتُ عَبْداً لبني حمَّانْ

فلا يزال يتَغَنَّى بهذه الأبيات، وإن ابنة لحازم يُقال لها رَعُوم، هَوِيَت الغُلام وهَوِيَها، وكان الغُلام ذا منظر وجمال، فتبعته رَعُوم ذات يوم حتى انتهى إلى موضع الكلأ، فسرح الشَّاء فيه واستظلَّ بشجرة، وأتكأ على يمينه وأنشأ يقول:

أما لَكَ أمّ فتُدْعَى لها
ولا أنت ذُو وَالِدٍ يُعْرَفُ؟
أرَى الطَّيْر تُخبِرُنِي أنَّني
جُحَيْش وأنَّ أبي حرشفُ
يقولُ غُرَابٌ غداً سانحاً
وشاهده جاهدا يَحلِفُ
بأنِّي لِهَمْدَانَ في غرّها
وَمَا أنا جاف ولا أهْيَفُ
ولكنَّني من كِرام الرِّجال
إذا ذكر السَّيِّدُ الأشْرَفُ

وقد كمنَتْ له رَعُوم تنظُر ما يَصْنَع، فرفع صوته أيضاً يتَغَنَّى ويقول:

يا حَبَّذا رَبِيبَتي رَعُومُ
وحَبَّذَا مَنْطقُها الرَّخِيمُ
وريحُ ما يأتي به النَّسيمُ
إنِّي بها مُكَلَّفٌ أهِيمُ
لو تعلمين العِلْم يا رَعُومُ
إنِّي مِنْ هَمْدَانِها صَميمُ

فلما سمعت رَعُومُ شعره ازدادت فيه رَغْبَة وبه إعْجابا، فَدَنَتْ منه وهي تقول:

طَارَ إلَيْكُمْ عَرَضاً فُؤادِي
وقَلَّ من ذِكْرا كُمُ رُقَادِي
وَقَدْ جَفا جَنْبي عن الوسَاد
أبيتُ قَدْ حَالَفَني سُهَادي

فقعدا تحت الشَّجَرة، فكانا يفعلان ذلك أيَّاماً. ثمّ إنّ أباها افْتَقَدها يوماً وفَطِنَ لها فرصَدَها، حتى إذا خرجت تبعها، فانتهى إليهما على سَوْءة، فلما رآهما قال: «سَمِّنْ كَلبَكَ يأكلكَ»، فأرسلا مثلاً، وشَدَّ على جحيش بالسَّيف فأفْلَت ولحق بقومه هَمْدان، وانصرف حازم إلى ابنته وهو يقول: «مَوْتُ الْحُرَّة خَيْرٌ من العَرَّة»، فأرسلها مثلاً، فلمَّا وصل إليها وجدها قد اختنقت فماتت، فقال حازم: «هَان عَلَيَّ الثُّكْل لسوء الفِعْلِ»، فأرسلها مثلاً، وأنشأ يقول:

قَدْ هَانَ هذا الثُّكْلُ لَوْلَا أَنَّني
أحْبَبْتُ قَتْلَك بالحُسام الصَّارِمِ
ولقد هَمَمْتُ بذاك لَوْلا أَنَّني
شَمَّرْتُ في قتل اللَّعينِ الظَّالمِ
فَعَلَيْك مَقْتُ الله مِنْ غَدَّارَة
وعَلَيْكَ لَعْنَتُهُ ولعنة حَازِمِ

وقال قوم: إنَّ رجلاً من طَسْم ارتَبَطَ كلْباً، فكان يُسَمِّنه ويُطْعمه رجاء أنْ يَصِيدَ به، فاحْتَبَس عليه يطعمه يوماً، فدخل عليه صاحبه فوثب عليه فافترسه، قال عوف بن الأحوص:

أَرَانِي وعَوْفاً كالْمُسَمِّن كَلْبَهُ
فَخَدَّشَه أنيابه وأظافره

وقال طرفة:
كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ
يَعُلُّهُ بالْحَلِيب فِي الْغَلَسِ
ظَلَّ عَلَيْه يَوْماً يُقَرْقِرُه
إِنْ لَا يَلِغْ فِي الدِّمَاءِ يَنْتَهِسِ

اسْعَ بِجَدِّكَ لا بكَدِّكَ

أول من قال ذلك حاتم بن عميرة الهمداني، وكان بعث ابنيه الحِسْلَ وعاجِنَة إلى تجارة، فلقي الْحِسْل قوم من بني أسد، فأخذوا ماله وأسروه، وسار عاجِنَةُ أياماً، ثمّ وقع على مال في طريقه من قبل أن يبلغ موضع متجره، فأخذه ورجع وقال في ذلك:
كَفَانِى الله بُعْدَ السَّيْرِ؛ إنّي
رَأيْتُ الْخَيْرَ في السفر الْقَرِيب
رأيت الْبُعْدَ فيه شَقاً وَنأْيٌ
ووَحْشَةَ كلِّ مُنْفَرِدٍ غريب
فأسْرَعْتُ الإياب بخَيْرِ حال
إلى حَوْرَاء خُرْعُبةٍ لَعُوبِ(١)

(١) الخرعب: الشابة الحسنة الخلق الرخصة.

وإنِّي لَيْسَ يَثْنِينِي إذا ما
رَحَلْتُ سنوحُ شَجَّاب نَعُوب(١)

فلمَّا رَجَعَ تَبَاشَرَ به أهلُه، وانتظروا الْحِسل، فلما جاء إبَّانُه الذي كان يجئ فيه ولم يرجع رابهم أمره، وبعث أبوه أخاً له لم يكن من أمّه يُقال له شاكر في طلبه والبحث عنه، فلما دنا شاكر من الأرض التي بها الْحِسْلُ وكان الحسْلِ عائفاً يَزجُر الطيرِ فقال:

تُخَبِّرُنِي بِالنَّجاة القَطَاةُ
وقَوْلُ الْغُرَاب بها شَاهِدُ
تقول: ألَا قَدْ دَنَا نَازحٌ
فِدَاء له الطِّرْفُ وَالتَّالِدُ(٢)
أخ لم تَكُنْ أمُّنَا أمَّهُ
ولكن أبُونا أبٌ واحِدُ
تداركَني رَأْفَةٌ حَاتمٌ
فَنِعْمَ المربِّبُ وَالوَالِدُ

ثم إنَّ شاكراً سأل عنه، فأخبر بمكانه فاشتراه ممَّنْ أَسَرَه بأربعين بعيراً، فلمّا رجع به قال له أبوه: «اسْعَ بجَدِّك لا بِكَدِّك»، فذهبت مثلاً.

---

(١) الشجاب: الغراب إذا صاح ومد صوته.

(٢) الطريف هنا: المستحدث من المال، والتالد ما ولد عندك من المال.

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ

أي: ذو الْجَـدِّ من اعْتَبَر بما لحق غيره من المكروه فيجتنب الوُقوع في مثله.

قيـل: إنَّ أول مَنْ قال ذلك مَرْثَد بن سعد أحد وَفْد عاد الذين بُعثوا إلى مكة يَسْتَسْقُون لهم، فلمَّا رأى مافي السَّحابة التي رُفِعَتْ لهم في البحر من العَذَاب أَسْلَم مرثد، وكَتَمَ أصحابه إسلامَه، ثم أقبل عليهم فقال: ما لكم حَيَارى كأنَّكم سَكَارى، إنَّ السَّعيدَ مَنْ وُعِظ بغيره، ومَنْ لم يَعْتَبِر الذي بنفسه يلقي نكَال غيره، فذهبت من قوله أمثالاً.

سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيل تَقَشَّعُ

يُضرب في انقضاء الشَّيء بسرعة.

شَرُّ السَّيْرِ الْحَقْحَقَة

يُقال: هي أرْفَع السَّيْر وأتْعَبه للظَّهْر، ويُقال: هي كفّ ساعة وإتْعاب ساعة.

قال مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير لابنه لما اجتهد في العِبادَة: خَيْر الأمور أوساطُها، وشَرّ السَّيْر الحَقْحَقَة.

شَرِقَ بِالرِّيقِ

أي: ضَرّه أقربُ الأشياء إلى نَفْعه؛ لأنْ رِيقَ الإنسان أقربُ شيء إليه.

شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُها مِنْ أَخْزَم

قال ابن الكلبي: إن الشعر لأبي أخزم الطَّائي، وهو جدُّ أبي حاتم أو جدُّ جَدِّه، وكان له ابن يُقال له أَخْزَم، وقيل: كان عاقاً، فمات وترك بنين فوثبوا يوماً على جدِّهم أبي أَخْزَم فأَدْمَوْهُ فقال:

إِنَّ بَنِيَّ ضَرَّجُونِي بالدَّم
شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَم

ويُروى: «زَمَّلُوني» وهو مثل ضَرّجُوني في المعنى، أي: لَطَّخُوني، يعنى أنّ هؤلاء اشبهوا أباهم العقوق، والشِّنشنة: الطبيعة والعادة، قال شمِر: وهو مثل قولهم: «العَصَا» مِنَ «العُصَيَّة»، ويُروى: «نشنشة»، وكأنَّه مقلوب شنشنة، وفي الحديث أنّ عمر قال لابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ حين شاوره فأعجبه إشارته: شِنْشِنَة أعْرِفُها من أَخْزَم، وذلك أنَّه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس ـ

رضي الله عنه ـ، فَشَبَّهه بأبيه في جودة الرَّأي.
يُضرب في قرب الشَّبَه.

شَقَّ فُلَانٌ عَصَا المُسْلِمِينَ

إذا فَرَّق جَمْعهم.

قال أبو عبيد: معناه فَرَّق جماعتهم. قال: والأصل في العَصَا الاجتماع والائتلاف، وذلك أنها لا تدعى عصا حتى تكون جميعاً، فإن أنشقَّتْ لم تدع عصاً، ومن ذلك قولهم للرَّجُل إذا أقام بالمكان واطْمَأَنَّ به واجتمع له فيه أمره: «قَدْ أَلْقى عصاه»، قال معقر البارقي:

فألْقَتْ عَصَاها واستقرت بها النَّوَى
كما قَرَّ عَيْناً بالإياب المُسافرُ

قالوا: وأصل هذا أن الحاديَين يكونان في رفقة، فإذا فرقهم الطَّريق شُقَّت العصا التي معهما؛ فأخذ هذا نِصْفَها وهذا نِصْفَها.

يُضرب مَثَلاً لكلّ فُرْقَة.

قال صلة بن أشيم لأبي السليل: إيَّاك أن تكون قاتلاً أو مقتولاً في شق عصا المسلمين.

أَشأَمُ مِنْ غُرَاب الْبَين

إنَّما لزمه هذا الاسم لأن الغُراب إذا بان أهل الدَّار للنُجعة وقع في موضع بيوتهم يتلمَّس ويتقمّم، فتشاءموا به، وتَطَيَّرُوا منه؛ إذا كان لا يَعْتَرِي منازلهم إلَّا إذا بانوا، فسموه غراب البين، ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزَّجر والطِّيرة، وعلموا أنه نافذ البصر صافي العين، حتى قالوا: أصفى من عين الغراب، كما قالوا: أصْفَى من عين الدِّيك، وَسَمَّوْه «الأعْوَر» كناية، كما كنوا طِيرَة عن الأعمى فسموه «أبا بصير»، وكما سموا الملدوغ والمنهوس «السَّليم»، وكما قالوا للمهالك من الفيافي «المفاوز»، وهذا كثير. ومن أجل تشاؤمهم بالغراب، اشتقوا من اسمه الغُرْبَة والاغتراب والغريب، وليس في الأرض بارح، ولا نَطِيح، ولا قَعيد، ولا أعْضَب[1]، ولا شيء مِمَّا يتشاءمون به إلّا والغراب عندهم أنكد منه، ويرون أن صياحه أكثر أخباراً، وأنّ الزَّجر فيه أعمُّ، قال عنترة:

خَرِق الجَنَاحِ كأنَّ لَحْيَيْ رَأْسِه
جَلَمانِ، بالأخْبَارِ هَشٌّ مُولَع

وقال غيره:

(١) البارح: ما مر من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك، والنطيح والناطح: ما يستقبلك ويأتيك من ظبي أو طائر، والقعيد ما يأتي من الخلف، والأعضب مكسور القرن أو مقطوع الأذن، وجميعها تتطير بها العرب. وهذا من ضلالاتهم التي جاء الإسلام بتحريمها، قال ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة».

وصـــاحَ غُـــرابٌ فَـــوْقَ أَعْـــوَادِ بـانَـة
بـأَخْـبـار أَحْـبـابِـي فـقـسَّـمَـنِـي الـفـكـرُ
فَـقُـلْـتُ غُـرَابٌ بـاغْـتـرَابٍ وبـانـة
بـبـين الـنَّـوَى، تـلْـكَ الـعـيـافَـةُ وَالـزَّجْـرُ
وَهَـبَّـتْ جَـنُـوبٌ بـاجّـتـنَـابِـيَ مـنْـهُـمُ
وهـاجَـتْ صَـبـاً قُـلْـتُ: الـصَّـبـابَـةُ والـهـجـرُ

وقال آخر:

تَـغَـنَّـى الـطّـائـرَان بـبَـيْـن سَـلْـمَـى
عَـلَـى غُـصْـنَـيْـن مِـنْ غَـرَب وَبَـانِ
فـكَـانَ الْـبَـانُ أنْ بَـانَـتْ سُـلَـيْـمَـى
وَفِـي الـغَـرَب اغْـتِـرَابٌ غَـيْـرُ دَانِ

وقال آخر:

أَقُـولُ يَـوْمَ تَـلاقَـيْـنـا وَقَـدْ سَـجَـعَـتْ
حَـمـامَـتـان عَـلَـى غُـصْـنَـيْـن مِـنْ بـان
الآن أعـلـم أن الْـغُـصْـنَ لِـي غَـصَـصٌ
وأنمـا الْـبَـانَ بَـيْـنٌ عـاجـلٌ دَان
فَـقُـمْـتُ تَـخْـفـضُـنـي أَرْضٌ وَتَـرْفَـعُـنـي
حَـتَّـى وَنَـيـتُ وَهَـدَّ الـسَّـيْـرُ أَرْكَـانـي

فهذا نَمَطُ شعرهم في الغراب لا يَتَغَيّر، بل قد يزجرون من الطَّيْر غير الغراب على طريقين: أحدهما على طريق الغراب في التشاؤم، والآخر على طريق التفاؤل به؛ قال الشاعر:

وَقَـالُـوا: تَـغَـنَّـى هُـدْهُـدٌ فـوق بـانـة
فـقـلـتُ: هُـدى يَـغْـدُو بـه ويَـرُوحُ

وقال آخر:

وقالوا: عُقاب، قُلْتُ: عُقْبَى مِنَ النَّوَى
دَنَتْ بَعْدَ هَجْر منهمُ ونُزُوح

وقال آخر:

وقالوا: حَمَامٌ، قُلْتُ: حُمَّ لِقَاؤُها
وَعَادَ لَنَا رِيحُ الْوِصال يَفُوحُ

فهذا إلى الشاعر؛ لأنَّه إنْ شاء جعل العُقاب عقبى خير، وإن شاء جعلها عقبى شرّ، وإن شاء جعل الحمام حِماماً، وإن شاء قال: حُمَّ اللِّقاء، والهُدْهُد هُدى وهداية، والحبارى حبوراً وحبرة، والبان، بياناً يلوح، والدَّوم دَوام العهد، كما صارت الصَّبا عنده صَبابَة، والجنوب اجتناباً، والصُّرَد تَصْريداً، إلا أنّ أحداً منهم لم يزجر في الغُراب شيئاً من الخير، هذا قولَ أهل اللُّغة.

وذكر بعض أهل المعاني أنَّ نعيب الغراب يُتَطَيَّر منه، ونَغِيقه، يتفاءل به، وأنشد قول جرير:

إن الغُرَاب بما كَرِهْتُ لَمُولَعٌ
بِنَوَى الأَحِبَّة دَائِمُ التّشْحاج
لَيْتَ الْغُرَابَ غَدَاة يَنْعَبُ دَائِباً
كان الغُرَابُ مَقَطَّعَ الأَوْدَاج

وقول ابن أبي ربيعة:

نَعَبَ الْغُرَابُ بِبَيْن ذَات الدُّمْلُج
لَيْتَ الْغُرَابَ بِبَيْنِها لَمْ يَشْحَجِ

ثم أنشدوا في النَّغيق:

تَرَكْتُ الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ
وَلِلْغِرْبَانِ مِنْ شَبَعٍ نَغِيقِ

قال: ويُقال: «نَغَق الغرابُ نَغيقاً» إذا قال: «غيق غيق»، فيُقال عندها: «نغق بخير»، ويُقال: «نَعَبَ نعيباً» إذا قال: غاق غاق، فيقال عندها: «نَعَبَ بشرّ».

قال: ومنهم من يقول: «نغق ببَيْن» وزهير منهم، وأنشد له:

أَلْقَى فِرَاقُهُمُ فِي الْمُقْلَتَيْنِ قَذًى
أَمْسَى بِذَاكَ غُرَابُ الْبَيْنِ قَدْ نَغَقَا

وقال من احتجّ للغراب: العرب قد تتيمن بالغراب فتقول: هم في خير لا يطير غرابه، أي: يقع الغراب فلا يُنفر لكثرة ما عندهم، فلولا تَيَمُّنُهُمْ به لكانوا ينفرونه، فقال الدّافعون لهذا القول: الغراب في هذا المثل السوّاد، واحتجُّوا بقول النَّابغة:

ولِرَهْطِ حَرَّابٍ وَقَدٍّ سَوْرَةٌ
فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غُرَابُهَا بِمُطَارِ

أي: من عرض لهم لم يمكنه أن ينفر سوادهم لعزهم وكثرتهم.

صَاحَتْ عَصَافِيرُ بَطْنِهِ

قال الأصمعي: العصافير الأمعاء.

يُضرب للجائع.

ضَرب أخْمَاساً لأَسْدَاس

الْخِمسُ والسِّدسُ: من أظماء الإبل، والأصل فيه أن الرجل إذا أراد سفراً بعيداً عَوَّدَ إبله أن تشرب خِمْساً، ثم سِدْساً، حتى إذا أخذت في السَّيْر صبَرَتْ عن الماء، وضرب بمعنى بيَّن وأظهر، كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم:٢٨] والمعنى أظهر أخماساً لأجل أسداس: أي: رقّى إبله من الخِمس إلى السِّدس.

يُضرب لمن يُظهر شيئاً ويريد غيره.

أنشد ثعلب:

الله يعلم لَوْلَا أنني فَرِقٌ
مِنَ الأمير لَعَاتَبْتُ ابْنَ نِبرَاس
في مَوْعِدٍ قَالَهُ لي ثُمَّ أخْلَفَنِي
غَداً غَداً ضَرْبُ أخْمَاسٍ لأسْداس

ضِغْثٌ عَلَى إبَّالَة

الإِبَّالة: الحُزْمَة من الحَطَب، والضِّغْث: قَبْضَة من حشيش مختلطة الرطب باليابس، ويُرْوَى: «إيبالة» وبعضهم يقول: «إبَالَة» مخففاً، وأنشد:

لـــيِ كُـــلَّ يَـــوْم مِـــنْ ذُؤَالَـــــه[1]
ضِـــغْـــثٌ يَـــزِيـــدُ عَـــلَـــى إبـــالَـــهْ

ومعنى المثل بَليَّة على أخرى.

أَطْرِقْ كَرَا إنَّ النَّعَامَةَ فِي الْقُرى

يُقال: الكَرَا الكَرَوَان نفسـهُ، ويُقال: إنه مُرَخَّمُ الكروان، وجمع الكَرَوَان: كِرْوَان، ومثله فرس صَلَتَان، وهو النَّشيط، وصَمَيان وهو الصُّلْبُ والجمع صِلْتَان وصِمَيان، ورجل غَذَيان، أي: نشيط والجمع غِذْيان أيضاً، وكذلك الوَرَشان وجمعه ورْشَان، قال الخليل: الكَرَا الذكـر من الكِرْوَان، ويُقال له: أطْرِقْ كَـرَا، إنك لن ترى، قال: يصيدونه بهذه الكلمة، فإذا سـمعها يلبد في الأرض، فيُلْقَى عليه ثوبٌ فيُصَاد، وقال أبو الهيثم: هو طائر شـبيه البطَّة لا ينام بالليل، فسـمِّي بضده من الكَرَى، قال: ويُقـال للواحدة كَرَوَانة، وللجمع الكِرْوَان والكَرَى.

يُضرب للذي ليس عنده غَنَاء، ويتكلم فيُقال له: اسـكت وتَوَق انتشار ما تلفظ به كراهة ما يتعقبه.

وقولهـم: «إن النعامـة فـي القـرى» أي: تأتيك فتدوسُـك بأخفافها.

---

(١) الذؤالة: الذئب، واشـتقاقه من الذألان وهو سرعة المشي، والبيتان لأسماء بن خارجة.

أَطْمَعُ مِنْ أَشْعَبَ

هو رجل من أهل المدينة يقال له: «أشْعَبُ الطَّمَّاع» وهو أشْعَبُ بن جُبَيـر مولى عبد الله بن الزبير، وكنيته أبو العلاء. اجتمع عليه يوماً غلمان من غلمان المدينة يُعابثونه ـ وكان مزَّاحاً ظريفاً مغنياً ـ فآذاه الغلمة، فقال لهم: إن في دار بني فلان عرساً، فانطلقوا إلى ثَمَّ فهو أنفع لكم، فانْطَلَقُوا وتركوه، فلما مضوا قال: لعلَّ الذي قلت من ذلك حَقّ، فمضى في أثرهم نحو الموضع، فلم يجد شيئاً، وظفر به الغلمان هناك فآذَوْه.

وكان أشعب صاحب نوادر وإسناد، وكان إذا قيل له حدَّثنا، يقول: حدَّثنا سالم بن عبد الله ـ وكان يبغضني في الله ـ فيقال له؛ دَعْ ذا، فيقول: ما عَنِ الحقِّ مَدْفَع، ويروى: ليس للحق مَتْرَك، وكانت عائشة بنت عثمان كَفَلَتْه وكفلت معه ابن أبي الزناد فكان يقول أشعب: تربيت أنا وابن أبي الزناد في مكان واحد، فكنت أسفل ويعلو، حتى بلغنا إلى ما ترون.

وقيل لعائشة: هل آنَسْتِ من أشعب رشداً؟ فقالت: قد أسلمته منذ سنة في البز فسألته بالأمس أين بلغت في الصناعة؟ فقال: يا أمَّه قد تعلمتُ نصف العمل، وبقي عليَّ نصفه، فقلت: كيف؟ فقال: تعلمت النَّشْرَ في سنة، وبقي عليّ تعلم الطيِّ. وسمعته اليوم يخاطب رجلاً وقد ساومه قوس بندق، فقال: بدينار، فقال: والله

لو كنتُ إذا رميت عنها طائراً مَشْوِيّاً بين رغيفتين ما اشتريتها بدينار، فأيُّ رشد يؤنس منه!!

قال مصعب بن الزبير: خرج سالم بن عبد الله بن عمر إلى ناحية من نواحي المدينة هو وحُرَمُه وجواريه، وبلغ أشعب الخبر، فوافى الموضع الذي هم به، يريد التطفل، فصادف الباب مغلقاً فتسوَّرَ الحائط، فقال له سالم: ويْلَكَ يا أشعب من بناتي وحرمي، فقال: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق، وإنك لتعلم ما تريد، فوجَّهَ إليه من الطعام ما أكل وحَمَلَ إلى منزله.

وقال أشعب: وُهِبَ لي غلامٌ، فجئت إلى أمي بحمار موقور من كل شيء والغلام، فقالت أمي: ما هذا الغلام؟ فأشفقت عليها من أن أقول: وُهب لي فتموت فرحاً، فقلت: وُهب لي غين، فقالت: وما غين؟ قلت: لام؛ قالت: وما لام؟ قلت: ألف، قالت: ما ألف؟ قلت: ميم؛ قالت: وما ميم؟ قلت: وُهِب لي غلام؛ فَغُشِيَ عليها فَرَحاً، ولو لم أقطّع الحروف لماتت.

وقال له سالم بن عبد الله: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما نظرت قطُّ إلى اثنين في جنازة يتساران إلا قَدَّرْتُ أن الميت قد أوصى لي من ماله بشيء؛ وما أدخل أحَدٌ يده في كمه إلا أظنُّه يعطيني شيئاً.

وقال له ابن أبي الزناد: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما زُفَّتْ بالمدينة امرأة إلا كَسَحْتُ بيتي رجاء أن يُغلط بها إليَّ.

وبلغ من طمعه أنه مرَّ برجل يعمل طبقاً فقال: أحبُّ أن تزيدَ فيه طوقاً، قال: ولِمَ؟ قال: عسى أن يُهْدَى إليّ فيه شيء.

ومن طمعه أنه مــرّ برجل يمضع علكاً، فتبعه أكثر من ميل حتى علم أنه علك.

عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى

إن أول من قال ذلك خالد بن الويد لما بعث إليه أبوبكر ـ رضي الله عنهما ـ وهو باليمامة: أن سِرْ إلى العراق، فأراد سلوك المَفَازة، فقال له رافع الطائيّ: قد سَلَكْتُها في الجاهلية، وهي خِمسٌ للإبل الواردة، ولا أظنُّك تقدرُ عليها إلا أنْ تحمل من الماء، فاشــترى مائة شارِف[1] فعطَّشها، ثم سَــقاها الماء حتى رَوِيت، ثم كتَبَها وكَعَم أفواهها. ثم سلك المَفَازة حتى إذا مضى يومان، وخاف العَطَشَ على الناس والخيل، وخشــي أن يذهبَ ما في بطون الإبل نحَرَ الإبلَ، واستخرج ما في بطونها من الماء، فســقى الناس والخيل، ومضى، فلمَّا كان في الليلة الرابعة قال رافع: انْظُرُوا هل تَرَوْنَ سِــدْراً عِظاماً؟ فإن رَأيتموها وإلّا فهو الهلاك، فنظر الناسُ فرأوا السِّدْرَ، فأخبرُوه، فكَبَّر. وكَبَّر الناسُ؛ ثم هَجَمُوا على الماء، فقال خالد:

لله دَرُّ رَافِــــع أَنَّــــى اهْــتَــدَى
فَــــوَّزَ مِـــن قُــرَاقِــر إلـــى سُـــوَى
خِــمْـســاً إذا ســـار بـــه الجـيــشُ بَـكَــى
مـــا ســـارَهـــا مـــن قَـبْـلـه إنْـــسٌ يُـــرَى

---

(١) الشارف من النوق: المسن الهرمة.

عِـنْـدَ الـصَّـبـاَحِ يَـحْـمَـدُ الْـقَـوْمُ الـسُّـرَى
وَتَـنْـجَـلِـي عَـنْـهُـمْ غَـيَـابَـاتُ الْـكَـرَى

يُضرب للرجل يحتمل المَشَقَّة رَجاء الراحة.

عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ

خرج حُصَيْن بن عَمْرو بن معاوية بن كلاب، ومعه رجل من جُهَينه يقال له: الأخنس بن كعب، وكان الأخنس قد أَحْدَثَ في قومه حَدَثاً، فخرج هارباً، فلقيه الحُصَيْنَ فقال له: من أنت ثكلتك أمك! فقال له الأخنس: بل من أنت ثكلتْك أمك! فردَّد هذا القول حتى قال الأخنس: أنا الأخنس بن كعب، فأخبرني من أنت وإلَّا أنفذتُ قلبك بهذا السِّنان، فقال له الحُصين: أنا الحصين بن عمرو الكلابي، فقال له الأخنس: فما الذي تريد؟ قال: خرجتُ لما يخرج له الفتيان، قال الأخنس: وأنا خرجت لمثل ذلك، فقال له الحصين: هل لك أن نتعاقد ألّا نَلْقَى أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبْناه؟ قال: نعم؛ فتعاقدا على ذلك، وكلاهما فاتك يَحْذرَ صاحبه؛ فلقيا رجلاً فسلباه؛ فقال لهما: هل لكما أن تردَّا عليّ بعض ما أخذتما منى وأدلُّكما على مغنم؟ قالا: نعم، فقال: ذا رجل من لَخْم، قد قدم من عند بعض الملوك بمغْنَم كثير؛ وهو خلْفي في موضع كذ وكذا، فردَّا عليه بعض ماله وطلبا اللَّخميَّ فوَجَده نازلاً في ظلِّ شجرة، وقُدَّامه طعام وشراب، فَحَيَّاه وحَيَّاهما،

وعــرض عليها الطعام، فكره كلٌّ واحد أن ينزل قَبْل صاحبه فيفتك به؛ فنزلا جميعاً.

فأكلا وشربا مع اللَّخميّ.

ثم إن الأخنس ذهَبَ لبعض شــأنه فرجع واللخمي يتشحَّط في دمه؛ فقال الجهني ـ وهو الأخنس ـ وسلَّ سيفه لأن سيف صاحبه كان مَسْــلولاً: وَيْحَكَ! فتكْتَ برجل قد تحرَّمنا بطعامه وشــرابه، فقال: اقعد يا أخا جهينة، فلهذا وشبهه خرجْناَ.

فشــربا ســاعة وتحدَّثا؛ ثم إن الحصين قال: يا أخا جهينة أتدري ما صَعْلة وما صَعْل؟ قال الجهنيّ؛ هذا يوم شــرب وأكل، فسكت الحصين؛ حتى إذا ظنَّ أن الجهنيّ قد نســي ما يُرَاد به؛ قال: يا أخا جهينة، هل أنــت للطير زاجر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ما تقول هذه العقاب الكاســر؟ قال الجهني: وأين تراها؟ قال: هي ذه، وتطاول ورفع رأســه إلى الســماء، فوضع الجهنيُّ بادرة السيف في نحره، فقال: أنــا الزاجر والناحرُ، واحتوى علــى متاعه ومتاع اللخمي؛ وانصرف راجعاً إلى قومه.

فمــرّ ببطنين من قيس يقال لهما: مَراح وأنمــار؛ فإذا هو بامرأة تَنْشُد الحصينَ بن سبيع، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا صخرة امرأة الحصين، قــال: أنا قتلته، فقالت: كذبت ما مثلك يقتل مثله، أما لو لم يكن الحي خلواً ما تكلَّمتَ بهذا، فانصرف إلى قومه فأصلح أمرهم ثم جاءهم فوقف حيث يسمعهم، وقال:

وكم من ضَيْغم وَرْد هَمَوس[١]
أبي شِبْلَيْن مَسْكَنُهُ العَرين[٢]
عَلَوْتُ بَياض مَفْرِقه بِعَضْب[٣]
فأضْحَى في الْفَلاةِ له سُكُونُ
وَأضْحَتْ عِرْسُهُ وَلَهَا عليه
بُعَيْدَ هُدُوء ليلتها رَنِينُ
وَكَمْ من فارس لا تَزْدَريه
إذا شَخَصَتْ لموقِعِه العُيُونُ
كصَخْرة إذا تسائل في مَرَاح
وأنمار وعلمها ظُنونُ
تُسَائِلُ عن حُصَين كُلَّ رَكْب
وعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقين
فَمَنْ يَكُ سائلاً عَنْهُ فَعِنْدي
لِصاحبه الْبَيَانُ الْمُسْتَبِينُ
جُهَيْنَةُ مَعْشَرِي وَهُمُ مُلُوك
إذا طَلَبُوا المَعالِيَ لم يَهُونُوا

يُضرب في معرفة الشيء حقيقة.

---

(١) الهموس، والورد، والضيغم من أسماء الأسد وصفاته.
(٢) العرين: بيت الأسد
(٣) العضب: السيف.

عَلَى يَدَيْ عَدْل

قال ابن السِّكِّيت: هو العَدْلُ بن جَزْء بن سعد العشيرة، وكان على شُرَط تُبَّع، وكان تُبَّع إذا أراد قتل رجل دفعه إليه؛ فجرى به المثل في ذلك الوقت؛ فصار الناس يقولون لكل شيء قد يُئِسَ منه «هو على يَدَي عَدْلٍ».

عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقِشُ

كان بَرَاقِشُ كلبة لقوم من العرب، فأُغِير عليهم، فهَرَبُوا ومعهم بَرَاقِش، فاتَّبع القومُ آثارَهُم بُنباح بَرَاقِش، فهجموا عليهم فاصطلموهم، قال حمزة بن بِيْض:

لم تكن عن جنَايَة لَحِقَتْني
لا يَسَارِي ولا يميني رَمَتْنِي
بل جَنَاهَا أَخٌ عليَّ كريمٌ
وعلى أهلها بَرَاقِشُ تَجْنِي

وروى يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العَلَا قال: إنّ براقش امرأة كانت لبعض الملوك، فسافر الملك واستخلفها، وكان لهم موضع إذا فَزِعوا دَخَّنُوا فإذا أبصره الجندُ اجتمعوا، وإن جواريها عبثن ليلة فدَخَّنَّ فجاء الجُند، فلمَّا اجتمعوا قال لها نصحاؤها: إنك

إن ردَدَتِهم ولم تستعمليهم في شيء ودخَّنْتِهِم مرّة أخرى لم يأتك أحد، فأمرتهم فبَنَوْا بناء دون دارها، فلما جاء الملك سأل عن البناء، فأخبروه بالقصة، فقال: «عَلَى أهْلِها تجني بَرَاقش» فصار مثلاً.

وقال الشرقيّ بن القطامي: براقش امرأة لقمان بن عاد، وكان لقمان من بني ضدّ، وكانوا لا يأكلون لحوم الإبل، فأصاب من براقش غلاماً، فنزل مع لقمان في بني أبيها، فأولموا ونَحَرُوا الجُزُر، فراح ابن براقش إلى أبيه بعِرْق من جَزور، فأكله لقمان، فقال: يا بُنيّ ما هذا؟ فما تعرَّقت قطّ طِيباً مثله، فقال: جَزور نَحَرَها أخوالي فقال: وإنّ لحوم الإبل في الطِّيب كما أرى؟ فقالت براقش: «جَمِّلْنَا وَاجْتَمِلْ»، فأرسلتها مثلاً، والجميل: الشَّحْمُ المُذَابُ، ومعنى جَمِّلْنَا أي: أَطْعِمْنا الجميلَ، واجْتَمِل، أي: أطْعَمْ أنت نفسك منه.

وكانت براقش أكثر قومها إبلاً، فأقبل لقمان على إبلها فأسرع فيها وفي إبل قومها، وفَعَلَ ذلك بنو أبيه لما أكلوا لحوم الجزور، فقيل: «على أهلها تجني براقش».

يُضرب لمن يعمل عملاً يرجع ضرره إليه.

عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً

طَلَّق الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبه بعض نسائه من بعد ما أسنَّ وخَرِف، فخَلَفَ عليها بعده رجل كانت تُظْهر له من الوَجْد به مالم تكن تُظهر للحارث، فلقِيَ زوجها الحارث فأخبره بمنزلته منها،

فقال الحارث: «عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً»، فأرسلها مثلاً.

قال أبو الحسن الطوسيّ: يُريد عِشْ رَجَباً بعد رَجب، فحذف، وقيل: رَجَب كناية عن السَّنَة لأنه يحدُث بحدُوثها، ومن نَظَر في سنة واحدة ورأى تغيُّر فصولها قاس الدَّهْرَ كلَّه عليها، فكأنه قال: عِشْ دهراً تَرَ عجائب، وعيش الإنسان ليس إليه، فيصح له الأمر به، ولكنه محمول على معنى الشرط، أي: إن تَعِشْ تَرَ، والأمر يتضمن هذا المعنى في قولك: زُرْنِي أكْرِمْكَ.

أعْطِ القَوْسَ بَارِيهَا

أي: اسْتَعِنْ على عَملك بأهلِ المعرفة والحذق، وينشد:

يَا بَارِيَ الْقَوسِ بَرياً لَسْتَ تُحْسِنُهَا
لَا تُفسِدَنْهَا وَأعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا

عَلَى الخَبِيرِ سَقَطْتَ

الخَبير: العالم، والخُبْرُ: العلم، وسَقَطْت: أي عثرت، عَبَّر عن العثور بالسّقوط؛ لأن عادة العاثر أن يسقط على ما يعثر عليه.

يُقال: إنّ المَثَل لمالك بن جُبَيْر العامري، وكان من حكماء العرب، وتمثل به الفرزدق للحسين بن عليّ ـ رضي الله عنهما ـ حين أقْبَلَ يريد العراق، فَلقَيه وهو يريد الحجاز، فقال له الحسين ـ رضي الله

عنه ـ: ما وراءك؟ قال: على الخبير سَقَطْت، قلوبُ الناس معك، وسيوفهم مع بني أميَّة، والأمر ينزل من السَّماء، فقال الحسين ـ رضي الله عنه ـ: صَدَقْتَنِي.

اعْقِل وَتَوَكَّلْ

يُضرب في أخْذِ الأمر بالحزم والوثيقة.

ويروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أأرْسِلُ ناقتي وأتوكل؟ قال: «**اعْقِلْهَا وتوكَّلْ**»(١).

العَوْدُ أحْمَدُ

يجوز أن يكون «أحمد» أفعل من الحامد، يعني أنه إذا ابتدأ العُرْفَ جلَب الحمد إلى نفسه، فإذا عاد كان أحمد له، أي: أكسب للحمد له. ويجوز أن يكون أفعل من المفعول، يعنى أن الابتداء محمود والعود أحق بأن يُحمد منه.

وأوّل من قال ذلك خِداش بن حابس التميمي، وكان خطب فتاة من بني ذُهْل ثم من بني سَدُوس يُقال لها الرَّباب، وهام بها زماناً، ثم أقبل يخطبُها، وكان أبواها يتمنَّعان لجمالهما وميَسِمها، فردَّا خداشاً، فأضرب عنها زماناً، ثم أقبل ذات ليلة راكباً، فانتهى إلى

(١) صحيح الترمذي، للألباني ـ رحمه الله ـ (٢٠٤٤).

مَحَلَّتهم وهو يتغني ويقول:

ألا لَيْتَ شِعْري يا رَبابُ مَتَى أرَى
لنَا منْكِ نُجْحاً أو شِفاء فأَشْتَفِي
فقد طالما عنَّيْتني وَرَدَدْتني
وأنت صَفيِّي دون مَنْ كُنْتُ أصْطَفِي
لَحَى الله مَنْ تَسْمُو إلى المال نَفْسُهُ
إذا كان ذا فَضْل به لَيْسَ يَكْتَفِي
فَيُنْكِح ذَا مال دَميماً مُلَوَّماً
ويَتْرُكُ حُرّاً مثلَه لَيْسَ يَصْطَفِي

فعرفت الرَّباب منطِقَه، وجعلت تتسمَّع إليه، وحفظت الشِّعر، وأرسلت إلى الرَّكب الذين فيهم خداش أن انزلوا بنا الليَّلة، فنزلوا، وبعثت إلى خداش: أن قد عَرَفْتُ حاجتك فاغْدُ عَلَى أبي خاطباً، ورجعت إلى أمِّها، فقالت: يا أمَّه، هل أنْكح إلّا من أهوى، وألْتَحف إلّا من أرضى! قالت: لا، فما ذاك؟ قالت: فأنكحيني خداشاً، قالت: وما يدعوك إلى ذلك مع قلَّة ماله؟ قالت: إذا جمع المال السَّيِّئُ الفعال فقبحاً للمال، فأخبرت الأُمُّ أباها بذلك، فقال: ألم نكن صرفناه عنا، فما بدا له؟ فلمَّا أصبحوا غدا عليهم خداش فسلّم وقال: «العَوْدُ أحمد، والمرء يَرْشُد، والورْدُ يُحْمَد»، فأرسلها مثلاً.

ويقال: أول من قال ذلك وأخذ النَّاس منه مالك بن نويرة حين قال:

جَزَيْنَا بَني شَيْبَانَ أمس بقَرْضِهِمْ
وَعُدْنَا بِمِثْل البَدْء وَالعَوْدُ أحْمَدُ

فقال الناس: العَوْدُ أحمد.

غَمَرَاتٌ ثُمَّ يَنْجَلِينَ

يقال: إن المثل للأغلب العِجْليّ.

يُضْرَب في احتمال الأمور العظام والصبر عليها.

ورفع «غمرات» على تقدير هذه غمرات، ويروى: «الغَمَرات ثم ينجلين» وكأنه قال: هي الغمرات، أو القصة الغمرات تُظْلِم ثم تنجلي، وواحدة الغَمَرات ـ وهي الشدائد ـ غَمْرَة، وهي ما تغمر الواقع فيها بشدتها، أي تقهره.

غَثُّك خَيْرٌ مِنْ سَمِين غَيْرِكَ

أول مَنْ قال ذلك مَعْن بن عطيّة المَذْحِجي، وذلك أنَّه كانت بينهم وبين حيٍّ من أحيا العرب حرب شديدة، فمرّ معن في حملة حملها برجل من حربه صريعاً، وقال: «امْنُنْ عَلَيَّ كُفِيتَ البلاء»، فأرسلها مثلاً، فأقامه مَعَن وسار به حتى بلغه مَأْمَنَه، ثم عطف أولئك القوم على مَذحِج فهزَمُوهم وأسروا مَعْناً وأخاً له يُقال له روق، وكان يُضَعَّف ويُحَمَّق، فلمّا انصرفوا إذا صاحبُ مَعْنٍ الذي نجاه أخو رئيس القوم، فناداة مَعْن، وقال:

يا خَيْرَ جازٍ بيد
أوليتها نجٍّ مُنْجِيكا

هـــل مـــن جَـــزَاء عـــنْـــدَك الْ
يَـــوْمَ لِمَـــن رَدَّ عَـــوَادِيـــكَـــا
مِـــنْ بَـــعْـــد مـــا نـــالـــتـــك بـــالْ
كَـــلْـــم لَـــدَى الحَـــرْبِ غَـــوَاشِـــيـــكَـــا

فعرفه صاحبه فقال لأخيه: هذا المانُّ عليَّ ومُنْقِذي بعد ما أشرفت على الموت فَهَبْهُ لي. فوهبه له، فخلَّى سبيله، وقال: إني أحبُّ أن أضاعف لك الجزاء، فاختر أسيراً آخر، فاختار مَعْنٌ روقاً، ولم يلتفت إلى سيّد مَذْحِج وهو في الأسارى. ثم انطلق مَعْن وأخوه راجعين، فمرّا بأسارى قومهما، فسألو عن حاله، فأخبرهم الخبر، فقالوا لمعْن: قَبَّحَك الله! تَدَعُ سيِّد قومك وشاعرهم لا تفكّه، وتفكُّ أخاك هذا الأنْوَك الفَسْل الرَّذْلَ فوالله مانكأ جُرْحاً، ولا أعمل رُمْحاً، ولا ذعَر سَرْحاً، وإنه لقبيح المَنْظَر، سيِّئ المَخْبَر، لئيم؛ فقال مَعْن: «غَثُّكَ خَيْرٌ من سَمِين غيرك» فأرسلها مثلاً.

ولمَّا بايع الناس عبد الله بن الزُّبير تمثل بهذا المثل عبد الله بن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ، فقال: أين المذهب عن ابن الزُّبير؟ أبوه حَوَاريُّ رسول الله ﷺ، وجَدَّتُه عَمَّه رسول الله ﷺ صَفيَّة بنت عبد المطلب، وعمّته خَديجة بنت خُوَيْلد زوج النبيّ ﷺ، وخالته أمُّ المومنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فشَدَدْت علي يده وعَضُده، ثم آثر عليَّ الحميدات والأسامات فبأوتُ نفسي(١)، ولم أرضَ بالهَوَان، وإن ابن أبي العاصي مَشَى اليَقْدَمِيَّة، وإن ابن الزبير مشى القَهْقَرَى، ثم قال لعليّ

(١) بأوت: علوت.

ابـــن عبد الله بن عباس: الْحَقْ بابن عمتك، فَغَثُّكَ خيرٌ من ســمين غيرك، ومنك أنفُكَ وإن كان أجْدع. فلحق ابنُهُ عليّ بعبد الملك بن مروان، فكان آثر الناس عنده.

قوله: «آثَرَ علي الحميدات» أراد قوماً من بني أسد بن عبد العزَّى من قرابته، وكأنه صغّرهم وحقرهـــم. قال الأصمعي: الحميديون من بني أســـد من قريش. وابن أبي العاصي: عبد الملك بن مروان نَسَبَه إلى جدِّه.

وقوله: «مشى اليقدَميه» أي: تقدم بهمته وأفعاله.

يقال: مشى فلان اليقْدميَّة والقدمية، إذا تقدّم في الشرف والفضل، ولم يتأخر عن غيره في الإفضال على الناس. قال أبوعمرو: معناه التبختر، وهو مَثَل، ولم يُرد المشي بعينه.

غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ

أي: قليل من كثير: الغيض: النقصان، والفيض: الزيادة، يقال: غـــاض يَغِيضُ غَيْضاً، ومثله فاض، وهذا كقولهم: «بَرْضٌ من عِدٍّ» والبَرض: القليل من كل شـــيء، والعِـــدّ: الماء الذي له مادة؛ ومنه قول ذي الرُّمَّة:

دَعَـــتْ مَـيَّـــةُ الأعْــــدَادَ وَاسْـــتَـبْـــدَلَـــتْ بِـهَـا
خـنَـاطِـيـــل آجـــال مـــن الـعِـــين خُـــذَّل[1]

(١) الخناطيل: جمع خنطولة، وهي قطيع البقر.

فِي الصَّيْفِ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ

ويروى: «الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللبن» والتاء من «ضيعتِ» مكسورة في كل حال، إذا خوطب به المَذكر والمؤنث والاثنان والجمع؛ لأن المَثَل في الأصل خوطبت به امــرأة، وهي دَخْتَنُوس بنت لقيط بن زرارة كانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس، وكان شيخاً كبيراً، فَفَرَكَته[1] فطلقهــا. ثم تزوجهــا فتى جميلُ الوجــه، وأجْدَبَتْ، فبعثت إلى عمــرو تطلب منه حَلُوبة، فقال عمرو «في الصيف ضيعتِ اللبن»، فلما رجع الرسولُ وقال لها ما قال عمرو ضربَتْ يَدَها على منكب زوجهــا، وقالت: «هذَا ومَذْقُه خَيْــرٌ» تعني أن هذا الزوج مع عدم اللبن خير من عمرو، فذهبت كلمتاهما مثلاً.

فالأول يُضرب لمن يطلب شــيئاً فَوَّته على نفسه، والثاني يُضرب لمن قَنَع باليسير إذا لم يجد الخطير.

وإنما خص الصيف لأن ســؤالها الطلاق كان في الصيف، أو أن الرجل إذا لم يطرق ماشــيته في الصيــف كان مضيعاً لألبانها عند الحاجة.

---

(١) فركته: كرهته.

فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمُ

هذا مما زعمت العرب على ألْسُنِ البهائم قالوا: إن الأرنب التقطَت ثمرةً، فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب، فقالت الأرنب: يا أبا الحِسْل، فقال: سميعاً دَعَوْت، قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلاً حَكَّمتُمَا، قالت: فاخرج إلينا، قال: «في بيته يؤتى الحكم»، قالت: إني وجدت ثمرة، قال: حُلُوَة فَكُليها، قالت: فاخْتَلَسها الثعلب: قال: لنفسه بَغَى الخيرَ، قالت: فَلَطَمْتُه، قال: بحقِّك أخَذت، قالت: فَلَطَمَني، قال: حُرٌّ انتصَرَ، قالت: فَاقْضِ بيننا، قال: قد قَضَيْتُ، فذهَبَت أقواله كلها أمثالاً.

ومما يشبه هذا ما حكي أن خالد بن الوليد لمَّا تَوَجَّه من الحجاز إلى أطراف العراق دخل عليه عبدُ المسيح بن عمرو بن نُفَيْلَة، فقال له خالد: أين أقْصَى أثرك؟ قال: ظَهْرُ أبي، قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمِّي، قال: علام أنت؟ قال: على الأرض، قال: فيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: فمن أين أقْبَلْتَ؟ قال: من خلفي، قال: أين تريد؟ قال: أمامي، قال: ابن كم أنت؟ قال: ابنُ رجل واحد، ، قال: أتَعْقل؟ قال: نعم وأُقَيِّدُ، قال: أحرب أنت أم سِلْمٌ؟ قال: سِلْمٌ، قال: فما بال هذه الحُصون؟ قال: بنيناها لِسَفِيهٍ حتى يجيء حليم فينهاه.

ومثل هذا أنّ عَديَّ بن أرْطاة أَتَى إياس بن معاوية قاضِيَ البصرة

في مجلس حُكمه، وعديٌّ أمير البصرة، وكان أعرابيَّ الطَّبْع، فقال لإياس: يا هَنَاه أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط، قال: فَاسمع منِّي، قال: للاستماع جَلَستُ، قال: إنّي تزوجت امرأة، قال: بالرَّفاء والبَنين، قال: وَشَرَطْتُ لأهلها ألَّا أخرجها من بينهم، قال: أوف لهم بالشَّرط، قال: فأنا أريد الخروج، قال: في حفظ الله، قال: فاقْض بيننا، قال: قد فعلت، قال: فَعَلى مَنْ حَكَمْتَ؟ قال: على ابن أخي عمّك، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك!

أَفْرَخَ رَوْعُك

يُقال: أفْرَخَت البَيْضَةُ، إذَا نْفلَقَتْ عَن الفَرْخ؛ فخرجَ منها.

يُضرب لمن يُدْعَى له أن يَسْكُنَ رَوْعُه.

قال أبو الهيثم: كُلُّهُمْ قالُوْا: رَوْعُك بفتح الراء، والصواب ضم الراء؛ لأن الرَّوْعَ المصدر، والرُّوعُ القلبُ، وموضعُ الرَّوْعِ، وأنشد بيت ذي الرُّمة بالضم:

وَلَّيَّ يَهُزُّ انْهِزَاماً وَسْطَهُ زَعِلاً
جَذْلَانَ قَدْ أفْرَخَتْ عَنْ رُوعِهِ الْكُرَبُ

قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ

أصله أن قوماً اجتمعوا يَخْطُبون في صُلْحٍ بين حيين قتل أحدهُما من الآخر قتيلاً، ويسألون أن يرضوا بالدِّية، فبينا هم في ذلك إذ جاءت أمَةٌ يقال لها: «جهيزة» فقالت: إن القاتل قد ظَفِرَ به بعضُ أولياء المقتول فقتله، فقالوا عند ذلك «قَطَعَتْ جهيزةُ قولَ كل خطيب» أي: قد استغني عن الخُطَب.

يُضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بِحَماقة يأتى بها.

قَلَبَ الأَمْرَ ظَهْراً لِبَطْنٍ

يُضرب في حسن التدبير.

واللام في «البطن» بمعنى على، ونصب «ظهراً» على البدل، أي قَلَبَ ظهر الأمر على بطنه حتى علم ما فيه.

قلبَ لَهُ ظَهْرَ المِجَنِّ

يُضرب لمن كان لصاحبه على مَوَدَّة ورِعاية ثم حَالَ عن العَهْد.

كتب أمير المؤمنين عليّ ـ رضي الله عنه ـ إلى ابن عبّاس ـ رضي

اللهُ عنه ـ: إنّي شَرَكْتُكَ في أمانتي، ولم يكن رجلٌ من أهلي أوثقَ منك في نفسي، فلمّا رأيتَ الزَّمان على ابن عَمِّك قد كَلِبَ، والعدوّ قد حَرِب، قَلَبْتَ لابن عَمّكَ ظَهْر المِجَنِّ لفراقه مع المُفارِقين، وخَذْله مع الخاذِلين.

قَدْ أَلْقى عَصاهُ

إذا استقرَّ من سَفَرٍ أو غيره، قال جرير:

فَلَمَّا الْتَقَى الحَيَّانِ أَلْقيتِ الْعَصَا
وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيْبتْ مَقاتِلُهْ

وحكي أنه لمَّا بُويع لأبي العبَّاس السَّفاح قام خطيباً، فسَقَطَ القضيبُ من يده فتَطَيَّرَ من ذلك، فقام رجل فأخذ القضيبَ ومَسَحه ودَفَعه إليه وأنشد:

فأَلْقَتْ عَصاها وَاسْتَقَرَّتْ بِها النَّوَى
كَمَا قَرَّ عَيْناً بالإِيابِ المُسافِرِ

وقال عليّ بن الحسن بن أبي الطيب الباخرزي في ضدّه:

حَمْلُ الْعَصَا لِلْمُبْتَلَى
بِالشَّيْبِ عُنْوَانُ الْبِلَى
وُصِفَ المُسافِرُ أَنَّهُ
أَلْقَى الْعَصَا كَيْ يَنْزِلا
فَعَلَى الْقِياسِ سَبِيلُ مَنْ
حَمَلَ الْعَصَا أَنْ يَرْحَلا

قَدْ قِيْلَ ذلِكَ إنْ حَقّاً وإنْ كَذِباً

إن أول مَــنْ قال ذلك النعمان بن المنــذر اللَّخْمِيُّ للربيع بن زياد العبســي، وكان له صديقاً ونديماً، وإن عامراً مُلَاعِبَ الأسنَّة وعوف بن الأحوص وســهيل بن مالك ولبيد بن ربيعه وشمَّاســاً الفزاري وقلابه الأســدي قدموا على النعمان، وخَلَّفُــوا لبيداً يرعى إبلهم، وكان أحدثهم سناً، وجعلوا يغدون إلى النعمان ويروحون، فأكرمَهُمْ وأحْسَنَ نُزُلَهم، غير أن الربيع كان أعْظَمَ عنده قَدْراً، فبينما هم ذات يــوم عند النعمان إذا رجز بهم الربيع وعابَهُمْ وذكرهم بأقبح ما قَدَرَ عليه، فلما سمع القومُ ذلك انصرفوا إلى رِحَالهم، وكلٌّ إنسان منهم مُقْبِلٌ على بَثِه، ورَوَّحَ لبيد الشَّــول، فلما رأى أصحابه وما بهم من الكَآبة سألهم: مالكم؟ فكتموه، فقال لهم: والله لا أحْفَظُ لكم مَتَاعاً ولا أسْرَحُ لكم إبلاً أو تُخْبِرُوني بالذي كنتم فيه، وإنما كَتَمُوا عنه لأن أم لبيد امرأة من بني عبس، وكانت يتيمة في حِجْر الرَّبيع، فقالوا: خَالُــك قد غَلَبَنا على الملك وصَدَّ بوجهه عنا، فقال لبيد: هل فيكم مــن يكفيني الإبل وتدخلوني على النعمان معكم؟ فواللَّات والْعُزَّى لأدَعَنَّهُ لا ينظر إليه أبداً، فخلفوا في إبلهم قُلابة الأســدي، وقالوا للبيد: أو عندك خير؟ قال: سَــتَرَوْنَ، قالوا: نَبْلُوك في هذه البَقْلة، لبَقْلة بين أيديهم دقيقة الأغصان قليلة الأوراق لاصقة بالأرض تدعى التَّرِبَةَ، صفْها لنا واشْتُمْهاَ، فقال: هذه التَّرِبَةُ التي لا تُذْكِي ناراً، ولا

تؤهل داراً، ولا تَسُرُّ جاراً، عودُها ضئيل، وفَرْعُها كَليل، وخيرها قَليل، شَرُّ البقول مَرْعَى، وأقْصَرُها فَرْعا، فَتْعساً لها وجَدْعا! القَوْا بي أخا عبس، أرُدّه عنكم بتَعْس، وأدَعْهُ من أمره في لَبْس، قالوا: نُصْبِحُ فنرى رَأيَناَ، فقال لهم عامر: انظروا هذا الغلام، فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء إنما يتكلَّم بما جاء على لسانه، ويَهْذي بما يَهْجس في خاطره، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم، فرمَقُوه، فرأوه قد رَكِبَ رَحْلاً حتى أصبح، فخرج القومُ وهو معهم حتى دخلوا على النعمان وهو يتغدَّى والربيع يأكل معه، فقال لبيد: أبيتَ اللّعن! أتأذن لي في الكلام! فأذن له، فأنشأ يقول:

يَا رُبَّ هَيْجاَ هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَهْ
أكُلَّ يَوْم هَامَتي مُقَرَّعَهْ
نَحْنُ بَنُو أمِّ الْبَنِينَ الأرْبَعَهْ
ونَحْنُ خَيْرُ عَامِر بْن صَعْصَمَهْ
الْمُطْعِمُونَ الْجَمْنَةَ الْمُدَعْدَعَهْ
وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحتَ الْخَيْضَعَهْ
يَا وَاهِبَ الْخَيْر الْكَثِير مِنْ سَعَهْ
إلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلاداً مَسْبَعَهْ
تُخْبرُ عَنْ هذَا خَبيراً فَاسْمَعَهْ
مَهْلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لا تَأْكُلْ مَعَهْ
إنَّ اُسْتَهُ مِنْ بَرَص مُلَمّعَهْ
وَإنَّهُ يُدْخِلُ فِيهاَ إصْبَعَهْ
يُدْخِلُهاَ حَتَّى يُوَارِي أشْجَعَهْ
كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئاً أَطْمَعَهْ

ويروى «ضَيَّعَهْ». فلما سمع النعمان الشعر أَفَّف، ورفع يده من الطعام، وقال للربيع: أكذاك أنت؟ قال: لا، واللات لقد كَذَب ابن الفاعله، قال النعمان: لقد خبث عليَّ طعامي، فغضب الربيع وقام وهو يقول:

لَئِن رَحَلْتُ رِكَابِي إنَّ لِي سَعَةً
مَا مِثْلُهَا سَعَةٌ عَرْضًا وَلَا طُولا
وَلَوْ جَمَعْتُ بَنِي لخم بِأَسْرِهِمُ
مَاوَازَنُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمْوِيلَا
فَابْرُقْ بِأَرْضِكَ يَا نعمانُ مُتَّكِئاً
مَعَ النِّطَاسِي طَوْراً وَابْنِ توْفيلا

وقال: لا أبرح أرضك حتى تبعث إليَّ من يفتشني فتعلم أن الغلام كاذب، فأجابه النعمان:

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلا
تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنْكَ الْأَبَاطِيلَا
فَقَدْ رُمِيتَ بِدَاء لَسْتَ غَاسِلَهُ
مَا جَاوَرَ النِّيلَ يَوْماً أَهْلُ إبليلَا
قَدْ قِيلَ ذلِكَ إن حَقًّا وَإنْ كَذِباً
فَمَا اعْتِذَارُكَ مِنْ شَيْء إذَا قِيلَا!

قوله «بنو أم البنين الأربعة» هم خمسة: مالك بن جعفر ملاعب الأسنة وطفيل بن مالك أبو عامر بن الطفيل، وربيعة بن مالك، وعبيدة بن مالك، ومعاوية بن مالك، وهم أشراف بني عامر، فجعلهم أربعة لأجل القافية.

و«سمويل» أحد أجداد الربيع، وهو في الأصل اسم طائر.

وأراد بالنِّطاسي روميًّا يقال له سرحون.
و«ابن توفيل» روميٌّ آخر كانا يُنادمان النعمان.

قَدْ حَمِيَ الْوَطِيسُ

قال الأصمعيّ وغيره: الْوَطِيس حجارة مُدَوَّرة، فإذا حميت لم يمكن أحداً أن يطأ عليها.
يُضرب للأمر إذا اشتدَّ.
ويروى أن النبي ﷺ «**رُفَعتْ له أرض مُؤتَة فرأى معترك القوم؛ فقال: الآن حميَ الوطيسُ**»[1]، أي: اشتدَّ الأمر.

اقْتُلُونِي وَمَالِكاً

أول من قال ذلك عبد الله بن الزبير، وذلك أنه عانق الأشتراك النَّخِعِيَّ فَسقطا عن جَوَاديهما إلى الأرض، واسم الأشتر مالك، فنادى عبدُ الله بن الزبير:

اُقْتُلُونِي وَمَالِكاً
وَاقْتُلُوا مَالِكاً مَعِي

فضرب مثلاً لكل مَنْ أراد بصاحبه مكروهاً وإن ناله منه ضرر.

---

(١) روي من طريق الواقدي مرسلاً، (البداية والنهاية، لابن كثير، ٤/ ٢٤٧)، وينظر: «كنز العمال» (٢٩٩١٧).

القَوْلُ مَا قَالَتْ حَذَام

أي: القول السَّديدُ المُعْتَدُّ به ما قالَتْه، وإلّا فالصِّدْقُ والكذبُ يَسْتَويان في أن كُلا منهما قولٌ:

يُضرب في التَّصْديق.

قال ابن الكلبيّ: إنّ المَثَل للُجَيْم بن صَعْب والد حنيفة وعِجْل، وكانت حَذَام امرأته، فقال فيها زَوْجُها لُجَيْم:

إذا قالَتْ حذام فَصَدِّقُوها
فَإنَّ القَوْلَ ما قالَتْ حَذَام

ويروى «فأنصِتُوها» أي: أنْصِتوا لها، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝﴾ [المطففين: ٣]، أي: كالوا لهم أو وَزَنُوا لهم.

قَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيّاً

يُضرب لمن يُوعَظ فلا يَقْبَل ولا يَفْهَم.

كأنما أُنْشِطَ مِنْ عِقالِ

الأنشـوطة: عقدة يسـهل انحلالها، مثل عقدة التِّكَّة، ونَشَطْتُ الحبل أنَشـطهُ نَشْطاً: عَقَدْتُه أُنْشُوطَة، وأنشَطْتُه: حللته، والعِقَالُ ما يُشَدُّ به وَظِيفُ البعير إلى ذراعه.

يُضرب لِمَن يتخلَّصُ من ورطة فينهض سريعاً.

كالأَشْقَرِ إنْ تَقَدَّمَ نُحِر، وإنْ تَأَخَّرَ عُقِرَ

العرب تتشـاءم من الأفراس بالأشقر، قالوا: كان لقيط بن زرارة يوم جَبَلة على فرس أشـقر، فجعل يقول: أشقر، إن تتقدم تُنْحر، وإن تتأخَّر تُعقر، وذلك أن العرب تقول: شُـقْر الخيل سـراعُها، وكُمْتُهـا صلابها، فهو يقول لفرسـه: يا أشـقر، إن جَرَيْتَ على طبعك، فتقدّمت إلى العدوّ قَتَلُوك، وإن أسـرعت مُنْهزما أتَوْكَ من ورائك فعَقَرُوك، فاثبت والزم الوقار، وانف عني وعنك العار.

وكان حميد الأرقط عند الحجاج، فأتي برجلين لصَّيْن من جَهْرم كانا مع ابن الأشـعث، فأقيما بين يديه، فقال لحميد: هل قلت في هذين شـيئاً؟ قال: نعم، قلت، ولم يكن قال شـيئاً، فارتجل هذه القصيدة ارتجالاً، وأنشدها، وهي:

لَمَّا رَأى العَبْدَان لِصاً جَهْرَما
صَوَاعِقَ الحَجّاج يُمْطِرْنَ الدَّما
وَبلاً أحايين وَسَحّاً ديما
فأصْبَحا وَالحَرْبُ تُغْشَى قُحَما
بمَوْقِف الأشْقَر إنْ تَقَدَّمَا
بَاشَرَ مَنْحُوضَ السِّنَانِ لهزما
والسَّيْفُ مِنْ وَرَائِه إنْ أحْجَما
يُضرب لما يُكره من وجهين.

كلُّ فَتَاةٍ بأبِيهَا مُعْجَبَةٌ

يُضرب في عُجْب الرَّجل برَهْطه وعشيرته.

وأوّل مَنْ قال ذلك العَجْفَاء بنت علقمة السَّعدي، وذلك أنها وثلاث نسوة من قومها خَرَجْنَ فاتَّعَدْن برَوْضَة يتحدَّثْنَ فيها، فوافَيْنَ بها ليلاً في قمر زاهر، وليلة طَلْقَة ساكنة، ورَوْضَة مُعْشبَة خَصْبَة، فلمّا جلسن قُلْنَ: ما رأينا كاللَّيلة ليلة، ولا كهذه الرَّوضة رَوْضَة، أطيبَ ريحاً ولا أنضرَ، ثمّ أفَضْنَ في الحديث فقُلْنَ: أيّ النِّساء أفضل؟ قالت إحداهنّ: الخَرُود الوَدُود الوَلُود، قالت الأخرى: خَيْرُهنّ ذات الغناء، وطيّب الثَّناء، وشدّة الحَياء، قالت الثالثة: خَيْرهنّ السَّمُوع الجَمُوع النَّفُوع، غير المنوع، قالت الرَّابعة: خيْرهنّ الجامعة لأهلها، الوادِعَة الرَّافِعَة، لا الواضِعَة، قلن: فأيّ الرِّجال أفضل؟ قالت

إحداهن: خَيْرهم الحظـيُّ الرَّضِيُّ غير الحِظال[1] ولا التبال، قالت الثانية: خَيْرهم السَّيِّدُ الكريم، ذو الحَسَب العميم، والمجد القديم، قالت الثالثة: خَيْرهم السَّخِيُّ الوَفِيُّ الذي لا يُغيرُ الحرَّة، ولا يتَّخذ الضُّرَّة، قالت الرابعة: وأبيكنّ إنّ في أبي لَنَعْتُكُنّ: كرَمُ الأخلاق، والصدقُ عند التَّلاق، والفَلْج[2] عند السِّباق، ويحمده أهل الرِّفاق، قالت العَجْفَاء عند ذلك: «كلُّ فتاة بأبيها مُعْجَبَة».

وفي بعض الرِّوايات أنّ إحداهن قالت: إنّ أبي يُكْرِمُ الجارَ، ويعظم النارَ، ويَنْحَر العِشارَ بعد الجَوار، ويحلّ الأمور الكبارَ، فقالت الثانية: إنّ أبي عظيم الخَطَر، منيع الوَزَر، عَزيز النَّفَر، يُحْمَدُ منه الوِرْدُ والصَّدَر، فقالت الثالثة: إنّ أبي صَدُوق اللِّسان، كثير الأعْوَان، يُروي السِّنان عند الطِّعان، قالت الرابعة: إنّ أبي كريم النِّزَال، مُنيف المقال، كثيرُ النَّوال، قليلُ السؤال، كريمُ الفَعَال، ثمّ تَنَافَرْنَ إلى كَاهنَة معهن في الحيّ، فقلن لها: اسمعي ما قلنا، واحكمي بيننا واعْدِلي، ثم أعَدْنَ عليها قولَهنّ، فقالت لهنّ: كلّ واحدة منكنّ ماردَةٌ، على الإحسان جاهدة، لصواحباتها حاسدة، ولكن اسْمَعْنَ قولي: خَيْرُ النِّساء المُبْقِيَةُ على بَعْلها، الصَّابرَة على الضَّرَّاء، مخافة أن ترجع إلى أهلها مطلَّقَة، فهي تُؤْثِر حظَّ زوْجها على حظِّ نفسها، فتلك الكريم الكاملة، وخيرُ الرِّجال الجَوَادُ البَطَلُ، القَلِيلُ الفَشَل، إذا سأله الرَّجل ألفاه قليلَ العِلَل، كثير النَّفَل، ثمّ

(١) الحظال: البخيل المحاسب لأهله وعياله.

(٢) الفلج: النصر.

قالت: «كلّ واحدةٍ منكنّ بأبيها مُعْجَبَة».

كُلُّ الصَّيْد في جَوْف الْفَرَا

قال ابن السِّكيت: الفَرَا: الحمارُ الوَحْشِيُّ، وجمعه فِراء.

قالوا: وأصل المثل أن ثلاثة نَفَرٍ خرجوا متصيِّدين، فاصطادَ أحدُهم أرْنَباً، والآخر ظَبياً، والثالث حِماراً، فاستبشر صاحبُ الأرنب وصاحبُ الظَّبي بما نالا وتطاولا عليه، فقال الثالث: كُلُّ الصَّيْد في جوف الْفَرَا، أي هذا الذي رُزِقْتُ وظفَرتُ به يشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيدُه الناس أعْظَمُ من الحمار الوحشي.

وتألَّف النبيُّ ﷺ أبا سفيان بهذا القول: حين استأذن على النبيّ ﷺ، فحُجِبَ قليلاً ثم أذن له، فلمّا دخل قال: ما كدْتَ تأذَنُ لي حتى تأذَنَ لحجارة الجلْهَمَتيْن، قال أبو عبيد: الصوابُ الجَلْهَتَين، وهما جانبا الوادي، فقال ﷺ: «**يا أبا سفيان أنتَ كما قيلَ كل الصيد في جوف الْفَرَا**»[1]، يتألّفه على الإسلام، وقال أبو العباس: معناه إذا حَجَبْتُك قَنَعَ كلُّ محجوب.

يُضرب لمن يُفضَّلُ على أقرانه.

---

(١) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (رقم٨٢٦): رواه «الرامهرمزي في الأمثال... وسنده جيد، لكنه مرسل».

أَكْذِبِ النَّفْسَ إذَا حَدَّثْتَها

أي: لا تُحَدِّث نفسَك بأنَّك لا تظفر، فإنّ ذلك يُثَبِّطك.

سئل بَشَّار المُرَعَّثُ: أيُّ بيت قالت العرب أشعر؟ قال: إن تفضيلَ بيت واحد على الشعر كله لشديد، ولكن أحْسَنَ لبيدٌ في قوله:

واكْذِبِ النَّفْسَ إذَا حَدَّثْتَها
إنْ صِدْقَ النَّفْس يُزْرِي بالأمَل

كالثَّوْرِ يُضْرَبُ لمَّا عافَتِ البَقَرُ

عَافَ يَعَافُ عِيَافاً، إذا كره، كانت العرب إذا أوردوا البَقَرَ فلم تشرب لكَدَر الماء أو لأنه لا عَطَش بها ضربوا الثَّوْرَ ليقتحم البقرُ الماء، قال نَهْشَلٍ ابن حرِّيّ:

أُتْتْرَكُ دَارِم وَبَنُو عَدِيٍّ
وَتَغْرَمُ عَامِرٌ وَهُمُ بَرَاء
كَذَاكَ الثَّوْرُ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِي
إذا مَا عَافَتِ الْبَقَرُ الظِّمَاء

وقال أنس بن مُدْرِك:

إنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكاً ثُمَّ أعقلهُ
كالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ الْبَقَر

يعني أن سُلَيكا كان يستحقُّ القتلَ فلما قتلته طُولِبْتُ بدَمه.

وقال بعضهم: الثور الطُّحْلُبُ، فإذا كَرِهَ البقرُ الماء ضُرِب ذلك الثورُ ونُحِّيَ عن وجه الماء فيشرب البقر.

يُضرب في عقوبة الإنسان بذَنْب غيره.

كلُّ شاةٍ بِرِجْلِها مُعَلَّقَةٌ

أولُ من قال ذلك وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد، وكان ولي أمْرَ البيت بعد جُرْهُم، فبنى صَرْحاً بأسفل مكَّة عند سوق الخيَّاطين اليوم، وجعل فيه أمةً يُقال لها حزورة، وبها سُمِّيتْ حَزْوَرَة مكة، وجُعل في الصَّرْح سُلَّماً، فكان يَرْقاه، ويزعمُ أنه يناجي الله ـ تعالى ـ، وكان ينطق بكثير من الخبر، وكان علماء العرب يزعمون أنه صدِّيق من الصدِّيقين، وكان من قوله: مرضِعَة أو فاطمة، ووادعة وقاصمة، والقطيعة والفجيعة، وصلَة الرحم، وحسن الكلم، ومن كلامه: زَعمَ ربُّكم ليجزينّ بالخير ثواباً، وبالشر عقاباً، وإنّ مَنْ في الأرض عَبيدٌ لمن في السماء، هلكت جُرْهم وربلت(١) إياد، كذلك الصلاح والفساد، فلما حضرته الوفاة جمع إياداً فقال لهم: اسمعوا وصيتي، الكلم كلمتان، والأمر بعد البَيَان، من رَشَد فاتبعوه، ومن غَوَى فارفُضُوه، «وكلُّ شاة برجلها مُعَلَّقة»، فأرسلها مثلاً، قال: ومات وكيع فنُعِي على الجبال، وفيه يقول بشير بن الحجير الإياديّ:

(١) ربلت إياد: كثرت وزادت.

وَنَـــحْــــنُ إيـــادٌ عـــبـــادُ الإلـــه
وَرَهْـــــط مُـنَـاجـيـه فِــي سُـلَّــمِ
وَنـــحْـــنُ وُلَاةُ حِــجَــاب الْـعَـتـيـق
زَمَـــانَ الـنُّـخَـاعَ عَـلَـى جُـرْهُـم

يُقال: إن الله سلَّط على جُرْهم داءاً يُقال له النُّخاع، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشبّان، وفيهم قال بعض العرب:

هَـلَـكَـتْ جُـرْهُـم الْـكِـرَامُ فـعَـالاً
وَوُلَاةُ الْـبَـنِـيَّـةِ الْحُـجَّـابُ
نُـخِـعُـوا لَـيْـلَـةً ثَـمَـانُـونَ كَـهْـلاً
وَشَـبَـابـاً كَـفَـى بِـهِـمْ مِـنْ شَـبَـابِ

كَمُجِيرِ أمّ عامرٍ

كان من حديثه أنّ قوماً خرجوا إلى الصَّيْد في يوم حارٍّ، فإنَّهم لَكَذلك إذا عَرَضَتْ لهم أمُّ عامر، وهي الضَّبُع، فطَرَدُوها، واتبعتهم حتى ألجأوها إلى خباء أعرابيّ، فاقتحمته، فخرج إليهم الأعرابي، وقال: ما شأنكم؟ قالوا: صَيْدُنا وطَريدَتُنا، فقال: كلّا، والذي نفسي بيده لا تَصلُون إليها ما ثَبَتَ قائمُ سَيْفي بيدي قال: فرجعوا وتركوه، وقام إلى لِقْحَة فحَلَبَها وماء فقرب منها، فأقبلَتْ تَلغُ مرَّة في هذا ومرَّة في هذا حتى عاشت واستراحت، فبينا الأعرابيّ نائم في جَوْف بيته إذ وَثَبَتْ عليه فبَقَرَتْ بطنه، وشَربت دَمَه وتركته، فجاء ابنُ عمٍّ له يطلبُه فإذا هو بَقِيرٌ في بيته، فالتفت إلى موضع

الضَّبُع فلم يرها، فقال: صاحبتي والله! فأخَذ قوسه وكِنانته واتبعها، فلم يزل حتى أدركها فقتَلَها، وأنشأ يقول:

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوف مَعْ غَيْر أهْلِهِ
يُلاقِ الَّذي لاقَى مُجَيرُ أمِّ عامِرِ
أدامَ لَها حِينَ اسْتَجارَتْ بقُرْبِه
لها مَحْضَ ألْبانِ اللِّقاحِ الدَّرائِر
وأسْمَنَها حَتَّى إذا ما تَكامَلَتْ
فَرَتْهُ بأنْيابٍ لَها وَأظافِر
فَقُلْ لِذَوِي المَعْرُوف هذا جَزاءُ مَنْ
بَدا يَصْنَعُ المَعْرُوفَ في غَيْرِ شاكِرِ

كَيْفَ أعَاوِدُكَ وَهَذَا أثَرُ فَأْسِكَ

أصل هذا المثل على ماحكته العرب على لسان الحيَّة أن أخوين كانا في إبل لهما، فأجْدَبَتْ بلادهما، وكان بالقُرْب منهما واد خصيبٌ وفيه حَيَّة تَحْميه من كلِّ أحد، فقال أحدهما للآخر: يا فلان، لو أنِّي أتَيْتُ هذا الوادي المُكْلِئ فرَعَيْتُ فيه إبلي وأصلحتُها، فقال له أخوه: إنِّي أخاف عليك الحيَّة، ألا تَرَى أن أحداً لا يهبط ذلك الوادي إلَّا أهلكَتْه، قال: فوالله لأفْعَلَنّ، فهبط الوادي ورعى به إبله زماناً، ثم إنَّ الحيَّة نَهَشَتْه فقتلَتْه، فقال أخوه: والله ما في الحياة بعد أخي خَيْر، فلأطلُبنَّ الحيَّة ولأَقْتلَنَّها أو لأتبعنّ أخي. فهبط ذلك الوادي وطلب الحيَّة ليقتلها، فقالت الحيَّة له: ألست تَرَى أنِّي قتلت

أخاك؟ فهل لك في الصُّلح فأدَعَك بهذا الوادي تكون فيه وأعطيك كلّ يوم ديناراً ما بقيت؟ قال: أوَ فاعلة أنت؟ قالت: نعم، قال: إنّي أفعل، فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يَضُرُّها، وجعلَتْ تُعْطيه كلَّ يوم ديناراً، فكثر مالُه حتى صارَ من أحسن الناس حالاً، ثمّ تَذَكَّر أخاه فقال: كيف ينفعني العيشُ وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ فعمدَ إلى فأس فأخذها ثمّ قَعَدَ لها فمرَّتْ به فتبعها فضربها فأخطأها ودخَلَت الْجُحْرَ، ووقعت الفأس بالجبل فوق جُحْرها فأثرت فيه، فلمّا رَأتْ ما فَعَلَ قطعت عنه الدِّينار، فخاف الرَّجل شَرَّها وندم، فقال لها: هل لَكِ في أن نَتَوَاثَق ونَعُودَ إلى ما كنّا عليه؟ فقالت: كيف أُعاوِدك وهذا أثَرُ فأسك!

يُضرب لمن لا يَفِي بالعهد.

وهذا من مشاهير أمثال العرب، وقال نابغة بن ذُبيان:

وأنِّي لألْقَى من ذَوي الْغَيِّ مِنْهُمُ
وما أَصْبَحَتْ تَشكو من الشَّجْو ساهِرَهْ
كما لَقِيَتْ ذاتُ الصَّفَا مِنْ حَلِيفِها
وكانَتْ تُريه المَالَ غِبّاً وَظاهِرَهْ
فَلَمَّا رَأى أنْ ثَمَّرَ الله مالَهُ
وَأثَّل مَوْجُوداً وَسَدَّ مَفاقِرَهْ
أكَبَّ عَلَى فأس يُجِدُّ غُرابَها
مُذَكَّرَة مِنْ ذي المَعاوِل باتِرَهْ
فَقَامَ لَها مِنْ فَوْقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ
لِيَقْتُلَها أوْ يُخْطِئَ الْكَفُّ ناظِرَهْ

فَقالَ: تَعَالَيْ نَجْعَلِ اللهَ بَيْنَنَا
عَلَى مالِنَا أَوْ تُنْجِزِي لِيَ آخِرَهْ
فَقالَتْ: يَمِينُ اللهِ أَفْعَلُ؛ إِنَّنِي
رَأَيْتُكَ مَشْئُوماً يَمِينُكَ فَاجِرَهْ
أَبَى لِي قَبْرٌ لا يَزالُ مُقابِلِي
وَضَرْبَةُ فَأْسٍ فَوْقَ رَأْسِيَ فَاقِرَهْ

كالمُسْتَغِيثِ مِنَ الرَّمْضاءِ بِالنَّارِ

يُضرب في الخلّتين من الإساءة تجمعان على الرَّجُل.

كَذِي العُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ

قال أبو عبيدة: هذا لا يكون، وقال غيره: إن الإبل إذا فَشاَ فيها العر ـ وهو قُرُوحٌ تخرج بمَشَافر الإبل ـ أُخِذَ بعيرٌ صحيحٌ وكُوِي بين أيدي الإبل بحيث تنظر إليه، فتبرأ كلها، قال النابغة:
حَمَلْتَ عَلَيَّ ذَنْبَهُ وَتَرَكْتَهُ
كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ

لَوْ ذَاتُ سِوارٍ لَطَمَتْنِي

أي: لو لَطَمَتْنِي ذاتُ سِوَار؛ لأنّ «لو» طالبَة للفعل داخلة عليه، والمعنى: لو ظَلَمَني مَنْ كان كُفْأ لي لهان عليَّ، ولكن ظلمني مَنْ هو دوني. وقيل: أراد لو لَطْمَتْنِي حُرَّة، فجعل السِّوار علامة للحُرِّيَّة؛ لأنَّ العرب قَلَّما تُلْبس الإماء السِّوار، فهو يقول: لو كانت اللَّاطمَة حُرَّة لكان أخّفّ عليّ، وهذا كما قال الشاعر:

فَلَوْ أَنِّي بُلِيتُ بِهَاشِمِيٍّ
خُؤُولَتُهُ بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ

لَهَانَ عَلَيَّ مَا أَلْقَى، وَلكِنْ
تَعَالَوْا فَانْظُرُوا بِمَنِ ابْتَلَانِي

لَيسَ الخَبَرُ كالمُعَايَنَةِ

قال المفضلّ: يروى أنْ رسول الله ﷺ أوَّل مَنْ قاله، وكذلك قوله: «ماتَ حَتْفَ أنفِهِ»، و«يا خَيْلَ الله ارْكَبِي».

لِكُلِّ صارم نَبْوَة
وَلِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَةٌ، وَلِكَلِّ عالمٍ هفْوَة

يُقال: نَبا السيفُ إذا تجافى عن الضريبة، وكَبَا الفرسُ: عثر، وهَفْوَة العالم: زلَّته.

لِكُلِّ ساقِطَة لاقِطَةٌ

قال الأصمعيّ وغيرهُ: الساقطة الكلمة يَسْقُطُ بها الإنسان، أيْ لكلِّ كلمة يخطيء فيها الإنسان مَنْ يتحفَّظها فيحملُها عَنْه، وأدخل الهاء في «اللَّاقطة» إرادة المبالغة، وقيل: أُدْخِلَتْ لازدواج الكلام.

يُضْرب في التحفظ عند النُّطق.

وقال ثعلب: يعني لكلّ قَذر فَدِرٌ(١).

وقيل: أرادَ لكلّ كلمة ساقطةٍ أذنٌ لاقطة؛ لأنّ أداة لَقْطِ الكلام الأُذُن.

(١) الفِدر ـ بفتح الفاء وكسر الدال المهملة، بزنة كتف ـ الأحمق.

لِكنَّ حَمْزَة لابَواكِي لَهُ

قالـه النبي ﷺ لمَّا وجَدَ نسـاء المدينة يبكـين قَتْلاهُنّ بعد أَحُد، فأمر سـعد بن معاذ وأسيد بن حضير ـ رضي الله عنهما ـ نساءهم أن يتحزَّمن ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسـول الله ﷺ، فلمَّا سمع رسـول الله ﷺ بكاءهنّ على حمزة خرج إليهـنّ وهُنّ على باب مسجده فقال: «ارْجِعْنَ يرحكمنّ الله، فقد أَسَأْتُنَّ بأنفُسكنّ»(١).

يُضرب عند فقد من يهتمُّ بشأنك.

لَوْ غَيْرُ ذَاتِ سِوَار لَطَمَتْني

يروي الأصمعيُّ المثل على هذا الوجه، وذلك أن حاتماً الطائي مَرَّ بلاد عَنَزَةَ في بعض الأشـهر الحُرُمُ، فناداه أسير لهم: يا أبا سَفَّانة، أكَلَنِي الإسَارُ والقمل، فقال: ويْحَكَ! أسأتَ إذا نَوَّهْتَ باسمي في غير بلاد قومي، فسـاوَمَ القوم به، ثـم قال: أطْلقُوه واجعلوا يَدي في القدّ مكانه، ففعلوا، فجاءته امـرأة ببعير ليَفْصدَهُ فقام فنَحَره، فلطمَـتْ وَجْهَه، فقال: لو غَيْرُ ذات سِـوَار لطمتني، يعني أني لا أقتصّ من النساء، فُعرفَ، ففَدى نفسه فداء عظيماً.

---

(١) أخرجه بنحوه ابن ماجه (١٥٩١)، وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح ابن ماجه (١٢٩٣).

لْليَدَيْنِ وَللْفَمِ

يُقال هذا عند الشماتة بُسقُوط إنسان، وفي الحديث أن عمر ـ رضي الله عنه ـ أتي بسَكْرَان في شهر رمضان، فتعثَّر بذَيْله، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: لليدين وللفم! أوولْدُنُنَا صِيَام وأنت مُفْطر! ثم أمر به فحُدّ. وأراد على اليدين وعلى الفم، أي: أسقطه الله عليهما.

لَا عِطْر بَعْدَ عَرُوسٍ

أولُ من قال ذلك امرأة من عُذْرَة يُقال لها أسماء بنت عبد الله وكان لها زوج من بني عمها يُقال له عروس، فمات عنها فتزوَّجها رجل من غير قومها، يُقال له نَوْفَل، وكان أعْسَرَ أبْخَرَ بخيلاً دميماً، فلما أراد أن يظعن بها قالت له: لو أذِنتَ لي فرثَيْتُ ابنَ عمي وبكيت عند رَمْسه، فقال: افعلي، فقالت: أبكيك يا عروسَ الأعراس، يا ثعلباً في أهله وأسَداً عند الباس، مع أشياء ليس يعلمها الناس، قال: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان عن الهمة غير نَعَّاس، ويُعملُ السيف صبيحات الْباس، ثم قالت: يا عروس الأغرّ الأزهر، الطيب الخِيم الكريم المَخْبر، مع أشياء له لاتذكر، قال: وما

تلك الأشـــياء؟ قالت: كان عَيُوفاً للخَنَا والمنكر، طيِّب النَّكْهة غير أبخر، أيسر غير أعسر، فعرف الزوْج أنها تُعَرِّض به، فلما رحَل بها قال: ضُمِّي إليك عِطْرَكِ، وقد نظر إلى قَشْوَة[1] عطرها مطروحَة، فقالت: «لا عِطْرَ بعد عَروس»، فذهبت مثلاً.

ويُقال: إن رجلاً تزوج امرأة، فأهْدِيَتْ إليه، فوجَدَها تَفِلة، فقال لهـــا: أين الطيب؟ فقالت: خبأتـــه، فقال لها: «لا مَخْبأ لعطر بعد عروس»، فذهبت مثلاً.

يُضرب لمن لا يُدَّخَرُ عنه نَفِيسٌ.

لَا تَعْدَمُ الْحَسْنَاءُ ذَاماً

الذَّامُ والذَّيْم: العَيْبُ، ومثله: الـسَّرارُ والرَّيْر، والعَاب والعَيْب، في الوزن.

وأوّل مـــن تكلم بهذا المثل ـ فيما زعم أهل الأخبار ـ حُبَّى بنت مالك بن عمرو العَدْوَانية، وكانت من أجمل النساء، فسمع بجمالها مَلِكُ غَسَّان فخطبها إلى أبيها، وحكَّمه في مهرها، وسأله تعجيلها، فلَما عزَمَ الأمر قالت أمها لتُبَّاعها: إن لنا عند الملامســـة رَشْحَة فيها هَنَة، فإذا أَرَدْتُنَّ إدخالها على زوجها فَطَيِّبْنَها بما في أصدافها، فلما كان الوقـــت أعْجَلَهُنَّ زوجها، فأغفلن تطيبها، فلما أصبح قيل له: كيـــف وجدت أهْلكَ طروقتك البارحة؟ فقال: ما رأيت كالليلة قط

(١) قشوة العطر: وعاؤه.

لولا رُوَيْحة أنكرتها؛ فقالت هي من خَلف الستر: «لا تعدم الحسناء ذاماً»، فأرسلتها مثلاً.

لَا يُلسَعُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْر مَرَّتَيْنْ

قيـل: هذا كناية عمّـا يُؤَثِّمه، أي: أن الشَّـرع يمنع المؤمن من الإصرار؛ فلا يأتي ما يستوجب به تضاعف العقوبة.

يُضرب لمن أُصيب ونُكب مرّة بعد أخرى.

ويُقال: هذا من قول النبي ﷺ لأبي عَزَّةَ الشاعر، أَسَرَه يوم بَدْرٍ، ثم مَنَّ عليه، وأتاه يوم أُحُد فأَسَرَه، فقال: مُنَّ عَلَيَّ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا القول(١)، أي: لو كنتَ مؤمناً لم تُعاوِد لقتالنا.

لَا فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ

أول مـن قال ذلك أبو سـفيان بن حرب، وذلـك أنه أقبل بعِير قريش، وكان رسـول الله ﷺ قد تحَيَّنَ انصرافها من الشـام فنَدَب المسـلمين للخروج معه، وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة، وقد خاف خوفاً شديداً، فقال لمجديّ بن عمرو: هل أَحْسَسْتَ من أحدٍ مـن أصحاب محمـد؟ فقال: ما رأيت من أحـد أنكره إلا راكبين

---

(١) «لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين»، أخرجه البخاري (٥٧٨٢)، ومسلم (٢٩٩٨).

أتَيَا هذا المكان، وأشار له إلى مكان عديٍّ وبسبس عَيْنَيْ رسول الله ﷺ، فأخذ أبو سفيان أبْعَاراً من أبعار بعيريهما ففَتَّها فإذا فيها نَوىً، فقال: علائفُ يَثْرب، هذه عيونُ محمد، فضرب وجوهَ عِيرِه فسَاحَلَ بها، وترك بَدْراً يساراً، وقد كان بَعَثَ إلى قريش حين فَصَلَ من الشام يخبرهم بما يخافه من النبي ﷺ، فأقبلت قريش من مكة، فأرسل إليهم أبو سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العِير، ويأمرهم بالرجوع، فأبَتْ قريش أن تَرْجِع ورَجَعَتْ بنو زهرة من ثَنِيَّة أجدى، عدلوا إلى الساحل مُنْصَرفين إلى مكة، فصادفهم أبو سفيان، فقال: يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير، قالوا: أنت أرْسَلْتَ إلى قريش أن ترجع، ومضت قريش إلى بدر، فواقعهم رسول الله ﷺ، فأظفره الله ـ تعالى ـ بهم، ولم يشهد بدراً من المشركين من بني زهرة أحد.

قال الأصمعي: يُضرب هذا للرجل يحطُّ أمره ويصغِّر قدره.

وروي أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فقال: يا أخي لقد هممت اليوم أن أفْتِكَ بالوليد بن عبد الملك، فقال له: والله بئسما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين! فقال: إن خيلي مَرَّت به فتعبث بها وأصغرها وأصغرني، فقال خالد: أنا أكْفِيكَهُ، فدخل خالد إلى عبد الملك والوليد عنده فقال: يا أمير المؤمنين إن الوليد مَرَّتْ به خيلُ ابن عمه عبد الله بن يزيد بن معاوية فتعبث بها وأصغره، وعبدالملك مُطرِق، فرفع رأسه وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]،

إلى آخر الآية، فقال خالد: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [الإسراء:١٦] إلى آخر الآية، فقال عبدالملك: أفي عبدالله تكلمني؟ والله لقد دَخَلَ عَلَيَّ فما أقام لسانه لَحْناً، فقال خالد: أفعَلَى الوليد تعوّل؟ فقال عبدالملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان لا، فقال خالد: وإن كان عبدالله يلحن فإن أخاه خالداً لا، فقال له الوليد: اسكُتْ يا خالدُ فوالله ما تُعَدُّ في العِيرِ ولا في النَّفير، فقال خالد: اسْمَعْ يا أمير المؤمنين، ثم أقبل عليه فقال: ويْحَكَ! مَنْ في العير والنفير غيري؟ جَدِّي أبو سفيان صاحبُ العِير، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النَّفِير، ولكن لو قلت: غُنَيمات وحُبَيْلات والطائف ورحم الله عثمان، قلنا: صدقت عَنَى، بذلك طَرْدَ رسول ﷺ الحكمَ إلى الطائف إلى مكان يدعى غُنيَمات، وكان يأوي إلى حُبْلَة وهي الكَرْمَة، وقوله: «رَحِمَ الله عثمان» لردِّه إياه.

لا تكُنْ حُلْواً فَتُسْتَرَطَ، وَلا مُرّاً فَتُعقَى(١)

الاستراط: الابتلاعُ، والإعقاء: أن تشتد مرارة الشيء حتى يلفظ لمرارته، والمعنى: لا تتجاوز الحد في المرارة فترمى، ولا في الحلاء فتُبْتَلَع، أي: كن متوسطاً في الحالين.

(١) ينظر رسالة السخاوي: «الجواب الذي انضبط عن لا تكن حلواً فتُسترط» بتحقيق الشيخ مشهور حسن سلمان، لمعرفة ما قيل في ضبط هذا المثل.

لا ينتطحُ فيه عنزان

أي: لا يكون له تغيير، ولا له نكير من أحد.

لَا تنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ

يُنشد في هذا المعنى:

إذا عِبْتَ أمراً فَلاَ تَأْتِه
فَذُو اللُّبِّ مُجْتَنِبٌ مَا يَعِيب

وقيل أيضاً:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُق وَتَأْتي مِثْلَهُ
عارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ

مَا يُقَعْقَعُ لَهُ بِالشِّنَانِ

القَعْقَعَة: تحريك الشيء اليابِس الصُّلْب مع صَوْتٍ مثل السِّلاح وغيره، والشِّنَان: جمع شَنٍّ، وهو القِربَة البالية، وهم يحرّكونها إذا أرادوا حَثَّ السَّيْر لتَفْزَعَ فتُسْرِعَ، قال النابغة:

كأنكَ مِنْ جِمَالِ بَني أُقَيْش
يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

يُضــرب لمن لا يَتّضع لما ينــزل به من حوادث الدَّهر، ولا يروّعه ما لا حقيقة له.

ماتَ حَتْفَ أنْفِه

ويروى: «حَتْفَ أنْفَيْه» و«حَتْفَ فِيهِ» أي: مات ولم يُقْتَل، وأصلُهُ أن يموتَ الرَّجل على فراشه فتخرج نفسه من أنفه وفمه.

قـــال خالد بن الوليد عند مَوْته: لقــد لَقِيتُ كذا وكَذَا زَحْفاً، ما في جَسَدي موضعُ شِبْرٍ إلّا وفيه ضَرْبة أو طَعْنَة أو رَمْيَة، وها أنا ذا أموتُ حَتْفَ أنفي كما يموت العَيْرُ، فلا نامَتْ أَعْيُنُ الجُبَنَاء!

ما يَوْمُ حَلِيمَة بِسِرٍّ

هي حليمة بنت الحارث بن أبي شــمر، وكان أبوها وَجَّه جيشــاً إلى المنذر بن ماء الســماء، فأخرجت لهم طِيباً من مِرْكَن فَطَّيبتهم، وقال المبرِّد: هو أشْــهرُ أيام العرب، يقال: ارتفع في هذا اليوم من العَجَاج ما غَطَّى عَيْن الشمس حتى ظهرت الكواكبُ.

يُضــرب مثلاً فــي أمــر مُتعالم مشــهور، قــال النابغة يصف السيوف:

تُــخُــيِّــرْنَ مــن أزْمَـــان عَــهْــد حَــلـيـمَـة
إلــى الْــيَــوْمَ قَــدْ جُــرِّ بْــنَ كُــلَّ الــتَّــجَــارِبِ

تَـقُـدُّ الـسَّـلُـوقِـيَّ المُـضَـاعَـفَ نَـسْـجُـهُ
وَيُـوقِـدْنَ بِـالـصُّـفَّـاحِ نَـارَ الحُـبَـاحِـبِ[1]

وذكر عبد الرحمن بن المفضل عن أبيه قال: لما غزا المنذر بن ماء السماء غَزَاته التي قُتل فيها، وكان الحارث بن جَبَلَة الأكبر ملك غسان يخاف، وكان في جيش المنذر رجل من بني حنيفة يقال له شمرُ بن عمرو، وكانت أمه من غسان، فخرج يتوصل بجيش المنذر يريد أن يلحق بالحارث، فلما تدانَوْ سار حتى لحق بالحارث، فقال: أتاك ما لاتُطيق، فلما رأى ذلك الحارث نَدَبَ من أصحابه مائَة رجل اختارهم رجلاً رجلاً، فقال: انطلقوا إلى عسكر المنذر فأخْبِرُوهُ أنّا نَدينُ له ونُعْطيه حاجته، فإذا رأيتمْ منه غِرَّة فاحملوا عليه، ثم أمر ابنته حَليمة فأخرجَتْ لهم مِرْكَناً فيه خَلُوق، فقال: خَلِّقيهِمْ، فخرجت إليهم وهي من أجمل ما يكون من النساء، فجعلت تخلِّقهم، حتى مر عليها فتى منهم يقال له لبيد بن عمرو، فذهبت لتُخَلِّقه، فلما دَنَتْ منه قَبَّلَها، فلطمته وبكت، وأتَتْ أباها فأخبرته الخبر، فقال لها: وَيْلَكِ اسْكُتِي عنه فهو أرْجَاهُمْ عندي ذكاءَ فؤاد، ومَضى القوم ومعهم شمِر بن عمرو والحَنَفي حتى أتوا المنذر فقالو له: أتيناك من عند صاحبنا وهو يَدينُ لك ويعطيك حاجتك، فتباشَرَ أهلُ عسكر المنذر بذلك، وغَفَلُوا بعض غَفْلة، فحملوا على المنذر فقتلوه، فقيل: «ليس يوم حليمة بسرّ»، فذهبت مثلاً.

(١) السلوقية: دروع تنسب إلىمكان بعينه، والصفاح: حجارة عراض، والمضاعف الذي نسج حلقتين حلقتين. وإنما خصها لأنه أشد على السيوف، والحباحب دويبة تضيء بالليل كالنار، فضربها مثلاً لما ينقدح من الحجارة إذا قرعتها السيوف.

ما أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَهْ

أي: ما أشبه بعض القوم ببعض.
يُضرب في تساوي الناس في الشر والخديعة.
وتمثل به الحسن ـ رضي الله عنه ـ في بعض كلامه للناس.
وهو من بيت أوله:

كُلُّهُمْ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبِ
مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَهْ

وإنما خصّ البارحة لقربها منها، فكأنه قال: ما أشبه الليلة بالليلة، يعنى أنهم في اللؤم من نصاب واحد.
يُضرب عند تشابه الشيئين.

مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ

الإسْجَاحُ: حسنُ العفو، أي ملكت الأمر عليَّ فأحسن العفو عني، وأصله السهولة والرفق، يُقال: مشْيَةٌ سُجُح، أي سهلة، قال أبو عبيد: يروى عن عائشة أنها قالت لعليّ ـ رضي الله عنهما ـ يومَ الْجَمل حين ظهَرَ على الناس فَدَنا من هَوْدَجها ثم كَلَّمها بكلام فأجابته «مَلَكْتَ فأَسْجِحْ» أي: ملكت فأحسِنْ، فجهزها عند ذلك بأحسن جهاز وبَعَثَ معها أربعين امرأة، وقال بعضهم: سبعين امرأة حتى قدمت المدينة.

ماكلُّ بَيْضاءَ شَحْمَةً، ولا كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً

كانت هندُ بنت عَوْف بن عامر بن نزار بن بجيلة تحت ذهل بن ثعلبه بن عكابة، فولدت له عامراً وشيبان، ثم هلك عنها ذهل، فتزوجها بعده مالك بن بكر بن سعد بن ضبة، فولدت له ذهل بن مالك، فكان عامر وشيبان مع أمهما في بني ضَبَّة، فلما هلك مالك بن بكر انصرفا إلى قومهما، وكان لهما مال عند عمهما قيس بن ثعلبه، فوجداه قد أتْوَاه، فوثب عامر بن ذهل فجعل يخنقه، فقال قيس: يا ابن أخي دعني فإن الشيخ متأوه، فذهب قوله مثلاً، ثم قال: ما كل بيضاء شَحْمة، ولا كل سوداء تمرة، يعنى أنه وإن أشبه أباه خَلْقاً فلم يشبهه خُلقاً، فذهب قوله مثلاً.

يضرب في موضع التهمة.

مَا يُشَقُّ غُبارُهُ

يراد أنه لا غبار له فيشق، وذلك لسرعة عدوه وخفة وطئه.

قال الشاعر:

خَفَّتْ مَوَاقِعُ وَطْئه فلو أَنَّهُ
يَجْرِي بِرَمْلَةِ عَالِج لم يُرْهج

وقال النابغة:

أَعَلِمْتَ يَوْمَ عُكَاظَ حِينَ لَقِيتَني
تَحْتَ الْعَجَاجِ فَمَا شَقَقْتَ غُبَاري

يضرب لمن لا يُجارى.

لأن مجاريك يكون معك في الغبار، فكأنه قال: لا قِرْنَ له يجاريه، وهذا المثل من كلام قصير لجذيمة، وقد مر ذكره عند قصه الزباء.

مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فما ظَلَمَ

أي: لم يَضَع الشَّبهَ في غير موضعه؛ لأنَّه ليس أحدٌ أوْلى به منه بأن يشبهه، ويجوز أن يُراد فما ظلم الأبُ، أي: لم يظلم حين وضع زَرْعَه حيث أدَّى إليه الشبه، وكلا القولين حسن.

وكتب الشيخ عليّ أبو الحسن إلي الأديب البارع، وقد وَفَد إليه ابنُه الرَّبيعُ بن البارع، فقال: مَرْحَباً بولده، بل بولدي الظَّريف، الرَّبيع الوارد في الخريف.

كَأَنَّكَ قَدْ قَابَلْتَ مِنْهُ سَجَنْجَلاً(١)
فَجَاءَكَ مِنْهُ بِالخَيَالِ الْمُمَاثِلِ

وَمَا ظَلَمَ إذَا أَشْبَهَ أَبَاهَ، وإنَّمَا ظَلَمَهُ أنْ لَوْ كَانَ أَبَاهُ.

---

(٢) السجنجل: المرآة.

مَنِ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَمَ

أي: ظَلَم الغَنَم، ويجوز أن يُراد ظَلَم الذئب، حيث كلَّفه ما ليس في طبعه.

يُضرب لمن يُوَلي غير الأمين.

قالــوا: إن أول مَنْ قال ذلك أكثم بن صيفي، وذلك أن عامر بن عبيــد بن وهيب تزوج صعبة بنت صيفــي أخت أكثم، فولدت له بنين: ذئباً، وكلباً، وسـبعاً، فتزوج كلب امرأة من بني أسد ثم من بني حبيب، وأغار على الأقياس ـ وهم قيس بن نوفل، وقيس بن وهبان، وقيس بن جابر ـ فأخذ أموالهم، وأغار بنو أســد على بني كلب ـ وهم بنو أختهم ـ فأخذوهم بالأقياس، فوفد كلب بن عامر علــى خاله أكثم، فقال: ادفع إلى الأقياس أموالهم حتى أفتدى بها بنيَّ من بني أســد، فأرد أكثم أن يفعل ذلــك، فقال أبوه صيفي: يــا بني لا تفعل؛ فإن الكلب إنســان زهيد، إن دفعت إليه أموالهم أمسـكها وإن دفعت إليه الأقياس أخذ منهــم الفداء، ولكن تجعل الأموال على يد الذئب فإنَّــه أمثل إخوته وأنبلهم، وتدفع الأقياس إلى الكلب، فإذا أطلقهم فمُر الذئب أن يدفع إليهم أموالهم، فجعل أكثم الأموال على الذئب والأقياس على يد الكلب، فخدع الكلب أخــاه الذئب فأخذ منــه أموالهم، ثم قال لهم: إن شــئتم جززت نواصيكــم وخليت ســبيلكم، وذهبت بأموالكم، وخليتم ســبيل

أولادي، وذهبتم بأموالهم، وبلغ ذلك أكثم فقال: من استرعى الذئب ظلم، وأطمع الكلب في الفداء فطول على الأقياس فأتاه أكثم فقال: إنك لفي أموال بني أسد وأهلك في الهوان، ثم قال: «نَعِيمُ كلبٍ في هَوَان أهله»، فأرسلها مثلاً.

مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ

هو رجل من العَمَاليق، أتاه أخ له يسأله، فقال له عُرْقُوب: إذا أَطْلَعَتْ هذه النَّخْلة فلَكَ طَلْعها، فلمّا أطْلَعَت أتاه للْعدة، فقال: دَعْها حتى تصير بَلَحاً، فلمَّا أبْلَحَت قال: دَعْها حتى تصيرَ زَهْواً، فلمّا زَهَتْ قال: دَعْها حتى تصير رُطَباً، فلمّا أَرْطَبَتْ قال: دَعْها حتى تصير تمراً، فلمّا أَتْمَرَتْ عمَد إليها عُرْقُوبٌ من الليل، فجَدَّها ولم يُعْط أخاه شيئاً، فصار مثلاً في الخُلف، وفيه يقول الأشجعيّ:

وَعَدْتَ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً
مَوَاعِيدَ عُرْقُوبَ أَخَاهُ بِيَتْرب

ويُرْوى: «بيَثْرب» وهي مدينة الرَّسولَ ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ، ويترَب ـ بالتاء، وفتح الرَّاء ـ موضع قريب من اليمامة، وقال آخر:

وَأَكْذَبُ مِنْ عُرْقُوب يَتْربَ لَهْجَةً
وأبْيَنُ شُؤماً في الْحَوَائِجِ مِنْ زُحَلْ

مُكْرَهٌ أَخُوكَ لَابَطَلٌ

هذا مــن كلام أبي حَنَش خال بَيْهس المُلقب بنَعَامة، وقد ذكرت قصته في باب الثاء عند قوله: «ثُكْل أرأمها ولدَا»، يريد أنه محمولٌ على ذلك، لا أنَّ في طَبْعه شجاعة.

يُضرب لم يُحْمَل على ما ليس من شأنه.

مَنْ طَلَبَ شَيْئاً وَجَدَهُ

أول مــن قال ذلك عامر بــن الظَّرِب، وكان ســيد قومه، فلما كبر وخشــيِ عليه قومه أن يموت، اجتمعوا إليه وقالوا: إنَّك سيدنا وقائلنا وشــريفنا، فاجعل لنا شريفاً وسيداً وقائلاً بعدك، فقال: يا معشر عدوان كلّفتموني بَغْيا، إن كنتم شَرَّفتموني فإنّي أريتكم ذلك من نفســي، فأنّى لكم مثلي: افهموا مــا أقول لكم، إنَّه من جمع بــين الحق والباطل لم يجتمعا له، وكان الباطل أولى به، وإنّ الحق لم يزل ينفر من الباطل، ولم يزل الباطل ينفر من الحق، يا معشــر عدوان لا تشــمتوا بالذِّلَّة، ولا تفرحــوا بالعزَّة، فبكل عيش يعيش الفقير مع الغنى، ومن يــرُ يوماً يُرَ به، وأعِدُّوا لكل امرئ جوابه، إنّ مع الســفاهة الندامة، والعقوبة نكال، وفيها ذمامة، ولليد العليا

العاقبة، والقَوَد راحة، لا لك ولا عليك، وإذا شئت وجدت مثلك، إن عليك كما أن لك، وللكثرة الرعب، وللصبر الغَلبة، ومن طلب شيئاً وجده، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه.

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَاماً

قيل: إنه عصام بن شهير حاجب النعمان بن المنذر الذي قال له النابغة الذبياني حين حجبه عن عيادة النعمان من قصيدة له:

فَإنِّي لاَ أَلُومُكَ فِي دُخُولٍ
وَلَكِنْ مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ

يُضرب في نباهه الرجل من غير قديم، وهو الذي تسميه العرب «الخارجي» يعنى أنه خرج بنفسه من غير أوليه كانت له، قال كثير:

أَبَا مَرْوَانَ لَسْتَ بِخَارِجِيٍّ
وَلَيْسَ قَدِيمُ مَجْدِكَ بِانْتِحَالِ

وفي المثل: «كن عصامياً، ولا تكن عظامياً» وقيل:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا
وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالإقْدَامَا
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكاً هُمَامَا

يقال: إنه وُصف عند الحجاج رجل بالجهل، وكانت له إليه حاجة، فقال في نفسه: لأَخْتَبِرَنَّهُ، ثم قال له حين دخل عليه: أعصامياً أنت أم عظامياً؟ يريد أشرفت أنت بنفسك أم تفتخر بآبائك الذين

صاروا عظاماً؟ قال الرجل: أنا عصامي وعظامي، فقال الحجاج: هذا أفضل الناس، وقضى حاجته، وزاده، ومكث عنده ثم فاتشه فوجده أجهل الناس، فقال له: تصدقني وإلا قتلتك، قال له: قل ما بدا لك وأصدقك، قال: أَجَبْتَنِي بما أجبت لما سألتك؟ قال له: والله لم أعلم أعصامي خير أم عظامي، فخشيت أن أقول أحدهما فأخطئ، فقلت: أقول كليهما، فإن ضرني أحدهما نفعني الآخر! وكان الحجاج ظنَّ أنه أراد أَفْتَخِرُ بنفسي لفضلي وبآبائي لشرفهم، فقال الحجاج عند ذلك: المقادير تُصَيِّرُ العيَّ خطيباً، فذهبت مثلاً.

أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ

يقال: نَجَزَ الوَعْدُ ينجز، وقال الأزهري: نَجَزَ الوَعْدُ وأَنْجَزْتُهُ أنا، وكذلك نجزت به، وإنما قال حرٌّ ولم يقل الحرُّ لأنه حذر أن يسمي نفسه حراً فكان ذلك مدحاً.

قال المفضل: أول من قال ذلك الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي لصخر بن نهشل بن دارم، وذلك أن الحارث قال لصخر: هل أدلك على غنيمة على أن لي خمسها؟ فقال صخر: نعم، فدله على ناس من اليمن، فأغار عليهم بقومه، فظفروا وغنموا، فلما انصرفوا قال له الحارث: أنجز حرٌّ ما وعد، فأرسلها مثلاً، فراود صخر قومه على أن يعطوا الحارث ما كان ضمن له، فأبوا عليه، وكان في طريقهم ثنية متضايقة يقال لها شجعات، فلما دنا القوم

منها سار حتى سبقهم إليها، ووقف على رأس الثنية وقال: أزمت شجعات بما فيهن، فقال جعفر بن ثعلبه بن جعفر بن ثعلبه بن يربوع: والله لا نعطيه شيئاً من غنيمتنا، ثم مضى في الثنية فحمل عليه صخر فطعنه فقتله، فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس، فدفعه إلى الحارث، فقال في ذلك نهشل بن حرِّيٍّ:

وَنَحْنُ مَنَعْنا الجيشَ أن يتأَوَّبُوا
عَلى شَجَعَاتٍ وَالْجِيَادُ بنا تَجْرِي

النَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ العَاجِلِ

هذا المثل لجرير بن الخَطَفي حيث يقول:

إني لأرْجُو منْكَ شَيْئاً عَاجِلاً
وَالنَّفْس مُولَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ

وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَة

كان رجل من دُهَاة العرب وعُقَلائهم يقال له شَنٌّ، فقال: والله لأطُوفَنَّ حتى أجد امرأة مثلي أتزوَّجها، فبينما هو في بعض مسيره إذا وافقه رجلٌ في الطريق، فسأله شَنٌّ: أين تريد؟ فقال: موضع كذا، يريد القرية التي يَقْصدُها شَنٌّ، فوافقه حتى إذا أخذا في مسيرهما قال له شَنٌّ: أتَحْمِلُني أم أحْملكَ؟ فقال له الرَّجل: يا

جاهل أنا راكب وأنتَ راكب، فكيف أحملك أو تحملني! فسكَتَ عنه شَنٌّ، وسارا حتى إذا قَرُباَ من القرية إذا بَزرْع قد اسْتَحْصَد فقال شَنٌّ: أترى هذا الزرع أكِل أم لا! فقال له الرَّجُل: يا جاهل! ترى زرعاً مُسْتحصداً فتقول: أكل أم لا؟ فسكَتَ عنه شَنٌّ حتى إذا دخلا القريـة لَقِيَتْهُما جنَازة فقال شَنٌّ: أترى صاحبَ هذا النَّعْش حيّاً أو ميّتاً؟ فقال الرجل: ما رأيتُ أجْهَلَ منك، ترى جنَازة تسأل عنها أمَيْتٌ صاحبُها أم حَيّ! فسكَتَ عنه شَنٌّ، فأراد مُفَارقته، فأبَى الرجل أن يتركـه حتى يصير به إلى منزله، فمضَى معه، فكان للرَّجل بنت يُقال لها طَبَقَة، فلمّا دخل عليها أبوها سألته عن ضَيْفه، فأخبرها بمرافقته إيَّاه، وشكا إليها جَهْلَه، وحدَّثها بحديثه، فقال: يا أبت، ما هذا بجاهل، أمّا قوله: «أتحمِلُني أم أحملك» فأراد أتحدِّثُني أم أحَدِّثُك حتى نقطع طريقنا، وأمّا قوله: «أترى هذا الزَّرع أكِل أم لا» فأراد هَلْ باعه أهلُه وأكلوا ثمنه أم لا، وأمّا قوله في الجنازة، فأراد هل: ترك عَقِباً يَحْيَا بهم ذِكْرُهُ أم لا، فخرج الرَّجل فقَعَد مع شَنٍّ فحادَثه ساعة، ثم قال: أتحبُّ أن أفسِّرَ لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم فَسِّرْهُ، فَفَسَّرَهُ، قال شَنٌّ: ما هذا من كلامك، فأخبرني عن صاحبه، قال: ابنة لـي، فخَطَبها إليه، فزوَّجه إيَّاها، وحَمَلَها إلى أهله، فلمّا رأوْها قالوا: «وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَة»، فذهبت مثلاً.

يُضرب للمُتوافقين.

وقال الأصمعيّ: هم قوم كان لهم وعاء من أَدَم فتَشَنَّنَ، فجعلوا له طبقاً، فوافقه، فقيل: وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَهُ، وهكذا رواه أبو عبيد في

كتابه، وفسَّره.

وقال ابن الكلبيّ: طَبَقَةُ قبيلة من إياد كانت لا تُطَاق، فوقع بها شَنٌّ بن أفْصَى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعمى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، فانتصف منها، وأصابت منه، فصار مثلاً للمُتّفقين في الشِّدَّة وغيرها، قال الشاعر:

لَقِيَتْ شَنٌّ إيَاداً بالْقَنَا
طَبَقاً وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَهْ

وزاد المتأخّرون فيه: وافقه فاعتنقه.

وَجَدْتُ النَّاس اُخْبر تَقْلُهُ

ويجوز: «وجدت الناسُ» بالرفع على وجه الحكاية للجملة، كقول ذي الرمة:

سَمِعتُ الناسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً
فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلالاً

أي: سمعت هذا القول، ومن نصب الناسَ نصبه بالأمر، أي: اخْبُرِ الناسَ تَقْلُ، وجعل وجدت بمعنى عرفت هذا المثل، والهاء في «تقلُهْ» للسكت بعد حذف العائد، أعني أن أصله اخْبُرِ الناسَ تَقْلُهُمْ، ثم حذف الهاء والميم، ثم أدخَلَ هاء الوقف، وتكونَ الجملة في موضع النصب بوجدت، أي وجدتُ الأمر كذلك.

قال أبو عبيد: جاءنا الحديثُ عن أبي الدرداء الأنصاري ـ رضي

الله عنـــه ـ، قال: أخرج الكلام على لفظ الأمر ومعناه الخبر، يريد أنك إذا خَبَرْتَهُم قَلَيْتهم أي: أبغضتهم.

يُضرب في ذم الناس وسُوء مُعاشرتهم.

أَوْسَعْتُهُمْ سَبّاً وَأَوْدَوْا بالْإبِل

يُقال: «وَسِعَهُ الشَّيء» أي: حاط به، وأوسَعْتُهُ الشيء، إذا جعلته يَسَعَهُ، والمعنى كَثَّرْتُه حتى وَسِعَه، فهو يقول: كثرت سَبَّهم فلم أَدَعْ منه شيئاً.

وحديثه أن رجلاً من العرب أُغيرَ على إبله فأخِذَت، فلما توارَوْا صَعَدَ أكَمَة وجعل يشــتمهم، فلما رجع إلى قومه سألوه عن ماله، فقال: أوْسَعْتُهُمْ سَبّاً وأودَوا بالإبل، قال الشاعر:

وَصِـــرْتُ كَـرَاعِـي الإبِـــل؛ قَـــالَ: تَـقَـسَّمَـتْ
فَـــأَوْدَى بِـهـا غَـيْـري، وَأَوْسَـعـتُـهُـمْ سَـبّـاً

ويُقال: إن أول من قال لك ذلك كعب بن زهير بن أبي سلمى، وذلـــك أن الحارث بن ورقاء الصَّيـــداوي أغار على بني عبد الله بن غطفان، واســتباق إبل زهير وراعيــه، فقال زهير في ذلك قصيدته التي أولها:

بَـــانَ الخَـلـيـطُ وَلَـــمْ يـــأوُوا لَمـــنْ تَـرَكُـوا
وَزَوَّدُوكَ اشْـتِـيـاقَـاً، أيـــةً سَـلَـكُـوا

وبعـــث بها إلى الحارث، فلـــم يردَّ الإبل عليــه، فَهَجَاه، فقال

كعب: أوْسَعْتهم سَبّاً وأوْدَوْا بالإبل، فذهبت مثلاً.
يُضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام.

أوردها سعدٌ... وسعدٌ مُشْتَمِل

هذا سعد بن زيد مناة أخو مالك بن زيد مناة الذي يُقال له: آبلُ من مالك، ومالك هذا هو سبط تميم بن مرة، وكان يُحمَّق إلا أنه كان آبلُ أهل زمانه؛ ثم إنه تزوج وبنى بامرأته، فأورد الإبلَ أخوه سعد، ولم يُحسن القيام عليها والرفق بها، فقال مالك:

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتمل
ما هكذا يا سعدُ تورد الإبل

وَيْل للشَّجِي مِنَ الخَلِيِّ

أول من قال ذلك أكْثَم بن صَيْفي التميميّ، وكان من حديثه أنه لما ظهر النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ودَعَا الناس إلى الإسلام بعث أكثَم بن صيْفي ابنه حُبَيْشاً، فأتاه بخبره، فجمع بني تميم وقال: يا بني تميم، لا تُحْضِرُوني سفيهاً فإنه مَنْ يَسْمع يَخَلْ، إن السفيه يُوهِنُ مَنْ فوقه، ويثبت من دونه، لا خير فيمن لا عقل له، كبِرت سني ودَخَلَتْني ذلة، فإذا رأيتم مني حَسَناً فاقبلوه، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوِّموني أستقم، إن ابني شَافَهَ هذا الرجل مُشَافهة

وأتاني بخبره، وكتابه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق، ويدعو إلى توحيد الله ـ تعالى ـ، وخَلْع الأوثان، وترك الحلف بالنيران، وقد عَرَف ذوو الرأي منكم أن الفَضْل فيما يدعو إليه، وأن الرأي تركُ ما ينهى عنه، إن أحَقَّ الناس بمعونة محمد ﷺ ومساعدته على أمره أنتم، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً فهو لكم دون الناس، وإن يكن باطلاً كنتم أحَقَّ الناس بالكَفِّ عنه وبالسَّتْر عليه، وقد كان أسقُفُ نَجْران يحدِّث بصفته، وكان سفيان بن مُجاشع يحدِّث به قبله، وسمى ابنه محمداً، فكونوا في أمره أولاً، ولا تكونوا آخراً.

ائتُوا طائعين قبل أن تأْتوا كارهين، إن الذي يدعو إليه محمد ﷺ لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حَسَناً، أطيعوني واتبعُوا أمري أسأل لكم أشياء لا تُنْزَع منكم أبداً، وأصبحتم أعزَّ حيٍّ في العرب، وأكثرهم عدداً، وأوسعهم داراً، فإني أرى أمراً لا يجتنبه عزيز إلا ذلّ، ولا يلزمه ذليل إلا عزّ، إن الأول لم يَدَعْ للآخر شيئاً، وهذا أمر له ما بعده، مَنْ سبق إليه غمر المعالي، واقتدى به التالي، والعزيمة حزم، والاختلاف عجز، فقال مالك بن نُوَيْرة: قد خَرِفَ شيخكم، فقال أكثم: ويل للشجيِّ من الخليّ، وا لهفي على أمْرٍ لم أشهده ولم يسعني.

هَنيئاً مَرِيئاً غَيرَ داء مُخَامِرِ

سمع الشَّعبيُّ قوماً ينتقصونه، فقال: هنيئاً مريئاً.. البيتَ.

قالوا: كان كُثَيِّرُ عزّة في حَلَقَة البصرة ينشد أشعاره، فمرَّت به عَزَّةُ مع زوجها.

فقال لها زوجها: أعضِّيه، فاسْتَحْيَتْ من ذلك، فقال لها: لَتُعضِّنَّهُ أو لأضربنَّك، فدَنَتْ من تلك الحلقة، فأعَضَّتْه، أي: سبته بفاحش القول، وذلك أنَّها قالت: كذا وكذا بفم الشاعر، فَعَرَفها كُثَيّر، فقال:

يُكَلِّفُها الخِنْزِيرُ شَتْمِي، وَمَا بها
هَوَانِي، ولكِنْ لِلْمَلِيكِ اسْتَذَلَّتِ
هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاء مُخامِرٍ
لِعَزَّةَ مِنْ أعْرَضِنا مَا اسْتَحَلَّتِ

هُمَا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ

يُضرب للاثنين إلى غاية يَسْتَبِقَان فيستويان، وهذا التشبيه يقع في الابتداء، لا في الانتهاء؛ لأنَّ النهاية تُجَلِّي عن سَبْق أحدهما لا محالة.

هَمُّك مَا هَمَّك

ويُقال: هَمُّكَ ما أهَمَّكَ.

يُضرب لمن لا يهتم بشأن صاحبه، إنما اهتمامه بغير ذلك.

يُقال: أهمني الأمر؛ إذا أقْلَقَكَ وحَزَنك، ويُقال هَمَّك ما أهَمَّكَ، أي آذاك ما أقلقك، ومَنْ روى «هَمُّك» بالرفع فمعناه شـأنُكَ الذي يجب أن تهتم به هو الـذي أقلقك وأوقعك في الْهَمِّ، أي الحزن، والمهموم: المحزونُ.

هَلُمَّ جَراًّ

أي: تَعَالَـوْا على هِينَتكم كما يسـهل عليكم، وأصْلُ ذلك من الجرِّ في السَّـوق، وهو أن تُترك الإبل والغنم ترعى في سيرها، قال الراجز:

لطالما جَرَرْتُكُنَّ جَرَّا
حتى نَوَى الأعْجَفُ وَاسْتَمَرَّا
فَالْيَوْمَ لا آلُو الركاب شَرَّا

وأول من قال ذلك المستطعمُ عَمْرَو بن حمران الجَعْدِي زُبْداً وتامكاً، حتى قال له عمرو: كلاهما وتمراً، واسم ذلك الرجل عائذ، كان له أخ يسمى جَنْدَلة، وهما ابنا يزيد اليشكري، ولما رجع

عائذ قال له أخوه جندلة:

أعائذُ لَيْتَ شعْري أيُّ أرْض
رَمَتْ بِك بعدَ ما قَدْ غبْتَ دَهْرَا
فلم يَكُ يُرتَجَى لكم إيابٌ
ولم تَعْرِفَ لدارك مُسْتَقَرَّا
فقد كان الفراق أذابَ جِسْمي
وكان العيشُ بعدَ الصَّفو كَدْرَا
وكم قاسَيْتُ عَائِذ من فظيع
وكَمْ جاوَزْتُ أمْلَسَ مُقْشَعِرَّا
إذا جاوزتها اسْتَقْبَلْتُ أخْرى
وأقْود مُشْمَخِرّ النِّيق وَعْرَا

فأجابه عائذ، فقال:

أجَنْدل كَمْ قَطَعْتُ إليْكَ أرْضاً
يُموتُ بها أبو الأشْبَال ذُعْرا
قَطَعْتُ وَلامِعَاتُ الآل تَجْرِي
وقد أوترت في المَوماة كدرا
وَطامِسةُ المُتون ذَعَرْتُ فيهَا
خَوَاضبَ ذَاتَ أرْآل وَغُبْرَا
وإن جَاوَزْتُ مُقَفرةً رَمَتْ بي
إلى أخْرَى كَتِلّكَ هَلُمَّ جَرَّا
فَلَمَّا لاَحَ لي سَغَبٌ ولُوحٌ
وقد مَتَعَ النَّهَارُ لقيتُ عَمْرا
فَقُلْتُ فَهَات زُبْداً أوْ سَنَاماً
فَقَالَ كِلاَهُما وَتُزَادُ تَمْرا

فَقَدَّمَ لِلقِرى شطباً وزبداً
وَظَلْتُ لَدَيهْ عَشْراً ثم عَشْرا

فذهب قوله مثلاً.

أهْوَنُ مِنْ قُعَيْسٍ عَلَى عَمَّتِهِ

قال بعضهم: إنّه كان رجلاً من أهل الكوفة دخل دارَ عَمَّته، فأصابهم مطر وقرٌّ، وكان بيتها ضيّقاً، فأدخلت كَلْبها البيتَ وأبرزَتْ قُعَيْساً إلى المطر فمات من البَرْد.

وقال الشرقيّ بن القطامي: إنّه قُعَيْس بن مُقَاعس بن عمرو من بني تميم، مات أبوه فحملته عمّته إلى صاحب بُرٍّ فرهَنَتْه على صاع من بُرّ، فغلق رَهْناً لأنّها لم تَفْتكَّه، فاستعبده الحَنَّاطُ فخرج عبداً.

أهْوَنُ مِنْ تَبَالَةَ عَلَى الحَجَّاج

يعني الحجاج بن يوسف، وتَبَالة: بلد صغيرة من بُلْدان اليمن، وهذا من أمثال أهل الطائف.

وزعم أبو اليقظان أن أول عمل وَلِيَه الحجاجُ عمل تَبَالة، فسار إليها، فلما قرب منها قال للدليل: أين هي؟ قال: سَتَرَتْها عنك هذه الأكَمَة، فقال: أهْونَ عليَّ بعمل بلدة تسترها عني أكَمَة! ورجع من مكانه، فقال العرب: «أهْوَنُ من تَبَالة على الحجاج».

يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفوكَ نَفَخَ

أصله أن رجلاً كان في جزيرة من جزائر البحر، فأراد أن يَعْبُرَ على زِق(١) نفخ فيه فلم يُحسن إحكامه، حتى إذا توسَّطَ البحر خرجت منه الرِّيح فغرق، ولمّا غشيه الموت استغاث برجل، فقال له: «يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخ».

الْيدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى

هذا من قول النبي ﷺ يحثُّ على الصَّدَقة.

يَرْكَبُ الصَّعْبَ مَنْ لاَ ذَلُولَ لَهُ

أي: يحمل المرء نفسه على الشدة إذا لم ينل طلبته بالهوينى. يُضرب في القناعة بنيل بعض الحاجات.

(١) الزِق: ـ بكسر الزاء ـ وعاء من جلد.

ثانياً

القصص

حرب البَسُوس

هي بَسُوس بنت مُنْقِذ التَّميميَّة خالة جساس بن مرة بن ذهل الشيباني قاتل كليب، وكان من حديثه أنه كان للبسوس جار من جَرْم يُقال له سعد بن شمس، وكانت له ناقة يُقال لها سَرَاب، وكان كليب قد حمى أرضاً من أرض العالية في أنف[1] الرَّبيع، فلم يكن يرعاه أحد إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما، وذلك أن جليلة بنت مرة أخت جساس كانت تحت كليب، فخرجت سراب ناقة الجرمي في إبل جساس ترعى في حمى كليب، ونظر إليها كليب فأنكرها، فرماها بسهم فاختل ضرعها فولت حتى بركت بِفِناء صاحبها وضرعها يشخب دماً ولبناً، فلما نظر إليها صرخ بالذُّل، فخرجت جارية البسوس ونظرت إلى النَّاقة فلمَّا رأت ما بها ضربت يدها على رأسها ونادت: وَاذُلَّاه، ثم أنشأت تقول:

لَعَمْرُكَ لو أصبحْتَ في دار مُنْقِذ
لما ضِيمَ سعدٌ وهو جَارٌ لأبْيَاتِي
ولكِنَّني أصْبَحْتُ في دار غُرْبَة
مَتَى يَعْدُ فيها الذئبُ يَعْدُ على شَاتِي
فيا سعدُ لا تُغْرَرْ بنفسك وَارتَحِلْ
فإنّك في قومٍ عن الجار أمواتِ

(١) أنف الربيع أوله.

ودونـــــك أذوادي فـــإنـــي عـــنـــهـــمُ
لـــراحـــلـــةٌ لا يُـــفْـــقِـــدُونـــي بُـــنَـــيـــاتِـــي

فلما سمع جسَّاس قولها سكَّنها وقال: أيَّتها المرأة ليقتلن غداً جمل هو أعظم عَقْراً من ناقة جارك، ولم يزل جسَّاس يتوقع غرَّة كليب، حتى خرج كليب لا يخاف شيئاً، وكان إذا خرج تباعد عن الحيّ، فبلغ جسَّاساً خروجه، فخرج على فرسه وأخذ رمحه واتبعه عمرو بن الحارث فلم يدركه حتى طعن كليباً ودقَّ صُلْبه، ثم وقف عليه فقال: يا جسَّاس أغثني بشربة ماء. فقال جسَّاس: تركت الماء وراءك، وانصرف عنه، ولحقه عمرو فقال: يا عمرو أغثني بشربة، فنزل إليه فأجهز عليه، فضُرب به المثل فقيل:

المُسْتَجِيرُ بِعَمْرو عند كُرْبَته
كالمُسْتَجِيرِ من الرَّمْضاء بالنَّار

قال: وأقبل جسَّاس يركض حتى هجم على قومه، فنظر إليه أبوه وركبته بادية، فقال لمن حوله: لقد أتاكم جسَّاس بداهية، قالوا: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: لظهور ركبته فإنِّي لا أعلم أنَّها بدت قبل يومها، ثم قال: ما وراءك يا جسّاس؟ فقال: والله لقد طعنت طعنة لتُجْمعن منها عجائز وائل رقصاً، قال: وما هي ثكلتك أمُّك؟ قال: قتلت كليباً، قال أبوه: بئس لعمر الله ما جنيت على قومك! فقال جسَّاس:

تـــأهَّـــب عـــنـــكَ أهْـــبَـــةَ ذي امـــتـــنـــاع
فـــإنَّ الأمْـــرَ جَـــلَّ عـــن الـــتَّـــلاحِـــي

فإنِّي قد جَنَيْتُ عليك حَرْباً
تُغِضُّ الشيخَ بالماء القَرَاحِ

فأجابه أبوه:

فإنْ تَكُ قَدْ جَنَيْتَ عليَّ حَرْباً
فَلاَ وَان ولا رَثُّ السِّلاَحِ
سألبسُ ثَوْبَها وأذبّ عَنِّي
بها يَوْم المَذَلَّة والفضاح

قال: ثمّ قَوَّضُوا الأبنية، وجمعوا النَّعَم والخيول: وأزْمعوا للرحيل، وكان همَّام بن مرة أخو جسَّاس نديماً لمهلهل بن ربيعة أخي كليب، فبعثوا جارية لهم إلى همَّام لتُعلمه الخبر، وأمروها أن تُسرَّه من مهلهل، فأتتهما الجارية وهما على شرابهما، فسارَّتْ همَّاماً بالذي كان من الأمر؛ فلما رأى ذلك مهلهل سأل همَّاماً عما قالت الجارية، وكان بينهما عهد ألا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً، فقال له: أخبرتني أنَّ أخي قتل أخاك، قال مهلهل: أخوك أضيق استاً من ذلك، وسكت همّام، وأقبلا على شرابهما، فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن، وهمّام يشرب شرب الخائف، فلم تلبث الخمر مهلهلاً أن صَرَعَتْه، فأنسل همّام فرأى قومه وقد تحملوا فتحمل معهم، وظهر أمر كليب، فقال مهلهل لنسوته: ما دهاكن؟ قلن: العظيم من الأمر، قتل جسَّاس كليباً، ونشب الشَّرُّ بين تغلب وبكر أربعين سنة كلها يكون لتغلب على بكر.

وكان الحارث بن عُبَاد البكري: قد اعتزل القوم، فلما استحر القتل في بكر اجتمعوا إليه وقالوا: قد فنى قومك، فأرسل إلى مهلهل

بجيراً ابنه وقال: قل له: أبو بجير يقرئك السَّلام، ويقول لك: قد علمت أني اعتزلت قومي؛ لأنهم ظلموك وخليتك وإياهم، وقد أدركتَ وَترك فأنشدك الله في قومك: فأتى بجير مهلهلاً وهو في قومه، فأبلغه الرسالة فقال: من أنت يا غلام؟ قال بجير بن الحارث بن عباد، فقتله، ثمّ قال: بُؤْ بِشِسْع كليب؛ فلما بلغ الحارث فعله قال: نعم القتيل بجير إن أصلح بينَ هذين الغارين قَتْلُه وسكنت الحرب به، وكان الحارث من أحلم الناس في زمانه فقيل له: إن مهلهلاً قال له حين قتله بُؤْ بِشِسْع كليب، فلما سمع هذا خرج مع بني بكر مقاتلاً مهلهلاً وبني تغلب ثائراً ببُجير؛ وأنشأ يقول:

قَرِّبَا مَرْبِطَ النعامة منِّي
إنَّ بَيْعَ الكريم بالشِّسْع غَالي
قَرِّبَا مَرْبِطَ النعامة منِّي
لَقَحَتْ حَرْبُ وائل عن حِيال
لم أكن من جُنَاتِها عَلِمَ اللـ
ـه وَإنِّي بِشَرِّها الْيَوْمَ صالي

ويُروى: «بِحَرِّهَا»، والنَّعامة: فرس الحارث، وكان يُقال للحارث: فارس النَّعامة، ثمّ جمع قومه والتقى وبنو تغلب على جبل يُقال له قضّة فهزمهم، وقتلهم، ولم يقوموا لبكر بعدها.

* * *

حرب دَاحِسٍ والغبراء

داحس فرس لقيس بن زهير العبسي، وهو داحس بن ذي العُقَّال، وكان ذو العُقَّال فرساً لحوط بن جابر بن حميري بن رياح بن يربوع ابن حنظلة، وكانت أم داحس فرساً لقرواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن يربوع يقال لها جلوى، وإنما سمي داحساً لأن بني يربوع احتملوا سائرين في نجعة لهم، وكان ذو العُقَّال مع ابنتي حوط بن جابر يجنبانه، فمرت به جلوى، فلما رآها ذو العُقَّال ودى، فضحك شاب منهم، فاستحيت الفتاتان، فأرسلتاه فنزا على جلوي فوافق قبولها، فأقصت ثم أخذه لهما بعض رجال القوم، فلحق بهم حوط ـ وكان رجلاً سيء الخلق ـ فلما نظر إلى عيون فرسه قال: والله لقد نزا فرسي فأخبراني ما شأنه؟ فأخبرتاه بما كان، فنادى: يال رياحَ والله لا أرضى حتى آخذ ماء فرسي. قال بنو ثعلبة: والله ما استكر هنا فرسك وما كان منفلتا، قال: فلم يأل الشَّرُّ بينهم حتى عظم، فلما رأوا ذلك قالوا: ما تريدون يا بني رياح؟ قالوا: نريد ماء فرسنا، قالوا: فدونكم الفرس، فسطا عليها حوط، وجعل يده في ماء وملح ثم أدخلها في رحمها ودحس بها حتى ظن أنه فتح الرحم وأخر الماء واشتملت الرحم على ما فيها، فنتجها قرواش بن عوف داحساً ـ فسمي داحساً لذلك ـ والدَّحْس: إدخال اليد بين جلد الشاة ولحمها حين يسلخها، ثم رآه حوط فقال: هذا ابن

فرسي، فكرهوا الشر، فبعثوا به إليه مع لقوحين[1] وراوية من لبن، فاستحيا فرده إليهم، وهو الذي ذكره جرير يقول:

إنَّ الجيادَ يبتن حول قبابنا
من آل أعوج أو لذي العُقَّال

* * *

(١) الناقة اللقوح: التي نتجت إلى شهرين أو ثلاثة.

ذكر الكُسَعي وندامته

هو رجل من كُسَع - حي من اليمن - واسمه محارب بن قيس.

وكان من حديثه أنه كان يرعى إبلاً له بواد كثير العشب والخمط فبصر بِنَبْعَةٍ في صخرة فأعجبته وقال ينبغي أن تكون هذه قوساً وجعل يتعهدها حتى إذا أدركت قطعها وجفّفها واتخذ منها قوساً وأنشأ يقول:

يا رب وفقني لنحت قَوْس
فإنها من لَذَّتي لنفسي
وانفع بقوسي ولدي وغَرْسي
أنحَتها صفراء مثل الوَرْس
صلداء ليست كالقِسي النُكسِ

ثم عمد إلى ما كان من بُرايتها فاتخذ منه خمسة أسهم وجعل يُقَلِّبها في كفه ويقول:

هن وربي أسْهُمٌ حسانُ
تَلَذُّ للرَّامي بها البنانُ
كأنما قِوامها ميزانُ
فأبشروا بالخصب يا صبيانُ
إن لم يُعقْني الشُّؤمُ والحرمانُ

ثم خرج حتى أتى قُتْرَةً على موارد حُمرٍ فكمن فيها، فمر به

قطيع منها فرمى عَيراً بسهم فأمخطه السَّهْمُ أي: نفذ فيه وجازه فأصاب الجبل فأورى ناراً فظن أنه أخطأه وأنشأ يقول:

أعوذ بالله العزيز الرحمن
من نكد الجدِّ معا والحِرْمان
مالي رأيت السهم بين الصّوان
يُوري شرَاراً مثل لون العقيان
فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم مكث على حاله فجاء قطيع آخر فرمى عيراً منها فأمخطه السهم وصنع صنيع الأول فأنشأ يقول:

لا بارك الرحمنُ في رَمْي القُتَرْ
أعوذ بالخالق من سوء القَدَرْ
أأمخط السَّهْم لإرهاق الضرر
أم ذاك من سوء احتيال ونظر
أم ليس يغني حذر عند قدر

ثم مكث على حاله فجاء قطيع آخر فرمى عَيراً فأمخطه السهم وصنع صنيع الثاني فأنشأ يقول:

ما بال سهمي يوقد الحباحِبا
ولم يزل عن الرمايا ناكبا
قد كنت أرجو أن يكون صائباً
فأخطأ العَير وولَّى جانبا
فصار رأيي فيه رأيا خائبا

ثم مكث مكانه فجاء قطيع آخر فرمى عَيراً منه فأمخطه السهم وصنع صنيع الثالث فأنشأ يقول:

يا أسفي للشؤم والجَدِّ النكد
في قوس صدق لم تزين بأَوَدْ
أخلف ما أرجو لأهل وولد
فيها ولم يُغنِ الحذار والجَلَدْ
فخاب ظن الأهل طُرّاً والوَلَدْ

ثم مر به قطيع آخر فرمى منه عَيراً بسهم فأمخطه السهمُ وصنع صنيع الرابع فأنشأ يقول:

أبعد خمس قد حفظت عدها
أحمل قوسي وأريد ردها
أخزى الإله لينها وشدها
والله لا تسلم مني بعدها
ولا أرَجِّي ما حييتُ رِفْدها

ثم عمد إلى قوسه فضرب بها حَجَراً ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحُمُر حوله مُصَرَّعة وأسهمه بالدم مُضَرَّجة، فندم على كسر القوس فعض على إبهامه فقطعها أسفاً وحسرة ثم أنشأ يقول:

نَدِمْتُ نَدَامةً لَوْ أنَّ نَفْسي
تُطاوعُني إذاً لقطعتُ خَمْسِي
تَبَيَّنَ لي سَفَاهُ الرأي منِّي
لَعَمْرُ أَبِيكَ حِينَ كَسَرْتُ قَوْسِي

❋ ❋ ❋

ذكر ابن ظالم وظلمه

هو الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان.

وكان من خبر الحارث بن ظالم وفتكه أن زهير بن خذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيفة بن عبس بن بغيض، كان سيد غطفان وكانت له إتاوة على هوازن كل سنة بعكاظ، وزهير هذا هو والد قيس بن زهير العبسي صاحب داحس والغبراء، فحضر زهير بعكاظ سنة من السنين فأتته عجوز من هوازن بسمن في نحي واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعت على الناس، فذاق زهير السمن فلم يرض طعمه فدفع في صدرها بقوس كانت في يده فاستلقت على قفاها فبدت عورتها، فغضبت هوازن وحميت أنوفها من ذلك مع ما كان زهير يسومهم به من الخسف قبل ذلك، واتفقت كلمتهم مع رئيسهم خالد بن جعفر بن كلاب العامري على قتل زهير، فتطلب خالد زهيراً مدة حتى أخبر أنه في إبل له مع بعض عشيرته قريباً من حي بني عامر، فخرج خالد في فوارس من قومه حتى كبسوا زهيراً على حين غفلة وصمد إليه خالد فاقتتلا ملياً على ظهور فرسيهما ثم اعتنقا وسقطا على الأرض، وحمل حندج بن البكاء وهو ابن امرأة خالد على زهير فضربه بالسيف على رأسه

حتى خلص إلى دماغة فقتله وثار خالد وعادت هوازن إلى منازلها، ثم علم خالد بن جعفر أن غطفان سوف تطلبه بسيدها، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة فاستجار به، وقيل استجار بغيره، والله أعلم بالصواب.

وكان خالد قبل مقتل زهير قد أغار على بني يربوع بن غيظ بن مرة رهط الحارث بن ظالم في وادٍ لهم يقال له حُراض كغراب فقتل الرجال وبقيت نساء بين يربوع أيامى، فنشأ الحارث على البغض له والحرد، ثم جاء إلى بني زهير بن جذيمة وهم يُجْمعون لغزو بني عامر، فقال لهم: اكفوني حرب هوازن وأنا أكفيكم خالد بن جعفر، فقال له قيس بن زهير: وكيف تصل إليه وهو في جوار النعمان بن المنذر؟ فقال لأقتلنة ولو كان في حِجْره، ثم أخذ فرساً من عتاق خيل بني مرة فأهداه للنعمان فأعجبه وأقبل عليه ورفع منزلته، ثم إن النعمان دعا يوماً خالد بن جعفر في رهط من عشيرته والحارث بن ظالم وقدَّم لهم تمراً فطفق خالد يأكل ويلقي النوى بين يدي الحارث فلما فرغ القوم قال خالد: أبيت اللَّعن انظر ما بين يد الحارث من النَّوى فما ترك لنا تمراً إلا أكله، فقال الحارث: أما أنا فأكلتُ التمر وألقيت النوى وأما أنت يا خالد فأكلته بنواه فغضب خالد وكان لا يُنَازَع، فقال: أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرك وتركتك يتيماً في حجور النساء؟ فقال الحارث: ذلك يوم لم أشهده وأنا مغن اليوم بمكاني.

قال خالد: فهلا تشكر لي إذ قتلت زهير بن جذيمة وتركتك سيد

غطفان؟ قال: بل أشكرك وأخذه الغضب، وافترق القوم فلما كان الليل أشْرَجَ خالد قبته عليه وعلى أخيه وناما، فلما هدأت العيون خرج الحارث شاهراً سيفه فهتك شَرْجَ قبه خالد بالسيف وقتله وهو يقول: يا خالد أظننت أن دم زهير كان سائغاً لك؟

وانتبه أخوة عُتْبَةُ فقال له الحارث: لئن نبست لأُلحِقَنَّكَ بِهِ، وانصرف فركب فرسه وشرد، وخرج عتبة صارخاً واسوء جاراه واخفرتاه، فأجيب: لاروع عليك، فقال: قتل الحارث خالداً وأخفر الملك فيه، فوجه النعمان في أثره جماعة فلحقوا به فقتل منهم أفراداً ورجع عنه الباقون ثم لحق بأهله.

وكانت حروب كثيرة بين شيعة النعمان وشيعة الحارث بن ظالم، وطاف الحارث في قبائل العرب فلما أعيا النعمان أمره قيل له: إنك لن تصيبه بشيء أشد عليه من أخذ جارات له من بليٍّ ـ وبليٌّ حي من قضاعة ـ فاستاق النعمان هذه الجارات وأموالهن.

ولما بلغ الحارث الخبر كر راجعاً وسأل عن مرعى إبلهن فدُلَّ عليه فلما قرب منهن إذا ناقة لهن يقال لها اللفَّاع غزيرة اللبن، فجاء الحارث وحالبان يحلبانها فصاح بهما ورجز وقال:

سمعت حَنَّة اللَّفاع
فادعي أبا ليلى ولا تُراعي

فعرف البائن كلامه ـ وهو الذي يجلب من الجانب الأيسر ـ وحبق، فقال المعْلي ـ وهو الذي يعلي الإناء ويكون في الجانب الأيمن ـ: والله ما هي لك، فقال الحارث: «است البائن أعلم» فصار

مثلاً، ثم ساق الإبل واستنقذ جاراته وأموالهن.

ثم لحق الحارث بن ظالم ببلاد قومه مختفياً، وكانت أخْتُهُ سلمى بنت ظالم تحت سنان بن أبي حارثه المري وهو والد هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى، فاستعار الحارث سرج سنان من إحدى نسائه من غير أن تعلم أخته بذلك وأتاها به، وكان عندها ولد الملك قد تبنته وربته فقال لها الحارث: يقول لك زوجك سنان ابعثي معي بابن الملك حتى أستأمن به وأتحقَّر به، وهذا سرجه أمارة لك على ذلك، فزَيَّنتهُ ثم دفعته، فأتى الحارث بالغلام ناحية من الشريَّة منزل بني مُرَّة وقتله ورأى أنه بذك يكون قد أخذ بثأره من آل النعمان حيث أغاروا على جاراته، وقال في ذلك أبيات منها قوله:

حَسِبْتَ أبا قابوسَ أنَّك مُخْفري
ولَمَّا تَذَقْ ثُكْلاً وأنفك راغمُ

وكان عمرو بن الأطناب الخزرجي ملك الحجاز قد غضب لقتل خالد بن جعفر وكان مصافياً له، فقال لما بلغه مقتله: والله لولقيه يقظان لما نظر إليه ولكنه قتله وهو نائم ولو أتاني لعرف قدره، وبلغ الحارث قوله فقال: والله لآتينه في عقر داره، فبلغ ذلك ابن الأطناب فدعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بالمغنيات فغنين له قوله:

أبلغا الحارث بن ظالم المو
عد والناذر النُّذُورَ عَلَيَّا
إنما تَقْتُلُ النِّيامَ ولا تَقْـ
ـتل يقظان ذا سلاح كَمِيَّا

ثم إن الحارث بن ظالم سار حتى بلغ ديار الخزرج ودنا من قبه عمرو بن الأطناب فنادى: أيها الملك أغثني وخذ سلاحك فإني جار مكثور، فأجابه وخرج إليه حتى إذا برز عطف عليه الحارث وقال أنا أبو ليلى فاعتركا مَلِيًّا من الليل وأحس عمرو بالضعف عنه فقال يا جار أنا شيخ كبير وإنه تعتريني سنة فهل لك في تأخير هذا الأمر إلي غد، فقال الحارث: هيهات ومن لي به في غد فتجاولا ساعة، ثم ألقى عمرو الرمح من يده وقال: يا جار ألم أخبرك أن النُّعاس يغلبني قد سقط رمحي فاكفف عني، فكفَّ فقال: أنظرني إلى غدٍ فامتنع، قال: فدعني آخذ رمحي، قال: خذ، قال أخشى أن تعجلني عنه أو تفتك بي إذا ناولته، قال: وذمة ظالم لا أعْجَلْتُكَ ولا فتكت بك حتى تأخذه، قال: وذمة الأطناب لا آخذه ولا أقاتلك، فانصرف الحارث عنه وهو ينشد شعراً يفتخر به.

وأخبار الحارث بن ظالم ومغامراته كثيرة وقد ذكرتها العرب إلا أنها لها فيها مغالاة كبيرة.

* * *

ذكر ربيعة بن مُكَدَّمٍ حامي الظغينة

هو ربيعة بن مكدَّم بن عامر بن حرثان بن خزيمة بن علقمة وهو جزل الطعان بن فراس بن غنم بن ثعلبه بن مالك بن كنانة الكناني ثم الفراسي.

كان أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين، مات يوم الكديد قتله نبيشة أو كان السبب في موته.

وكان من خبره في حماية الظعن ما ذكره المسعودي والأصبهاني قالا:

وفد عمرو بن معديكرب الزبيدي على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ففاوضه في قبائل اليمن وغنائها في الشدة ومآثرها في الرخاء، وكان مما جرى في حديثهما أن سأله أمير المؤمنين: هل كععت يا أبا ثور عن فارس لقيته قط؟ قال نعم! والله وما كنت لأستحل الكذب في الجاهلية فكيف أستحله في الإسلام؟ لقد قلت يوماً لخيلي خيل زبيد هل لكم في الغارة؟ قالوا: على من؟ قلت: على بني البكاء، قالوا: مغار بعيد على شدة كلب وقلة سلب، فقلت: على هذا الحي من كنانة فقد بلغني أن رجالهم خلوف، قال فسرنا على قوم سراة، فقال عمر: وما علمك؟ قال: رأيت مزاود خيل وقدوراً مبتناة وقبابا حمراً من آدم ونعماً كثيراً وشاءً فعلمت أن القوم سراة، قال فأهويت إلى أعظمها

قبة بعد ما حوينا السبي والمال وكان منتبذاً عن البيوت، فلما انتهيت إلى القبة كشفتها فإذا جارية مثل المهاة فلما نظرت إليَّ وإلى الخيل تجول في المُراح أهوت إلى درعها فشقته وقالت: واثكلياه، فقلت: ومالك؟ فقالت: والله ما على نفسي أبكى وإنما أبكي على أتراب لي ألفتهن وألفنني أُسبَى من بينهن وهاهن بالوادي، وأشارت إلى واد هناك ـ وكان ذلك مكيدة منها ـ فقلت هذه غنيمة من وراء غنيمة وركضت فرسي حتى أوفيتُ على النقا فإذا رجل جلد أصهبُ أهلبُ يخصف نعله وإلى جانبه فرسه وسلاحه، فلما رأيته علمت أن الجارية كادتني بذلك، ولمانظر إليَّ رمى بالنعل من يده ثم استوى على فرسه وأخذ رمحه ومضى نحو الحي لا يحفل بشيء فتقدمت إليه وطفقتُ أشجره بالرمح خفقاً وأقول: يا هذا استأسر فمضى غير مُكْتَرِثٍ حتى أشرف على الحي، فإذا الخيل جائلة في أكنافه فعطف عليَّ وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ إذْ ألْثَمَتْني فاها
وألْبَسَتْني بُكْرَةً رداها
أني سأحْوي اليوم من حواها
ياليت شعري ما الذي دهاها

قال فتلقيته وأنا أقول:

عمرو على بعد المَدَى دهاها
جاب المفاوزَ وقد فلاها
بالخيل يُزْجيها على وجاها
حتى إذا حلَّ بها احتواها

ثم حملت عليه وحمل علي فاشتبكنا أضربه أحذر من غراب ويضربني أثقف من سنَّوْر فوقع سيفه في قربوس سرجي فقطعه وماتحته حتى هجم على مسح الفرس ثم ثنى بضربه أخرى فأخطأني وقد زُغْت لها رجلاً، فقلت: ويحك من أنت؟ فوا الله ما ظننت رجلاً من العرب يجترئ عليَّ قط إلا ثلاثة: الحارث بن ظالم للسن والتجربة، وعامر بن الطفيل للعجب والخيلاء وربيعة بن مكدم للحداثة والبأس فمن أنت ثكلتك أمك؟ قال وأنت من ثكلتك أمك؟قلت: أنا عمرو بن معديكرب، فقال: وأنا ربيعة بن مكدَّم، فقلت: يا هذا إني قد صرت راجلاً فاختر مني إحدى ثلاث: إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجل منا وإن شئت اصطرعنا فأي منا صرع صاحبه حكم فيه، وإن شئت فالسلم وأنت يا ابن أخي حدث وبقومك إليك حاجة، قال: ذلك إليك فاختر لنفسك، فاخترت السلم وأخذت بيده حتى أتيت به أصحابي وقد حازوا النَّعم والسبي، فقلت: هل تعلمون أني كععت عن فارس قط؟ قالوا: نعيذك بالله من ذلك، فقلت: فانظروا هذا النعم الذي حزتموه فخذوه مني غداً في زبيد فإنه لهذا الفتى والله لا يوصل إليه بمكروه وأنا حي، فقالوا: لحاك الله من فارس قوم: أنْسَأْتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة دافعتنا عنها، فقلت: لا بد أن تهبوها ربيعة بن مكدَّم وما أسميه إلا ليعرفه القوم، فقالوا وإنه لهو؟ قلت: نعم، فردوا جميع ما بأيديهم وسالمته فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك.

وأما خبر حمايته لظعينته فكان أن دريد بن الصِّمة الجشـــمي كان في فوارس من قومه بني جشم بن بكر بن معاوية حتى إذا كانوا بواد لكنانة يقال له الأخرم، وهو يريد الغارة على كنانة رفع له من ناحية الوادي رجــل معه ظعينه فقال لفارس من قومـه: دونكه، فصاح الرجل به أن خل عن الظعينة وانج بنفسك، فألقى زمام الراحلة إلى صاحبتها وقال لها:

سِـيـري عـلـى رِسْـلِـك سَـيْـرَ الآمـن
سَـيْـر رَدَاج ذات جـأش سـاكـن
أن انـثـنـائـي دون قِـرْنـي شـائـنـي
وَابْـلـى بـلائـي واخـبـري وعـايـنـي

ثم حمل على الفارس فطعنه فصرعه وأخذ فرسه فأعطاه الظعينة.

فبعــث دريد ثانيــاً لينظر ما صنع صاحبه فــرآة صريعاً فصاح به فتصام منه فظن أنه لم يســمعه فغشــيه فألقى الزمام إلى الظعينة ثم حمل علي الفارس فصرعه وهو يقول:

خـل سـبـيـل الحـرة المـنـيـعـة
إنـك لاق دونـهـا ربـيـعـة
بـيـده خـطـيـةٌ مـنـيـعـة
أو لا فـخـذهـا طـعـنـة سـريـعـة
والـطـعـن مـنـي فـي الـوغـي شـريـعـة

فلما أبطأ الأمر على دريد أرسل ثالثاً لينظر ما صنعا فانتهى إليهما فرآهما صريعين ونظر إليــه يقود ظعينته ويجر رمحه فقال له: خل الظعينة وانج بنفسك، فقال لها ربيعة: اقصدي قصد البيوت ثم أقبل

على الفارس وهو يقول:

ماذا تريد من شيتم عابسْ
ألم تر الفارس بعد الفارسْ
أرداهما عامل رمح يابس
من يَدْنُ مني للحياة يائسْ

ثم طعنه فصرعه وانكسر رمحه، ثم إن دريداً ارتاب في أمر الفوارس وظن أنهم قتلوا الفارس وأخذوا الظعينة فلحق بهم بنفسه فوجد أن قومه قتلوا ووجد ربيعة لا رمح معه وقد دنا من حية، فقال له: أيها الفارس إنَّ مثلك لا يقتل وقد تركت الخيل جائلة بأهلها ولا أرى معك رمحاً وأراك حديث السن فدونك هذا الرمح فإني راجع إلى أصحابي فمثبطهم عنك، فأتى دريد قومه وقال إن فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحي ولا مطمع لكم فيه، فانصرف القوم وقال دريد في ذلك:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثله
حامي الظعينة فارساً لم يُقْتَلِ
أردى فوارس لم يكونوا نهزه
ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللاً تبدو أسِرَّةُ وجهه
مثل الحسام جلته كَفُّ الصَّيقل
يُزْجِي ظعينته ويَسْحَبُ رُمْحه
مُتَوَجِّهاً بمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مخافة رمحه
مثل البغاث خَشِين وَقْعَ الأجْدَلِ

يا ليتَ شِعْري من أبوه وأمه
يا صاح من يك مثله لم يجهلِ

ويحكى أن بني مالك بن كنانة غزوا بني جشم فقتلوا وأسروا وغنموا وكان دريد بن الصِّمَّة من بين الأسرى وذلك بعد موت ربيعة بن مكدَّم، فأخفى دريد نفسه، فبينما هو عندهم إذ جاء نسوة منهم يتهادين نحوه فصرخت امرأة من بينهن وألقت عليه ثوبها وقالت: هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة، وقالت: يا آل فراس إني له جارة وهذا والله صاحبنا يوم الوادي، فسألوه من هو؟ قال أنا دريد بن الصِّمَّة من صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مكدم، قال: وماذا فعل؟ قالوا قتلته سليم، قال: فما فعلت الظعينة، قالت: المرأة أنا هي امرأته ريطة بنت جزل الطعان، فقال بعض القوم: والله لا يخرج من أيدينا إلا برضى المخارق الذي أسره، فلما أمست المرأة رفعت صوتها قائلة:

سَنَجْزِي دُرَيْداً عن ربيعة نعمةً
وكلُّ امرئٍ يُجْزى بما كان قدَّما
سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة
بإعطائه الرمحَ الطويل المقوَّما
فذا أدركت كفاه فينا جزاءه
وأهلٌ لأن يجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروا حق نعماه فيكمُ
ولا تركبوا تلك التي تملأ الفَمَا
فلو كان حياً لم يضق بثوابه
ذراعاً غنياً كان أو كان مُعْدِما

فـفـكـوا دُرَيْـــــــداً مـــن إســـار مـخـارق
ولا تجـعـلـوا الـبُـؤْسـى إلـى الـشـر سُـلَّـمـا

فأطلقوه عند ذلك وكسته ريطة وجهزته، فلحق بقومه ولم يزل كافاً عن حرب بني فراس حتى هلك.

* * *

ذكر المتلمس وصحيفته

هو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوقل بن حرب بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة وهو الأضجم بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الضبعي، وإنما سمي بالمتلمس باسم الفاعل لقوله من قصيدة:

فهذا أوان العرض طن ذبابه
زنابيره والأزرق المتلمس

وهو من ضبيعة أضجم كما ذكرنا، وأما صاحبه وابن أخته طَرَفة بن العبد فهو من ضبيعة قيس، وكان المتلمس قد نشأ في أخواله من بني يشكر ويقال إنه ولد فيهم وساكنهم حتى كادوا يغلبون على نسبه، وهو أحد الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنه أشعرهم: المتلمس والمسيب بن علس والحصين بن الحِمام، وقال ابن فضل الله في حقه: هو رجل نبيه الذكر معروف بصحة الفكر وهو الذي يضرب المثل بصحيفته، ومن جيد شعره قوله:

ألم تر أنَّ المرء رهن مَنية
صريعاً لعافي الطير أو سوف يُرمسُ
فلا تقبلن ضيماً حذار منية
وموتَنْ بها حُراً وجلدك أملسُ
فمِن حَذَر الأوتار ما حزَّ أنفهُ
قَصيُر وخاضَ الموت بالسَّيف بَيْهَسُ

ومن جيد شعره أيضاً قوله:

إلـــى كـــل قـــوم سُـــلَّـــمٌ يـــرتـــقـــى بـــه
ولـــيـــس إلـــيـــنَـــا فـــي الـــسلالـــم مَـــطْـــلَـــعُ
ويـــهـــربُ مـــنـــا كـــل وحـــش ويـــنـــتـــمـــي
إلـــى وحـــشـــنـــا وحْـــش الـــبـــلاد فـــيـــرتَـــعُ

ومن جيد شعره أيضاً قوله:

لحـــفـــظُ المـــال خـــيـــرٌ مـــن ضَـــيَـــاع
وسَـــيْـــر فـــي الـــبـــلاد بـــغـــيـــر زاد
قـــلـــيـــلُ المـــال تـــصـــلـــحـــه فـــيـــبـــقـــى
ولا يـــبـــقـــى الـــكـــثـــيـــر مـــع الـــفـــســـاد

إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وأما الصحيفة فكان من حديثها ما حكاه المفضل الضبي وغيره قال: إن عمرو بن هند وعمرو بن المنذر بن ماء السماء، وماء السماء أمه، وفي زمنه ولد النبي ﷺ، كان يرشح أخاه قابوس بن المنذر ليملك بعده.

وهما معاً لهند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار ملك كندة، فوفد عليه المتلمس وابن أخته طرفة بن العبد فجعلهما في صحبه قابوس وأمرهما بلزومه، وكان قابوس شاباً يعجبه اللهو وكان يركب يوماً للصيد فيركض ويتصيد وهما معه يركضان حتى يرجعا عشية ثم يكون قابوس في الغد في الشراب فيقفان بباب سرادقه إلى العشي فكان ذلك دأبهما معه حتى كان قابوس يوماً على الشراب فوقفا ببابه النهار كله ولم يصلا إليه فضجر طرفة

وقال:

فليت لنا مكان المْلك عمرو
رغوثاً حول قُبَّتنا تَخُورُ
من الزمرات أسبل قادماها
وضرتها مركنة تَدورُ
يشاركنا لنا رِخْلان فيها
وتعلوها الكباشُ فما تنورُ
لعمرك إن قابوس بن هند
ليَخْلِط ملكه نَوْكٌ كبيرُ
فسمت الدهر في زمن رَخيٍّ
كذاك الدَّهْر يقصد أو يجورُ
لنا يومٌ وللكروان يومٌ
تطير البائسات ولا نطيرُ
فأمَّا يومهنَّ فيومٍ نحس
تطاردهنَّ بالحَرَب الصُّقُورُ
وأما يومنا فَنَظَلُّ ركباً
وقوفاً ما نَحِلُّ ولَا نَسيرُ

ومعنى الأبيات ليت لنا بدل هذا الملك شاة قليلة الصوف ضعيفة الحركة يرضعُها ولدان حتى لا يكون فيها خير.

وكان عبد عمرو بن بشر بن عم طرفة بن العبد وزوج أخته، كان من سادات زمانه ومن أكرم الناس على عمرو بن هند، فشكت أخت طرفة إليه يوماً شيئاً من أمر زوجها عبد عمرو فعابه طرفة ووصفه في شعره وكان سميناً بادناً فقال:

فيا عجبا من عبد عمرو وبغيه
لقد رام ظلمي عبد عمرو فأنعما[(١)]
ولا خير فيه غير أنَّ له غِنى
وأن له كشحاً إذا قام أهضما[(٢)]
تظل نساء الحي يعكفن حوله
يقلن عسيبٌ[(٣)] من سرارة ملهما[(٤)]
له شربتان بالعشي وأربع
من الليل حتى آض سُخْداً[(٥)] مورَّما
ويشرب حتى يغمرُ المحضُ قلبَه
وإنْ أعْطَهُ أتْرُكْ لقلبي مَجْثِما

ثم إن عمرو بن هند خرج يوماً إلى الصيد ومعه عبد عمرو فرمى الملك حماراً فعقره، وقال لعبد عمرو: انزل فاذبحه، فنزل فعالجه فأعياه فضحك منه عمرو بن هند وقال: كأن ابن عمك طرفة قد رآك حين قال: وأن له كشحاً إذا قام أهضما، ويقال له إنه دخل معه الحمام وتجرد فرأى كشحه فقال له ذلك، فأنف عبد عمرو وقال أبيت اللعن ما قال فيك أقبح! قال: فما قال؟ فأنشده: ليت لنا مكان الملك عمرو: الأبيات، فقال عمرو ما أصدِّقك عليه، وقد صدقه في باطنه ولكنه خاف أن تدركه الرحم فينذره، فمكث غير

(١) أنعم: بالَغَ.
(٢) أهضم: وصف للكشح أي: لطيف.
(٣) عسيب: جريدة النخل المستقيمة
(٤) ملهم: قرية باليمامة كثيرة النخل.
(٥) السخد: بالضم الورم، وقيل هو المشيمة.

كثيـــر ثم دعا المتلمس وطرفة؛ لأنه خـــاف إن مكر بطرفة أن يهجه المتلمس، فقال لهما: لعلكما اشـــتقتما وطرفة إلى أهلكما ويسركما أن تنصرفـــا؟ قالا: نعم، فكتب لهما إلى أبي كرب عامله بهجر أن يقتلهمـــا وأخبرهما أنه كتب لهما بصلة ومعروف وأعطى كل واحد منهما شـــيئاً، فخرجا وكان المتلمس قد أســـنَّ فلما مَرّا بنهر الحيرة على غلمان يلعبون قال المتلمس لطرفة هل لك أن نســـتقرئ ما في كتابنا؟ فـــإن كان فيهما خير مضينا له وإن كان شـــراً اتقيناه، فأبى طرفـــة عليه، فأعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان فقرأه عليه، فقال الغلام: ثكلت المتلمس أمُّه، فيقال إنه اكتفى منه بذلك وانتزعها منه ووضعها في النهر ثم قال لطرفة تعلم والله أن الذي في كتابك لمثل الذي في كتابي، فقال طرفة: لئن اجترأ عليك ما كان ليجترئ علي وأبى أن يطيعه، ومر المتلمس من فوره حتى لحق بملوك غســـان من آل جفنة بالشام، وقال في ذلك أشعاراً منها قوله:

إذا جـــاوزت مـــن ذات عـــرق ثـنـيـةً
فـقـل لأبـــي قـــابـــوس مـــا شـئـت فـارعـدِ

وقال أيضاً في أبيات:

وإذا حـلـلـت ودون بـيـتـي غـــارةٌ
فـــأبـــرق بـــأرضـــك مـــا بـــدا لـــك وارعُـــد

وهو معنى قول الناظم: يا ابن هند ارْعُدْ وأبْرِق.

ولما وصل خبر فراره إلى عمرو بن هند ولحاقه بآل جفنة أقسم أن لا يصل إليه من حب العراق شيء، فقال المتلمس في ذلك:

آلَيْتَ حَبَّ العراق الدَّهْرَ أطْعَمُهُ
والحَبُّ يأكُلُهُ في القَرِيَةِ السُّوسُ
أغنيت شأني فأغنوا اليوم شأنكُمُ
وألحفُوا في مراس الحرب أو كيسُوا

وقال المتلمس في نصحه لطرفة وعدم قبول طرفة منه:

مَن مُبْلِغُ الشعراء عن أخويهمُ
نبأً فتصدقَهمُ بذاك الأنْفُسُ
أودى الذي علق الصحيفة منهما
ونجا حذارَ حبائه المُتَلَمِّسُ
ولقد نصحتُ له فرد نصيحتي
وجرتْ له بعد السعادة أنْحُسُ

وقيل في خبر الصحيفة غير ذلك، وهلك المتلمس في الجاهلية.

وقع ذكر صحيفة المتلمس في الحديث في سنن أبي داود في آخر كتاب الزكاة وذلك أن عيينه بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس التميمي قدما على النبي ﷺ فسألاه فأمر لهما ﷺ بما سألا وأمر معاوية فكتب لهما بذلك، فأما الأقرع فأدخل كتابه فلفه في عمامته وانطلق، وأما عيينه فأخذ كتابه وأتى النبي ﷺ مكانه وقال: يا محمد أتراني حاملاً إلى قومي كتاباً لا أدري ما فيه كصحيفة المتلمس، فقال النبي ﷺ: «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار»، قالوا: يا رسول الله وما يغنيه؟ قال: «قدر ما يغديه أو يعشيه»(١) والله أعلم.

* * *

(١) صحيح أبي داود، للألباني ـ رحمه الله ـ، (١٤٣٥).

ذكر السَّموْأل ووفائه

هو السَّموأل بن عاديا، قيل نسبه في غسان وقيل هو من بني الكاهن بن هارون بن عمران ـ عليه السلام ـ وإنما كانت أمه غسانية، وقد ذكرته الشعراء، وكانت العرب تنزل به فيضيفها وتمتار من حصنه وتقيم هناك سوقاً كما في الأغاني.

وأما وفاؤه الذي يضرب به المثل فكان من حديثه أن امرأ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو المقصور بن حجر الأكبر وهو آكل المرار الكندي كان والده ملكاً على بني أسد بن خزيمة وغطفان فعدوا عليه فقتلوه واتصل مقتله بابنه امرئ القيس الشاعر وهو باليمن لأن والده طرده آنِفاً من قوله الشعر والغزل، فشمر للأخذ بثأر أبيه وسار إلى بكر وتغلب يستنصرهم وساروا معه حتى أوقع ببني كنانة يظنهم بني أسد فكره من كان معه ذلك وتفرقوا عنه حتى بقي في نفر يسير، وألحَّ المنذر بن ماء السماء في طلبه وكان عدواً لأسلافه فصار يستجير بأشراف العرب، فجاء إلى عمرو بن جابر الفزاري فطلب منه الجوار حتى يرى ذات غيبة، فقال له: يا ابن حُجر إني أراك في خلل من قومك وبينك وبين اليمن ذؤبان قيس، وأهل البادية أهل وبرليست لهم حصون تمنعهم، أفلا أدلك على رجل من شأنه كيت وكيت؟ فذكر له السموأل وحسن جواره وحصنه فدله عليه وعلى من أوصله إليه، وكان مع امرئ القيس دروع لأبيه كان

الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها، ومعه أيضاً بنته هند وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية، فعرف السموأل لهم حقهم وبنى للمرأة قبة من أدم وأنزل الرجال في مجلس له براح، فكان عنده ما شاء الله، ثم إنه طلب إليه أن يكتب إلى الحارث بن أبي شمر الغسَّاني بالشام ليوصله إلى قيصر، ففعل، واستصحب معه رجلاً يدله على الطريق، وأودع بنته وأدرعه السموأل وخلَّف ابن عمه يزيد بن الحارث مع ابنته هند ومضى حتى انتهى إلى قيصر، فقبله وأكرمه وضم إليه جيشاً كثيفاً فيه جماعة من أبناء الملوك به إلى ملك أبيه، ثم إن الطمَّاح الأسدي أفسد عليه أمره حيث سعى به عند الملك بما كان سبباً في هلاكه في خبر يطول ذكره.

وكان المنذر بن ماء السماء قد وجه الحارث بن ظالم المري إلى السموأل ليأتيه بمال امرئ القيس وأدرعه، وقيل إن الذي طالب بأدرع امرئ القيس هو الحارث بن أبي شمر الغساني وأنه جاء بنفسه إلى السموأل، فامتنع السموأل من إعطاء الأدرع والمال وتحصن بحصونه، وكان له ابن قد يفع فخرج إلى القنص فلما رجع أخذه أحد الحارثين ثم قال للسموأل: أتعرف هذا؟ قال: نعم هو ابني، فقال: إمَّا أن تُسلم ما قِبَلَك وإمَّا أن أقتله، فقال: شأنك به فإني لا أخفر ذمتي ولا أسلم مال جاري، فضرب الحارث وسط الغلام فسقط نصفين وهو ينظر ثم انصرف عنه، ثم إن السموأل وافى الموسم بما كان معه من الدروع والمال فأسلمه إلى ورثة امرئ القيس، وقال في ذلك:

وفيتُ بأدرُع الكندي إني
إذا ما خان أقوامٌ وَفَيْتُ
وأوصى عاديا يوماً بأن لا
تُهدِّمَ يا سموألُ ما بنيتُ
وقالوا إنه كنز عظيمٌ
ولا والله أغدر ما حييتُ
بنى لي عاديا حصناً حصيناً
وماءً كُلَّما شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

❊ ❊ ❊

ذكر غراب نوح وفِنْد وَبُطْئهما

قال المؤرخون: لما استقرت سفينة نوح ـ عليه السلام ـ على الجودي بعث نبي الله ـ تعالى ـ الغراب ليأتيه بخبر الأرض هل جفَّت أم لا، فوقع على جيفة فلم يرجع إليه فضُرب المثل ببطئه، فبعث الحمامة فجاءت بَوَرق زَيْتُونٍ في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ـ عليه السلام ـ أن الماء قد ذهب، ودعا على الغراب فَغُلَّت رجلاه وخاف من الناس فلذلك لا يألف البيوت وإذا وقع لا يلبث أن يطير، وطوَّق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان فمن ثم ألفت البيوت، والله ـ تعالى ـ أعلم بالحق من ذلك.

وأما فِنْدُ، فهو أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقَّاص ـ رضي الله عنه ـ ومنشأه المدينة المنورة وكان خليعاً متهتكا وهو أحد المغنين المجيدين، وكانت عائشة مولاته أرسلته ليأتيها بنار فخرج لذلك فلقي عير تخرج إلى مصر فخرج مَعَهَا، فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً فدخل على عائشة وهو يعدو فعثر وقد قرب منها وتبدد الجمر، فقال: تعست العَجَلة! فأرسلها مثلاً، فضُرب به المثل وقيل: أبطأ من فند كما قيل أبطأ من غراب نوح، وقد قيل في ذلك:

ما رأينا لسعيد مثلاً

إذ بعثناه يجئ بالمشمله

غيــــر فـــنـــد بـــعـــشـــوه قـــابـــســـاً
فـــثـــوى حـــــولاً وســـــبَّ الـعـجـلـه

المشمِلة بكسر الميم كساء دون القطيفة يُشتمل به والله أعلم.

* * *

ذكر طَسْم وجَديس ومهلكهما

أما طسم فهو ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ وأما جديس فهو ابن كاثر بن إرم بن سام بن نوح، فهما ابنا عم وقيل هما أخوان كلاهُما ولد لاوُذ، ولما تبلبلت الألسن وتفرقت الأمم نزلت طسم وجديس أرض اليمامة واسمها يومئذ جو، وكانت من أفضل البلاد وأكثرها نخيلاً وأعناباً فغبروا بها دهراً طويلاً وكثرت طسم وصار الملك فيهم إلى أن ملكوا عليهم عملوق بن جديس، فكان ملكاً على القبيلتين معاً، فعظم أمره وقويت شوكته وكان ظلوماً غشوماً، فسام جديس من أنواع الخسف الكثير الذي يطول ذكره حتى إنه أمر ألا تتزوج امرأة من جديس فتزف إلى زوجها قبل أن تُحمل إليه هو فيفترعها قبل زوجها، فلقوا من ذلك بلاءً وذلاً كبير ولم يزالوا على تلك الحالة من الهوان حتى تزوجت غفيرة بنت غفار أخت الأسود بن غفار سيد جديس وكبيرها يومئذ، وكانت غفيرة تُدعى الشموس، فلما حانت ليلة زفافها انطلقوا بها إلى عملوق لينال منها قبل زوجها على عادته ومعها القيان يغنين ويقلن:

أبْدَيْ بعملوق وقومي واركبي
وبادري الصبح لأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي
فما لِبكرٍ بعدكم من مهرب

يعنـوان أنها إن فعل بها وهي أخت سـيدهم فغيرها أولى، فلما أدْخِلَتَ على عملوق وافترعها وخلَّى سـبيلها خرجت على قومها شاقة ثوبها عن عورتها ودمها يسيل وهي في أقبح منظر وتقول:

لا أحـــدٌ أذلَّ مـــن جـديـس
أهـــكـــذا يُـفـعـل بـالـعـروس؟
يـرضـى بـهـذا يـا لـقـوْمـي حُـرٌّ؟
أهْــدَى وقــد أعـطـى وسـيـق المـهـر
لخـوضـه بـحـر الـردى بـنـفـسـه
خـيـر مـن أن يـفـعـل ذا بـعـرسـه

وامتنعت من الذهاب لزوجها وقالت تحرض قومها:

أيُـخْـمَـل مـا يـؤتـى إلـى فـتـيـاتـكـم
وأنـتـم رجـال فـيـكـم عـدد الـنـمـل
وتـصـبـح تمـشـي فـي الـدمـاء فـتـاتـكـم
صـبـيـحـة زفـت فـي الـنـسـاء إلـى الـبـعـل
فـإن أنـتـم لـم تـغـضـبـوا بـعـد هـذه
فـكـونـوا نـسـاء مـاتـفـيـق مـن الـكـحـل

من قصيدة لها، ولما سـمع أخوها ذلك، وكان سـيداً مطاعاً في قومه، فقال لهم: إن هؤلاء القوم ليسـوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم، فأطيعوني فيما آمركم به فإنه عزُ الدهر وذهاب ذل العمر وإلا اتكأت على سـيفي حتى يخرج من ظهري، قالوا: نطيعك ولكن القوم أكثر وأقوى منّا، قال: أنا صانع لعملوق وقومـه طعاماً وأدعوهم فإذا جاءوا متفضلين في الحلل والنعال ثرنا

عليهم بأسيافنا فانفردتُ أنا بالملك وانفرد كل رجل منكم برجل منهم، ثم إنَّ الأسود دعا القوم وأمر قومه باختراط السيوف ودفنها في الرمل حيث أعدوا الطعام وكان ذلك بظاهر البلد ثم قال لقومه: إذا أتاكم القوم يرفلون في حللهم فشدوا عليهم بالسيوف وابدءوا بالرؤساء، فلما وصل القوم إلى المدعاة وثبتْ جديس فاستلت سيوفها وشدوا على عملوق وأصحابه فاستأصلوهم إلا قليلاً ثم ذهبوا إلى ديارهم فنهبوها ثم إن رجلاً من طسم اسمه رياح بن مرة وهو أخو اليمامة الزرقاء نجا من الوقعة فقصد تُبَّع اليمن حسان بن أبي كرب فاستغاث به وكان قد عمد إلى جريدة نخل رطبة فجعل عليها طيناً رطباً وحملها معه واستصحب معه كلبه، فلما قرب من صنعاء كسر يد الكلبة ونزع الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل على حسان فاستغاثه وأخبره بالذي صنعت جديس بقومه، فسأله الملك من أين جئت؟ قال: جئت أبيت اللعن من أرض إلى جنبك من عند قوم انتهك منهم مالم ينتهك من أحد، وقصَّ عليه ما حل بهم جراء غدر جديس بهم، فقال: أمن بلدك جئت بهذه الجريدة وهذه الكلبة؟ قال نعم، قال حسان: إن كنت صدقتني فقد جئت من قريب، ووعده النصر فنادى في حمير بالمسير وأعلمهم بماحل بطسم، فخرجوا بعد مشورة بينهم استقر الرأيُ بعدها أن يخرجوا لنصرتهم وخرج الملك نفسه في مقدمتهم، فلما كانوا من اليمامة على ثلاث قال رياح: أبيت اللعن إن لي أختاً متزوجة في القوم ترى الراكب على مسيرة ثلاثة أيام وإني أخاف أن تنذر القوم

بك، والرأي أن تأمر كل رجل أن يقتلع شـجرة فيجعلها أمامه ثم يسـير، فأمرهم حسان بذلك ففعلوه، وكانت الزرقاء صعدت على منازلها فرأت الشـجر مقبلاً فارْتَابَتْ وقالت: يا جديس لقد سارت إليكم الشـجر أو لقد غزتكم حِمْير، قالوا: وما ذاك؟ قالت: أرى شـجراً من ورائها بشـر وإنِّي لأرى رجلاً ينهـس كتفاً أو يخصف نعلاً، وكان كذلك، فكذبوها، ثم إن حسان صبحهم فأفناهم وسبا نساءهم وصبيانهم وفر الأسود بن غفار فنزل بجبلي طيئ حتى قتلته طيئ بعد حين.

ثم إن حسـان أمر باليمامة بنت مـرة وكانت زرقاء، فأمر بعينيها فنزعتا وإذا بداخلهما عروق سـود، فسـألها عن ذلك فأخبرته أنه الإثمـد كانت تكتحل به وقيل إنها أول من اكتحل به فاتخذه الناس كحلاً بعدها، وأمر بها فصلبت على باب مدينة جو، والله ـ تعالى ـ أعلم.

* * *

ذكر بيهس وفرصته

بيهس هذا كان رجلاً من فزارة بن ذبيان بن بغيض وكان سابع سبعة إخوة فأغار عليهم ناس من أشجع بينهم وبينهم حرب وهم في إبلهم في موضع يقال له الأثلات، ويقال إن إخوة بيهس خرجوا مغيرين على بني ضبيعة فلقيهم القوم من أشجع فقتلوهم إلا بيهساً وكان أصغرهم وكان يُحمَّقُ فأرادوا قتله ثم قالوا: وما تريدون في قتل هذا؟ يحسب عليكم برجل ولا خير فيه فتركوه، فقال دعوني أتوصل معكم إلى حيي فإنكم إن تركتموني وحدي أكلتني السباع وقتلني العطش ففعلوا فأقبل معهم، فلما نزلوا نحروا جزوراً من وسيقتهم في يوم شديد الحر فقالوا: ظللوا لحمكم لا يصِلُّ أي لاينتن، فقال بيهس: لكن بالأثلات لحم لا يظلل، يعنى لحم إخوته فأرسلها مثلاً، فقال أحدهم: إني لأسمع من هذا الأنيسان أمراً يمكن أن يكون من ورائه شرٌ فاقتلوه، فقال زعيم القوم: أيُعَدُّ علينا هذا بقتيل؟ فتركوه وظلوا يشوون ويأكلون فقال أحدهم ما أطيب يومنا هذا وأخصبه، فقال بيهس: لكن على بلدَمَ قوم عجفَى، فأرسلها مثلاً، ثم انشعب طريقهم ففارقهم وأتى أمه فقالت له أين إخوتك أمورق أنت أم مخفق؟ قال: بل مخفق وأخبرها الخبر، قالت: فما جاءني بك من بين أخوتك؟ فقال بيهس: لو خيرت لاخترت، فأرسلها مثلاً، وكانت أمُه تُبغضه وتحب إخوته، ثم إنها

عطفت عليه ورقت له فقال الناس: لقد أحبت أم بيهس بيهساً، فقال بيهس: ثكلٌ أرأمها ولداً، أي: ثكلها لأولادها هو الذي أرأمها ولو بقوا لها ما أحبتني، فأرسلها مثلاً، ثم إن أمه جعلت تعطيه بعد ذلك ثياب إخوته فيلبسها ثم يقول: يا حبذا التراث لولا الذلة، فأرسلها مثلاً، ثم إنه أتى على ذلك ما شاء الله فمر بنسوة من قومه يصلحن امرأة تهدى لبعض القوم الذين قتلوا إخوته، فقيل إنه تجرد وجعل يرقص مع النساء، فقلن له له ويحك ما تصنع يا بيهس؟ فقال:

البَسْ لكل حالة لبوسها
إما نعيمها وإمَّا بؤسها

فأرسلها مثلاً، ثم أمر نساءً من كنانة أن يصنعن له طعاماً ففعلن فصار يأكل ويقول حبذا كثرة الأيدي في غير طعام، فأرسلها مثلاً، فقالت أمه لا يطلب هذا بثأر أبداً، فقالت الكنانية: لا تأمني الأحمق وفي يده سكين، فأرسلتها مثلاً، ثم إنه ذات يوم بينما هو يرعى غنماً له في أكمة إذ ألجأه الحر إلى غار يستظل فيه فرأى قتله إخوته، وهم عشرة قد عقلوا إبلهم على فم الغار وحلبوها وشربوا منها حتى خثروا فهم روبى نيام، فترك غنمة وبادر نحو الحي فاستلأم وأتى خالاً له يقال له أبو حنش وكان من أنخب العرب أي: من أضعفهم قلباً، فقال له: هل لك في غار فيه ظباء؟ ويُروى أنه قال له هل لك في غنيمة باردة؟ فأرسلها مثلاً، قال: نعم، قال: فتنكب قوسك وتقلد سيفك وحي هلا ورائي، ثم جاء بيهس بأبي

حنش حتى أقامه على فم الغار ثم دفعه فإذا هو في وسطه وقال ضرباً أبا حنش، فلما علم أنه تورط وأنه لا ينجيه إلا الضرب أعمل سيفه فيهم، يقول أحدهم: إن أبا حنش لبطلٍ فيقول «مكره أخاك لابطل»، ويروى بلغة الأعراب، فأرسلها مثلاً، ومازالا بهم حتى أبادوهم ورجعوا بأسلابهم إلى الحي فعُرِفت شهامة بيهس وصرامته وأنه أدرك ثأره، وفي ذلك يقول المتلمس:

ومن طلب الأوتار ما حزَّ أنفه
قصير وخاض الموت بالسيف بيهس
نعامة لما صَّرع القوم رهطه
تبين في أثوابه كيف يلبس

وقوله نعامة يعنى بيهساً لأنه كان يلقب نعامة، قيل: لأنه طويل الرجلين، وقيل: لأنه كان أصم، والعرب تصف النعام بالصممٍ لأنه مصلم الأذنين، وتزعم العرب أن النعامة ذهبت تطلب قروناً فقطعوا أذنيها، ولهذا سمو الذكر ظليماً لأنه ظُلم بقطع أُذُنيه[1]، والله أعلم.

* * *

---

(١) وهذا من خرافاتهم. والله يقول: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧].

ذكر حاجب وقوسه

أما حاجب فهو ابن زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم التميمي الدارمي أحد أشراف بني تميم وسادتها في الجاهلية وهو الذي يعنيه الفرزدق بقوله:

ومنا الذي أحيا الوئيد وغالبٌ
وعمروٌ ومنا حاجب والأقارعُ

قال المبرد: حاجب بن زرارة سيد تميم في الجاهلية غير مدافع، وذكر أيضاً أن بيوتات العرب ثلاثة: فبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة، وبيت قيس بنو فزارة ومركزه بنو بدر، وبيت بكر بن وائل بنو شيبان ومركزه بنو ذي الجدين ا.هـ.

وأمَّا قوس حاجب فكان من خبرها أن حاجباً كان قد وفد على كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان في جَدْبٍ أصاب مضر بدعوة رسول الله ﷺ حيث قال: «**اللهم اشْدُدْ وطأتك على مضر وابعثها عليهم سنين كسني يوسف**» أو كما قال ﷺ[1]، فمنع كسرى تميماً من دخول ريف العراق فوفد عليه حاجب بن زرارة فلما استأذن عليه أرسل إليه: أسيد العرب أنت؟ قال: لا، قال: أفسيد مضر؟ قال: لا، قال أفسيد بني أبيك؟ قال: لا، فأذن له، فلما دخل عليه قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٧١)، ومسلم (٦٧٥).

من أنت؟ قال: أنا سيد العرب، قال: أليس قد أوحيت إليك أسيد العــرب أنت فقلت لا حتى اقتصرت بك على بني أبيك فقلت لا؟ فقــال: أيها الملك إنى لم أكن كذلك حتى دخلت على الملك، فلما دخلت عليك صرت ســيد العرب، فقال كسرى: املئوا فاه ذهباً، ثم سأله حاجب أن يأذن له ولقومه في دخول الريف من بلاده حتى يحيوا أي: يصيبهم المطر، قال كســرى: إنكم معاشــر العرب قوم غُدُرٌ فإذا أذنت لكم أفســدتم البلاد وأغرتم على العباد وآذيتموني، قال حاجب: إني ضامن لك أن لا يفعلوا، قال: فمن لي بأن تفي أنت؟ قال: أرهنك قوسي. فلما جاء بها ضحك القوم وقالوا: ألهذه العصا يفي؟ قال كســرى: خذوها ما كان ليســلمها في شيء أبداً، فقبضها منــه وأذن لهم فدخلوا الريف، ولما ارتحلت تميم وقد هلك حاجب جاء ولده عُطاردُ ـ رضي الله عنه ـ إلى كسرى يريد القوس فقال: ما أنت بالذي رهنها، قال: أجل أيها الملك، قال: فما فعل راهنهــا؟ قال: هلك وهو أبي وقد وفى له قومه ووفَّى هو للملك، فردها عليه وكســاه حلة، فلما وفد عطارد على رسول الله ﷺ في وفد تميم وهو سيدهم أسلم هو وأصحابه وأهدى إليه تلك الحلة فلم يقبلها ﷺ؛ فباعها عطارد بأربعة آلاف درهم من يهودي.

ويحكى أن كسرى قال لحاجب: إن قوسك هذه لقصيرة معوجة، قال: أيها الملك وإن وفائي لطويل مستقيم.

قالوا: وصــارت تلك القوس مفخرة كبيرة لبني تميم وبقيت عند بني عطارد يتوارثونها، وقد ذكرها أبو تمام في قصيدته التي يمدح بها

أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي وهو من ربيعة فقال:

إذا فتخرتْ يوماً تميم بِقوسها
وزادتْ على ما وطَّدتْ من مناقب
فأنتم بذِي قار أمالت سُيُوفكم
عروشَ الذين استرهنوا قوس حاجب

* * *

ذكر وافد المُحَرِّق

وافد المحرق هو وافد البراجم واسمه عمار بن صخر التميمي ثم البرجمي، والبراجم خمسة من أولاد حنظلة بن زيد مناة بن تميم وهم قيس وكلفة وظُلَيْمُ وغالب وعمرو، وسموا بالبراجم لتبرجمهم أي: تجمعهم فشبهوا ببراجم الكف، والمحرق باسم الفاعل هو عمرو بن هند اللخمي، وهو المراد هنا.

والمحَرِّقون من ملوك العرب ثلاثة هم: الحارث بن عمرو الغساني وهو أول من حَرَّقَ من ملوك العرب، فقد حرق العرب في ديارهم فهم يدعون آل محرق وإياهم عنى حسان ـ رضي الله عنه ـ بقوله:

ولدنا بني العنقاء وابنٍ محرق
فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابْنما

والثاني هو امرؤ القيس بن عمر اللخمي جد عمرو بن هند، وهو المراد بقول الأسود بن يعفر:

ماذا أؤمل بعد آل محرق
تركوا منازلهم وبعد إباد

وقول النابغة الجعدي ـ رضي الله عنه ـ:

نَداماَيَ عند المنذر بن محرق
أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا

والثالث عمرو بن هند هذا، وهند أمه وهو ابن المنذر بن ماء السماء، وماء السماء أيضاً اسم أم المنذر، فهند أم عمرو هي بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي، وماء السماء أم المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن أمرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، وقيل في نسبه غير هذا، وكان عمرو بن هند هذا يقال له مضرط الحجارة لقساوته وشدة بأسه:

وسمى محرقاً لأنه حَرَّق مائة من بني تميم وقيل سمي به لغير ذلك.

وكان من خبر تحريقه لبني تميم أنه كان عاقد طيئاً أن لا ينازعوه ولا يفاخروه ولا يغزوه ولا يغزوهم، ثم إنه غزا اليمامة فمر في رجوعه بطيئ فقال له زرارة بن عُدس الدارمي والد حاجب صاحب القوس: أبيت اللعن أصب من هذا الحي شيئاً، قال له: ويلك إن لهم عقداً، قال: وإن كان، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذواداً، فقال في ذلك عارق الطائي وهو قيس بن جروة:

ألا حيِّ قبل البين من أنت عاشقه
ومن أنت مشتاقٌ إليه وشائقه

إلى أن قال:

فهبْك ابن هند لم تعقْك أمانةٌ
وما المرء إلا عقدُة ومواثقُهْ
فأقسمت جهراً بالمنازل من مِنَى
وما خَبَّ في بطحائهن دِرادقُهْ
لئن لم تغير بعض ما قد صنعتمُ
لأنتحينّ العظمَ ذو أنا عارقُهْ

فلما بلغه شعره غضب وتوعده وحلف ليقتلنه فبلغ ذلك عارقاً فقال أبيات يقول فيها:

أيوعدني والرمل بيني وبينه
تبين رويداً ما أمامة من هند
غدرت بعهد كنت أنت احتذيتنا
عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

ولما بلغ عمرو بن هند شعره هذا غزا طيئاً وأسر أسرى من بني عدي بن أخزم رهط حاتم الطائي الجواد فوفد عليه وأطلقهم له.

وكان المنذر بن ماء السماء قد أرضع ابناً له في تميم اسمه مالك وقيل اسمه أسعد، عند زرارة بن عُدس، فشب فيهم وخرج ذات يوم للصيد فأخفق ولم يصب شيئاً فمر بإبل سويد بن ربيعة من بني دارم وهو زوج ابنة زُرارة بن عُدس ولدت له تسعة أولاد ذكور، فأمر أسعد بن المنذر بناقة من إبل سويد فنحرت وأكل من شوائها، وسويد نائم فلما انتبه شد على الغلام فضربه بعصى على رأسه فقتله، وشرد سويد ولحق بمكة فحالف بني نوفل بن عبد مناف بن قصي، وكان طيء تطلب عثرات زرارة بن عُدس وبني أبيه، فلما بلغهم مافعلوا بأخي الملك قال عمرو بن ثعلبه الطائي:

من مبلغٌ عمرا بأ
نَّ المرء لم يخلق صبارة
وحوادثُ الأيام لا
يبقى لها إلا الحجارة

هـــا أنَّ عُـــجْـــزَة أمـــه
بـــالـــسَّـــفْـــح أســـفـــلَ مـــن أوَارة
تَـــسْـــقـــي الـــريـــاح خـــلال كَـــشْـــ
ـــحَـــيْـــه وقـــدْ ســـلـــبـــوا إزاره
فـــاقـــتُـــلْ زُرارةَ لا أرى
فـــي الـــقـــوم أوفـــى مـــن زُراره

ومعنى الأبيات تحريض لعمــرو بن هند على قتلة أخيه، يقول له إنك لم تخلق حجراً حتى لا تؤثر فيك الحوادث فخذ بثأر أخيك آخر ولد ولدته أمك، والعجزة بكسر العين وقد تضم آخر ولد الرجل.

فلما بلغ الشعر عمرو بن هند بكى حتى فاضت عيناه، وبلغ الخبر زُرارة ففــر وركب عمرو بن هند في طلبه فلــم يقدر عليه، فأخذ امرأتــه وهي حبلى فقال: أذكــر في بطنك أم أنثى؟ قالت: لا عِلم لي بذلك، قال: مــا فعل زرارة الغادر الفاجر؟ فقالت: إن كان ما علمت الطيب العَرق، السمين المرق، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد، لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يضاف؛ فبقرها وذهب.

ثــم إن قوم زُرارة قالوا لــه: والله ما قتلت أخا الملك ولا يضرك أن تأتيه وتصدقه الخبر، ففعل، فقال: جئني بســويد فقال: قد لحق بمكة، قال علي ببنيه التســعة وأمهم بنــت زُرارة، فأتاه بهم فقتلهم جميعاً وزُرارة ينظر، ثم إن عمرو بن هند أقسم ليحرقن مائة من بني دارم، فخرج يريديهم وجعل علــى مقدمته عمرو بن ثعلبه الطائي صاحب الشعر المتقدم، فوجدوا القوم قد نذروا بهم، فأخذوا منهم ثمانية وتســعين رجلاً بأســفل أوارة من ناحيــة البحرين، فضربت

للملك قبةٌ بهذا الموضع وأمر بأخدود فخدت وأوقدت فيها النار فلما تلظت قذف بهم فيها فاحترقوا، ومر رجلٌ منهم فاشتم رائحة القتار فظن أن الملك قد اتخذ طعاماً وكان ساغباً فعرج على النار مع المساء وجاء يوضع به بعيره حتى أناخ أمام قبة الملك، فقال: ما جاء بك؟ قال: الطعام فلم أذق طعاماً منذ ثلاثة أيام قال: ممن أنت؟ قال: من البراجم، قال عمرو بن هند: إن الشقي وافد البراجم، فأرسلها مثلاً وأمر به فقذف في النار وأقام عمرو لا يرى أحداً فقيل له أبيت اللعن لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً، فدعا بامرأة منهم من بني حنظلة فقال: من أنت؟ قالت: أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر وأنشدت:

إنـي لبـنـت ضـمـرة بـن جـابـر
سـاد مـعـدّاً كـابـراً عـن كـابـر

فقال عمرو: أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار، قالت: أماً والذي أسأل أن يضع وسادك، ويخفض عمادك، ماقتلت إلا نساء أعلاهن ثديٌّ وأسفلهن حُلِيٌّ، فقذفوها في النار.

وقد ذكرت الشعراء هذه القصة في أشعارها، من ذلك قول الأعشى:

وتـكـون فـي الـشـرف المـوا
زِي مـنـقـراً وبـنـي زُرارة
أبـنـاء قـوم قُـتِّـلُـوا
يـوم الـقـصـيـبـة مـن أَوَارة

* * *

خبر خِنْدِف وخرنق وفارعة

خندف هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، زوج إلياس بن مضر جد رسول الله ﷺ وسميت خندف بوزن زبرج؛ لأنه كان لإلياس منها ثلاثة من الولد هم عمرو وعامر وعُمير، ثم إن عائلة إلياس خرجت في نجعة فنفرت إبلهم من أرنب فخرج إليها عمرو فأدركها فسموه مدركة واصطاد عامر الأرنب، فطبخها فسمي طابخة، وانقمع عمير في الخباء فسموه قمعة، وخرجت أمهم خلفهم تهرول فقال لها إلياس: أين تخندفين؟ والخندفة مشية تشبه الهرولة، فقالت: مازلت أخندف خلفكم فسميت خندف، كذا في القاموس، وقيل إن طابخة هو عمرو، وأن مدركه هو عامر والله ـ تعالى ـ أعلم.

وفي عمود النسب للعلامة البدوي المجلسي ثم الشنقيطي قوله:

في صلب إلياس لخير الأمم
تلبية تسمعُ من بالحرم
أولاده من خندف الشامخة
قمعةٌ مدركةٌ وطابِخَة

ثم إنه ينبغي أن تعلم أن عرب الحجاز وجل عرب نجد من خندف، فمنها قريش، وكنانة، وأسد ابنا خزيمة بن مدركة ومنها هذيل بن مدركة، ومنها أسلم، قيل: ومنها خزاعة، فخزاعة من

ولد عمرو بن لحي وقيل إنه من ولد قمعة.

قال العلامة أحمد البدوي في عمود النسب:

قَـمْـعَـةٌ قـبـل جـدٍّ عـمـرو بـن لُحـي
ذي الـقـضْـبِ فـي حـديـث أفْـضـل لـؤي
أولُ مـن حـمـل أكـيـاس الحـرم
لـكـفـره عـلـى عـبـادة الـصـنـم
وأدخـلَ الـذيـن أخـرجَـهُـمَـا
إذْ أحْـدَثَـا فـمُـسِـخَـا أهـلـهـا
وصـلـبـا عـلـى الـصـفـا لـيـتـعـظ
عـن الـزنـا بمـكـة كـل يَـقِـظْ

إلى إن قال:

وهـو أبـو خـزاعـة وأكـثَـمُ
شـبـهـه بـه الـنـبـي مـنـهـمُ

ومن خندف تميم بن مر بن أدُ بن طابخة، ومنها ضبة بن أد بن طابخة، ومنها الرباب وهي قبائل بنو عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة، وبنو تيم بن عبد مناة بن أد طابخة، وبنو ثور بن عبد مناة، وبنو عُكْل وهو عوف بن عبد مناة، ومن خندف كذلك مزينة وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة وسموا باسم أمهم مزينة وهي أم عمرو بن أد.

وإلى ما سردناه من قبائل خندف أشار العلامة الشنقيطي أحمد البدوي ثم المجلسي في عمود نسبه بقوله:

مـدركـة مـنـه هـذيـل الـذي
مـنـه خـزاعـة الـتـي مـنـهـا احـتُـذي

ومـن هـذيـل صـاحـب الـسِّـواد
والـسِّـر والـسِّـواك والـوسـاد
والـنـعـل والـسِّـتْـر لـدى المُـغْـتَـسَـلِ
والإذن فـي المـجـلـس مـالـم يـعـزل
وهـو ابـن مـسـعـود مـبـشـر الـنـبـي
بـرأس عـمـرو بـن هـشـام الـغـبـي
ومـن بـنـي أد سـلـيـل طـابـخـة
ضَـبَّـةٌ إحـدى الجـمـرات الـراسـخـة

إلى أن قال:

أهـلـكـه الحـارث ثـم افـتـخـرا
بـقـتـلـه لـضـبـه إذ لا يـرى
أن أبـاه ضـبَّـة فـقـتـلـه
وسـبـق الـسـيـف الـعـتـاب أرسـلـه
عَـبْـدُ مَـنَـاة بْـنُ أدّ تـنـسـب
لـه الـرَّبـابُ زُمـر تَـرَبَّـبُـوا
مَـعَ تمـيـم وهـي ثـور عـجـل
تَـيـمُ عـديٌ ضَـبَّـةٌ وعُـكْـلُ
وانـسـب لـثـور الـذي مـا اسـتـودعـا
حـجـاه مـعـلـومـاً فـخـان مـا وعـى
وهـو سـمـي ابـن عـيـيـنـة الـعـلـم
مـولـى بـنـي هـلال الـنـدب الحَـكَـمْ
مـزيـنـة أم بـنـي عـمـرو بـن أد
وفـي ربـابـة الـربـاب قـيـل عـدا

الخ . . .

والحاصل أن مضر تنقسم إلى قسمين: إلى قيس وإلى خندف ولخندف فخر الجاهلية ومجد الإسلام بالنبوة والخلافة.

وأما بكاء خندف فهو أنه لما مرض زوجها إلياس وجدت لذلك وجداً شديداً ونذرت إن هلك أن لا تقيم ببلد مات فيه، وأن لا يظلها بيت بعده، وأن تسيح في الأرض، وحرمت الرجال والطيب، فلما هلك إلياس خرجت سائحة في الأرض حتى هلكت حزناً، وكان وفاته يوم الخميس فكانت كلما طلعت الشمس من ذلك اليوم بكته حتى تغيب، فصارت خندف وما صنعت عجباً في الناس يتحدثون به.

وأما خرنق: فهي بنت هفان من بني سعد بن ضبيعة رهط الأعشى، وهي أخت طرفة بن العبد الشاعر لأمه، وقد اشتهرت في رثائها لزوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعي وبنيه علقمة وحسان وشرحبيل حين قتلهم بنو أسد بجبل يقال له قُلاب، ومن رثائها فيهم قولها:

فلا وأبيك آسى بعد بشر
على حي يموت ولا صديق
وبعد الخير علقمة بن بشر
إذا ما الموت كان لدي الحلوق
ونال بني ضبيعة بعد بشر
كما نال الجزوع من الحريق
فكم بُقلاب من أوصال خرق
أخي ثقة وجمجمة فليق

وقالت في رثاء أخيها طرفة بن العبد:

عـــددنـــا لـــه ســـتـــا وعـــشـــريـــن حـجـة
فـلـمـا تـوفَّـاهـا اسـتـوى أسـداً ضـخـمـاً
فُـجـعـنـا بـه لمـا رجـونـا إيـابـه
عـلـى خـيـر حـال لا ولـيـداً ولا فَـحْـمَـا

وأمَّا فارعةٌ: فهي بنت طريف بن الصلت بن طارق بن سيجان بن عمرو بن مالك الشيبانية أخت الوليد بن طريف الخارجي المشهور. كان شجاعاً فاتكا وكان رأس الخوارج مقيماً بنصيبين والخابور وتلك النَّواحي، وكان خروجه في خلافة هارون الرشيد فوجه إليه الرشيد عدة أمراء فقضى عليهم واحداً واحداً، فوجه إليه يزيد بن مزيد الشيباني بإشارة من البرامكة وكانوا يحرضون أمير المؤمنين عليه ويُغروه به ويقولون إنما يتجافي عن الوليد للرحم الذي بينهما وإلا فشوكة الوليد ضعيفة، فوجه إليه الرشيد كتاباً يقول فيه: لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما قمت به ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزته ليوجهن إليك من يأتيه برأسك، فلقيه في أول خميس من رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة، وكان الوليد قد خرج إليهم يرتجز ويقول:

أنـا الـولـيـد بـن طـريـف الـشـاري
قَـسْـوَرَةٌ لا يـصـطـلـى بـنـاري
جَـوْرُكُـمْ أخـرجـنـي مـن داري

وقال يزيد لأصحابه: فداكم أبي وأمي إنما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا لها تحت التراس فإذا انقضت حملتهم فاحملوا فإنهم

إذا نهزموا لم يرجعوا، فكان كما قال، ويقال إنهم لما انكشفوا نادى يزيد الوليد قائلاً يا وليد ما حاجتك إلى التستر بالرجال ابرز إليَّ فقال: نعم والله، فبرز إليه ووقف العسكران فلم يتحرك منهما أحد، فتطاردا ساعات وكل منهما لا يقدر على صاحبه فأمكنت يزيد منه غفلة فضرب رجله فسقط وصاح بخيله فوقعوا عليه واحتزوا رأسه، ووجه به وبكتاب الفتح مع ابنه أسد بن يزيد بن مزيد.

ولما قدم يزيد على الرشيد ظافراً احتجب عنه بإشارة من البرامكة وأظهر عليه السخط، فأقسم يزيد ليصِيفَنَّ ويَشْتُوَنَّ على جواده أو يدخل على أمير المؤمنين فارتفع الخبر بذلك إلى الرشيد فأدخله عليه ورحب به وأكرمه وعرف بلاءه ونقاء صدره ومدحه الشعراء وقال في مدحه مسلم بن الوليد:

يفتر عند افترار الحرب مبتسماً
إذا تغير وجه الفارس البطل
موف على مهج في يوم ذي رَهَج
كأنه أجل يسعى إلى أجل
ينال بالرفق ما تعيا الرّجالُ به
كالموت مستعجلاً يأتي على مهل

ولما قتل الوليد بن طريف صبحتهم أخته الفارعة، فجعلت تحمل على الناس، فعُرفت، فقال يزيد: دعوها، ثم خرج إليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال: اغربي، فقد فضحت العشيرة، فاستحيت وانصرفت وهي تنشد في رثاء أخيها:

أيا شجر الخابور مالك مورقاً
كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى
ولا المال إلا من قنىً وسيوف
ولا الذخر إلا كل جرداء صَلْعَم
معودة للكر بين صفوف
كأنك لم تشهد هُنَاك ولم تقم
مقاماً على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يوماً لورد كريهة
من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقِح
وسمر القنا ينكزنها بأنوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى
فإن مات لم يرض الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا
فديناك من فتياننا بألوف
ومازال حتى أزهق الموت نفسه
شجىً لعدو أو نجاً لضعيف
ألا يالقومي للحِمام وللبلى
وللأرض همت بعده برجوف
ألا يالقومي للنوائب والردى
ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب إذ هوى
وللشمس لما أزمعت بكسوف

ولـلـليـث كَـلَّ الـلـيـث إذ يـحـمـلـونـه
إلـى حـفـرة مـلـحـودة وسـقـيـف
ألا قـتـل الله الجُـشـى حـيـث أضـمـرت
فـتـى كـان لـلـمـعـروف غـيـر عـيـوف
فـإن يـكُ أرداه يـزيـد بـنُ مـزْيـد
فُـربَّ زحـوف لـفـهـا بـزحـوف
عـلـيـه سـلام الله وقـفـاً فـإنـني
أرى المـوت وقـاعـاً بـكـل شـريـف

ولها في رثائه قولها:

ذكـرتُ الـولـيـد وأيـامـه
إذ الأرض مـن شـخـصـه بـلْـقَـعُ
فـأقـبـلـت أطـلـبـه فـي الـسـمـاء
كـمـا يـبـتـغـي أنـفـه الأجَـدعُ
أضـاعـتـك قـومـك فـلـيـطـلـبـوا
إفـادة مـثـل الـذي ضـيـعـوا
لـو أن الـسـيـوف الـتـي حـدُّهـا
يـصـيـبـك تـعـلـم مـا تَـصْـنَـعُ
نـبـتْ عـنـك أو جـعـلـت هَـيـبَـةً
وخَـوْفـاً لـصـولـك لا تَـقْـطَـعُ

ولفارعة هذه مراثي كثيرة في أخيها الوليد سلكت فيها مسلك الخنساء في رثائها لأخيها صخر، والله ـ تعالى ـ أعلم.

* * *

ذكر حجَّام ساباط

حجام ساباط يضرب به المثل في الفراغ؛ فيقال: أفرغ من حجام ساباط، ومن خبره أنه كان حجاماً ملازماً لساباط المدائن فإذا مر به جند قد ضرب عليهم البعث حجمهم نسيئة بدانق إلى وقت قفولهم، وكان مع ذلك يمر عليه الأسبوع والأسبوعان من غير أن يدنو منه أحد فعند ذلك يخرج أمه فيحجمها ليرى الناس أنه غير فارغ، فمازال دأبه حتى نزف دم أمه فماتت فُجاءةً، فصار فراغ ذلك الحجام مثلاً، وممن ضرب المثل بحجام ساباط ابن بسام حيث قال:

دَارُ أبي العباس مفروشةٌ
ماشئت من بُسْطٍ ومِن أنْماطِ
لكنما بُغْدُكَ من خُبْزِه
كبُعدِ بَلْخَ مِن سُمَيْسَاطِ
مطبخُهُ قَفْرٌ وطبَّاخُهُ
أفْرَغُ مِن حجَّام سَابَاطِ

وذكر ابن عساكر في تاريخه أن يزيد بن المهلَّب حجَّ فطلب حجَّاماً فجاء فحلق رأسه له بألف درهم، فدهش الحجام وقال: بهذه الألف أمضي إلى أمي فلانه أشتريها، فقال يزيد: أعطوه ألفاً أخرى، فقال الحلاق: امرأتي طالق إن حلقت رأس أحد بعدك، فقال يزيد: أعطوه ألفين أخريين.

ذكر بني أنف الناقة

بنـــو أنف الناقـــة هم بنو جعفر بن قُريـــع بالتصغير بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وسبب جريان هذا اللقب عليه أن أباه قُريعاً نحرنَاقة فقســـمها بين نسائه فبعثت جعفر هذا أمّهُ وهي الشـــموس الهذيْمية إلى أبيه تســـأله حظها من اللحم ولم يجد عنده غير رأس الناقة وعنقها فقال له: شأنك بهذا، فأدخل جعفر يده في أنـــف الناقة وجعل يجره إلى أمه والناس يضحكون منه فلقب بأنف الناقة، فكان جعفر يُسَبُّ بها، وبقي هذا اللقب سبة في عقبة فكان الواحد منهم إذا ســـئل عن نســـبه ينتســـب إلى جده قُريع بن عوف ويتجاوز النســـبة إلىجعفر فراراً من اللقب، فبقوا على ذلك إلى أن مدحهم الحطيئة فأزال ذلك العار عنهم.

وكان من حديث ذلك أن الزبرقان بن بدر التميمي وفد على النبي ﷺ فـــولاه على قومه ثم أقره على ذلك أبوبكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فقدم في سنة مجدبة على عمر ليؤدي إليه صدقة قومه فلقيه الحطيئـــة بقرقري ومعه زوجته وولده ذكـــوراً وإناثاً فقال له الزبرقان وقد عرفه: إلى أين تُريد؟ فقال: إلى العراق وقد حطمتنا هذه السنة، قـــال: فتصنع ماذا؟ قال: وددت أن أصادف بها رجلاً يكفيني مئونة عيالـــي وأصغيـــه مدحي أبداً، فقال له الزبرقـــان: قد أصبته، فهل لك فيمن يوســـعك لبناً وتمراً ويجاورك أحسن جوار وأكرمه؟ فقال

الحطيئة: فهذا وأبيك العيش وما كنت أرجو هذا كله، قال: قد أصبته، قال: وأين؟ قال: عندي، قال: ومن أنت؟ قال: الزيرقان بن بدر قال: وأين محلك؟ قال: اركب هذه الناقة واستقبل مطلع الشمس وسل عن القمر بن القمر حتى تأتي منزلي، وكتب الزبرقان إلى زوجته أن أحسني إليه وأكثري له من التمر واللبن، وهي بنت صعصعة بن ناجية المجاشعي، فأكرمت المرأة مثواه، فبلغ ذلك بني جعفر أنف الناقة بن قُريع فحسدوا الزبرقان عليه فدسُّوا إلى الحطيئة أن تحول إلينا نعطك مائة ناقة ونشد كل طنب من أطناب بيتك بحلة نفيسة، قال: وأنى لي ذلك؟ قالوا: إنهم يريدون النجعة فتخلف عنهم، ودسُّوا إلى امرأة الزبرقان من يقول لها: إن الزبرقان إنما قدم أمامه هذه الشيخ ليتزوج ابنته وكانت ذات جمال، فصدقت المرأة وظهر منها للحطيئة جفوة وهي مع ذلك تداريه، فلما احتمل القوم تخلف الحطيئة عنهم فاحتمله الفريعيون فوفوا له بما وعدوه وربطوا له بكل طنب من أطناب قبته حلة هَجَرية، فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته فنادى في قومه وجاء إلى بني قُريع فقال: ردُّوا عليَّ جاري، فقالوا: ليس لك بجار وقد طرحته فاستعدى عليهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فحكم أن يخرج الحطيئة وينزل بمنزل بين الحيَّين ويُخَلَّى سبيله فيكون جار أيهما شاء، ففعل به ذلك فاختار الفريعيين وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يهجوَ الزبرقان وهم يحرضونه على ذلك فيأبى ويقول لا ذنب للرجل، فكان مما مدحهم به قصيدته التي يقول فيها:

قالت أمامة لا تَجْزَعْ فقلت لها
إن العزاء وإن الصبر قد غلبا
سيرى أمام فإنَّ الأكثرين حصى
والأكرمين إذا ما ينسبون أبا
قومٌ إذا عقدوا عقداً لجارهم
شدُّوا العناج وشدُّوا فوقه الكربا
قومٌ هم الأنف والأذناب غيرهم
مَن ذا يُسَوِّي بأنْف النَّاقة الذَّنَبا

فصار هذا اللقب مدحاً لهم وفخراً بعد أن كان ضَعَةً وذماً فصاروا يفتخرون به ويقولون نحن بنو الأنف، ثم عَرَّض بالزبرقان ورهطه بقوله:

ما نقموا من بغيض لا أبا لَهُمُ
في بائس جاء يحدو أينقاً جُرُبَا
جاءت به من بلاد الطور تحمله
حصباء لم تَتركْ دون العصا شذبا

ثم مدحهم بقوله وهي من جيد شعره:

ألا طرقتنا بعدما هجعوا هند
وقد جزنَ غوراً واستبان لنا نجد

إلى أن قال:

وإنَّ التي نكبتها عن معاشر
عليَّ غضاب أن صددتُّ كما صدُّوا
أَتَتْ آل شمَّاس بن لَاي وإنَّما
أتاهم بها الأحلام والحسب الْعِدُّ

فإنَّ الشَّقِي مَنْ تُعادي صُدورهمْ
وذو الجدَّ من لانوا له ومَنْ ودُّوا
يسوسون أحلاماً بعيداً أَناتُها
فإن غَضبُوا جاء الحفيظة والجدُّ
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمُ
منَ اللوم أو سُدوا كمثل الذي سدوا
أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا
وإن عاهدوا أوفوا وإن عاهدوا شدوا
وإنْ كانت النُّعْمَى عليهم جَزَوْا بها
وأنْ أنْعَمُوا لا كدَّرُوهَا ولا كدُّوا
وإن قال مولاهم على جلِّ حادث
من الدَّهر ردُّوا فضلِ أحلامكم ردُّوا
مَطاعينُ في الهيجا مكاشيفُ للدُّجَا
بنى لهم آباؤهم وبني الجدُّ

الخ . . . .

وقال أيضاً وصرح فيها يهجو الزبرقان:

والله مامَعْشَرٌ لاموا امْرَأً جُنُبَا
في آل لاي بْن شمَّاس بأكياس
ما كان ذنب بغيض لَا أبا لكمُ
في بائس جاد يحدُوا آخر الناس
لقد مريتكمٍ لو أنَّ درتَكم
يَوْماً يجئ بها مدحي وإبْسَاسِى
لما بَدَا لِيَ منكمْ عَيْبُ أنْفُسِكمْ
ولم يكن لجراحي منكم آسى

أزْمعتُ يأساً مريحاً من نَوالكمُ
ولن ترى طارداً للحر كالْيَاس
جارٌ لِقَوْم أطالوا هون منزلِه
وغادروه مقيماً بين أرماس
مَلُّوا قِراهُ وهَرَّتْهُ كلابُهُمُ
وجَرَّحوه بأنياب وأضْراس
دَعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لبُغيتها
واقْعُدْ فإنَّك أنت الطاعم الكاسي
مَنْ يَفْعَل الخَير لا يَعْدمْ جَوازِيَهُ
لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ الله والناس

فاشتكاه الزبرقان بن بدر إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقال إنه هجاني، فقال عمر: وماذا قال في هجائك؟ قال: قال: كذا، وأنشده دع المكارم.. البيت، فقال: ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة، فقال الزبرقان: أو ما تبلغُ مروءتي إلا أنِّي آكل وألبس؟ فقال عمر: عَلَيَّ بحسان، فجيء به فسأله عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: لم يهجه ولكنه سلح عليه، فأمر به عمر فجعل في قعر بئر وألقى عليه شيء، فجزع الحطيئة جزعاً شديداً وتضرع إلى عمر وقال شعراً يستعطفه به فلم، يلتفت إليه عمر ثم شفع فيه عبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص وغيرهما، فأخرجه، فلما مثل بين يديه قال:

بسم الذي أنزلت من عنده السور
والحمد لله أما بعد يا عمرُ

ماذا تقول بأفراخ بذي مرخ
زُغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه
ألقى إليك مقاليدَ النهى البشرُ
فامنُنْ على صبية بالرمل مسكنهم
بين الأباطح تغشاهم بها القِرَرُ

أما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فإنه قد بكى لقوله؛ ويقول عمرو بن العاص لذلك: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أعدل من رجل يبكي على تركة الحطيئة.

ثم إن عمر ـ رضي الله عنه ـ أراد إرهاب الحطيئة فجعل يستشير قومه فيه ويقول ما أراني إلاقاطعاً لسانه إيتوني بطست إيتوني بسكين إيتوني بموسى فهو أحَدُّ، فقالوا: لا يعود يا أمير المؤمنين وأشاروا عليه أن قل لا أعودُ، فقالها، فقال له: النجاء.

❋ ❋ ❋

ذكر المحَلَّق

والمُحَلَّق على وزن مُعَظم، هو أبو مَسْمَع عبد العزى بن خيثم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد وهو أبوبكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري ثم الكلابي، وقد كان رجلاً مقلاً من المال، فمر به الأعشى في بعض السنين ذاهباً إلى سوق عكاظ فقالت له أمه: إن أبا بصير رجل مجدود في شعره وأنت رجل خامل مقل ولك بنات قيل عشرة وقيل ثمان فلو سبقت إليه وأكرمته رجوناً أن يكون لك منه خير، فبادر المحلق إليه وأنزله ونَحَرَ له وسقاه، ثم شكا إليه حاله وحال بناته فقال له: ستكفى أمرهن، فلما أصبح غدا إلى سوق عكاظ فقام وأنشد قصيدته التي يقول فيها:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق
وما بي من داء وما بي معشقُ
ولكن أُراني لا أزال بحادث
أغَادي بما لم يُمْس عندي وأطرقُ
فكم امرأ أسْرى إليك ودونه
سُهوبٌ وموماة وبيداء سملقُ
لمحقوقة أن تستجيبي لصوته
وأن تعلمي أن المُعانَ موفقُ

إلى إن قال:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نار في يفاع تحرقُ
تُشبُّ لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلَّقُ
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا
بأسحم داجٍ عَوْضُ لا نتفرقُ
ترى الجود يسري سائلا فوق وجهه
كما زان متن الهندواني رونقُ
نفي الذم عن آل المحلق جفنه
كجابية الشيخ العراقي تدفقُ
ترى القوم فيها شارعين وبينهم
شيوخٌ وولدانٌ من الحي دردقُ

إلى أن قال:

أبا مسمع سار الذي قد فعلتمُ
فأنجد أقوام بذاك وأعرقوا
وإن عتاق العيس سوف يزوركم
ثناء على أعجازهنَّ مُعَلَّقُ
به تنقضُ الأحلاس في كل منزل
وتعقدُ أطراف الحبال ويطلقُ
يداك يدا صدْق فكفٌّ مبيرَة
وكَفٌّ إذا ما ضُنَّ بالمال تُنفقُ
كذلك فافعَلْ ما حييت إذا شَتَوْا
وأقْدِمْ إذا ما أعْيُنُ الناس تفَرقُ

الخ...

فلم يفرغ من إنشـــادها حتى تسارع الأشراف يخطبونه بناته، فما باتت واحدة منهن إلا في عصمة رجل أفضل من أبيها بكثير، وفي قصته روايات غير هذا، والله ـ تعالى ـ أعلم.

* * *

ذكر بني العجلان وحط الهجاء لهم

وبنو العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، لقب أبوهم بالعجلان لتعجيله القرى للضيوف فيما قيل فكانوا يفتخرون بهذه النسبة ويتبجحون بها حتى هاجاهم النجاشي الشاعر واسمه قيس بن عمرو الحارثي أحد بني الحارث بن كعب فقال:

إذا الله عادي أهل لؤم ودقة
فعادى بني العجلان رهط ابن مقبلِ
قُبَيِّلَةٌ لَّا يخفرون بذمَّة
ولَا يظلمون الناسَ حبَّة خَردَلِ
ولا يردون الماء إلا عشية
إذا صدر الورادُ عن كل مَنْهَلِ
تَعَافُ الكلابُ الضاريات لحومهم
وتأكل من كعب بن عوف ونَهْشل
وما سمي العجلان إلا لقولهم
خُذِ القَعْبَ واجْلُبْ أيها العْبدُ واعْجَلِ

قد ذكر الرواة أن بني العجلان اتضعوا بهذا الشعر بعد رفعتهم وذلوا بعد عزتهم حتى صاروا يفرون من الانتساب إلي العجلان وجعل أحدهم إذا سئل عن نسبه يقول كعبي مخافة أن يُسْخر منه.

وقد اشتكوا النجاشي إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

وقالـــوا: إنه هجانا، فقال: ماذا قال لكم، فأنشـــدوا البيت الأول، فقال: لقد دعا عليكم ولعله لا يستجاب له، فأنشدوه البيت الثاني، فقال عمر: ليتني من هؤلاء، فأنشدوه البيت الثالث، فقال: فذلك أصفى للماء وأقل للركاب، فأنشـــدوه البيـــت الرابع، فقال عمر: كفى ضياعاً بمن تأكل الكلاب لحمه، فأنشـــدوه البيت الأخير، فقال عمـــر: كلنا عبد وخير القوم خادمهـــم، فقالوا: بل يا أمير المؤمنين إنه هجانا، فقال: ما أسمع هجوا، فقالوا: سل حسان، فلما سأله قال: إنه ســـلح عليهم، فســـجنه عمر ـ رضي الله عنه ـ وقيل بل جلده، والله ـ تعالى ـ أعلم.

❊ ❊ ❊

قوم عاد يستسقون بمكة

لما كذَّبت عادٌ هوداً ـ عليه السلام ـ توالت عليهم ثلاث سنوات، لم يرَوْا فيها مطراً، فبعثوا من قومهم وفداً إلى مكة؛ ليستسقوا لهم، ورَأسُوا[1] عليهم قَيْلَ بن عُنُق ولُقَيْمَ بن هَزَّال، ولقمان بن عاد، وكان أهل مكة إذ ذاك العماليق، وكان سيِّدَهم بمكة معاوية بن بكر.

فلما قدموا نزلوا عليه؛ لأنهم كانوا أخواله وأصهاره؛ فأقاموا عنده شهراً، وكان يكرمُهم، والجرَادَتَان[2] تُغنيانهم؛ فنسُوا قومَهم؛ فقال معاوية: هلك أخوالي، ولو قلت لهؤلاء شيئاً ظنوا بي بخلاً، فقال شعراً، وألقاه إلى الجرَادتين، فأنشدتاه، وهو:

ألا ياقَيْل[3] وَيْحَك قم فَهَيْنِم[4]
لعلَّ الله يبعثُها غَمَاما!
فيسقي أرض عاد؛ إنّ عاداً
قدَ امْسَوْا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو
به الشيخَ الكبير ولا الغلاما

---

(١) رأسوه: جعلوه رئيساً.

(٢) الجرادتان: مغنيتان لمعاوية المذكور، كانتا بمكة.

(٣) قيل: هو رئيسهم من عاد.

(٤) الهينمة: الصوت الخفي، والمراد الدعاء.

وقد كانت نساؤهم بخير
فقد أمست نساؤهم أيامى[١]
وإنَّ الوحشَ يأتيهم جهاراً
ولا يخشى لعاديّ سهَاما
وأنتم ها هنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم الْتماما[٢]
فقُبِّح وَفْدُكم من وفدِ قومٍ
ولا لُقُّوا التحيةً والسلاما

فلما غنَّتهم الجرادتان بهذا قال بعضُهم لبعض: يا قوم؛ إنما بعثكم قومُكم يتغوثون[٣] بكم!

فقاموا ليدعُوا، وتخلّف لقمان، وكانوا إذا دَعَوْا جاءهم نداء من السماء: أنْ سَلُوا ما شئتم، فتعطوْن ما سألتم! فدعَوْا ربهم، واستَسْقَوا لقومهم، فأنشأ الله ثلاث سَحابَات: بيضاء وحمراء وسوداء، ثم نادى مناد من السماد: يا قَيْلُ، اختر لقومك ولنفسك واحدةً من هذه السحائب!

فقال: أما البيضاء فَجفْل[٤]، وأما الحمراء فَعارض[٥]، وأما السوداء فهُطْل، وهي أكثر ماء، فاختارها!

---

(١) الأيامى: جمع الأيم: وهي من لا زوج لها.
(٢) الالتمام: النزول.
(٣) غوث الرجل واستغاث: صاح: واغوثاه.
(٤) الجفل: السحاب هراق ماؤه ومضى.
(٥) العارض: السحابة المعترضة في الأفق.

فنادى منُاد: قد اخترتَ لقومك رَمَاداً رِمْدِداً [١]، ولا تَذَر من عاد أحداً، لا والداً ولا ولداً!

وسـيّر الله السحابة التي اختارها إلى عاد، ونُودي لقمان: سَلْ، فسأل عُمْرَ ثلاثة[٢] أنسر، فأعطي ذلك!

وكان يأخذ فرخ النسـر من وَكْرِه، فلا يـزال عنده حتى يموت! وكان آخرُها لُبدَ، وهو الذي يقول فيه النابغة:

أضحتْ خَلاَءً وأضحى أهلُها احتَملوا
أخْنى عليها الذي أخْنى على لُبَدِ

❋ ❋ ❋

(١) الرمدد بالكسر: المتناهي في الدقة.

(٢) يقال سبعة.

مَكْرمة

جلس النعمانُ بن المنذر وعليــه حُلَّة مرصَّعةٌ بالدرّ، لم يُرَ مثلها قبل ذلك اليوم.

وأذن للعــرب في الدخول عليه، وكان فيهم أوس بن حارثة(١)، فجعلت العرب تنظر إلي الحَّلة، وكلٌّ منهم يقول لصاحبه: ما رأيت مثل هذه الحلة قط، ولا سمعت أن أحداً من الملوك قدَر على مثلها ـ وأوس بــن حارثة مطرق لاينظر إليها ـ فقال له النعمان: ما أرى كلَّ مَنْ دخل عليّ إلا استحسن هذه الحلة، وتحدَّث مع صاحبه في أمرها إلا أنت؛ ما رأيتك استحسنتها ولا نظرتها.

قال أوس: أســعد الله الملك! إنما تستحســن الحلة إذا كانت في يد التاجر، وأما إذا كانت على الملك، وأشــرق فيها وجهه فنظري مقصور عليه لا عليها! استرجح عقله.

فلما عزموا على الانصــراف قال لهم النعمان: اجتمعوا إليّ في غد فإني ملبسٌ هذه الحلة لسيد العرب منكم، فانصرف العرب عنه، وكلٌّ يزعم أنه لابس الحلة.

فلما أصبحوا تزينوا بأفخر الملابس، وتقلدوا بأحســن السيوف، وركبــوا أجود الخيل، حضروا إلى النعمــان؛ وتأخر عنه أوس بن

---

(١) أوس بن حارثة: من أجداد العرب في الجاهلية، بنوه بطن من بني مزيقياء، وهم إحدى قبيلتي الأوس والخزرج، أصلهم من اليمن، ونزلوا يثرب، وجاء الإسلام وهم بها.

حارثــة؛ فقال له أصحابه: مالك لا تغدو مــع الناس إلى مجلس الملك، فعلك تكون صاحب الحلة؟ فقال أوس: إن كنت سيد قومي فما أنا بســيد العرب عند نفسي، وإن حضرت ولم آخذها انصرفت منقوصاً، وإنا كنت المطلوب لها فسيُعرف مكاني، فأمسكوا عنه.

ونظر النعمان في وجوه القوم، فلم يَرَ أوس بن حارثة؛ فاستدعى بعض خاصته وقال: اذهب لتعرف خبر أوس، فمضى رسول النعمان، واستخبر بعض أصحابه؛ فأخبره بمقالته، فعاد إلى النعمان، فأخبره بذلك، فبعث النعمان إليه رســولاً، وقال: احضر آمناً، مما خفت عليه، فحضر أوس بثيابه التى حضر بها بالأمس، وكانت العرب قد استبشرت بتأخره خوفاً من أن يكون هو الآخذ للحلة.

فلما حضر وأخذ مجلسه، قال النعمان: إني لم أرك غيرت ثيابك في يومك؛ فالبس هذه الحلة لتتجمل بها، ثم خلعها وألبسه إياها، فاشتد ذلك على العرب وحسدوه؛ وقالوا: لا حيلة لنا فيها: إلا أن نرغب إلى الشعراء أن يهجوه بقبيح الفعل؛ فإنه لا يخفض رفعته إلا الشعر، فجمعوا فيما بينهم خمسمائة ناقة، وأتوا بها إلى رجل يقال له جَرْوَل[1]، وقالوا له: خذ هذه، واهج لنا أوس بن حارثة.

وكان جَرْوَل يؤمئذ أشــعر العرب وأقواهم هجاء، فقال لهم: يا قوم؛ كيف أهجو رجلاً حسيباً لا ينكر بيته، كريماً لا ينقطع عطاؤه، فيصلاً[2] لا يطعن على رأيه، شجاعاً لا يُضَام نزيله، محسناً لا أرى

---

(١) هو الحطيئة.

(٢) فيصل: حاكم.

في بيتي شيئاً إلا من فضله!

فسمع بذلك بشر بن أبي خازم ـ وكان شاعراً ـ فرغب في البذل؛ وأخذ الإبل وهجاه، وذكر أمه سعدى، فسمع أوس بذلك؛ فوجه في طلبه، فهرب وترك الإبل؛ فأتوا بها إلى أوس بن حارثة، فأخذها وشد في طلبه؛ وجعل بشر بن أبي خازم يطوف في أحياء العرب يلتمس عزيزاً يجيره على أوس، وكل من قصده يقول: قد أجرتك إلا من أوس بن حارثة، فإني لا أقدر أن أجير عليه وكان أوس قد بثَّ عليه العيون؛ فرآه بعض من كان يرصده، فقبض عليه، وأتى به إلى أوس، فلما مثل بين يديه قال له: ويلك! أتذكر أمي وليس في عصرنا مثلها؟

قال: لقد كان ذلك أيها الأمير؟ فقال: والله لأقتلنك قتلة تحيا بها سعدى ـ يعنى أمه ـ.

ثم دخل أوس إلى أمه سعدى، وقال: قد أتيتك بالشاعر الذى هجاك، وقد آليت لأقتلنة قتلة تحيين بها! قالت: يا بني؛ أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قالت: إنه لم يجد ناصراً منك، ولا مجيراً عليك، وإنا قوم لانرى في اضطناع المعروف من باس، فبحقي عليك إلا أطلقته، ورددت عليه إبله، وأعطيته من مالك مثل ذلك، ومن مالي مثله، وأرجعه إلى أهله سالماً؛ فإنهم أيسوا[١] منه!

فخرج له أوس، وقال: ما تقول أنسي فاعل بك؟ قال: تقتلني لا محالة! قال: أفتستحق ذلك؟ قال: نعم؟ قال: إن سعدى التي

(١) أيسوا: يئسوا.

هجوتها قد أشارت بكذا وكذا، وأمر بحل كتافه[١]، وقال له: انصرف إلى أهلك سالماً، وخذ ما أمرت لك به!

فرفع بشر يده إلى السماء وقال: اللهم أنت الشاهد عليَّ ألا أعود إلى شعر، إلا أن يكون مدحاً في أوس بن حارثة!

* * *

(١) الكتاف: هو حبل يشد به.

اختبار الأجواد

تمارى ثلاثة في أجواد الإسلام، فقال رجل: أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقال آخر: أسخى الناس عرابة[١] الأوسي. وقال ثالث: بل قيس بن سعد[٢] بن عبادة، وأكثروا الجدال في ذلك، وعلا ضجيجهم وهم بفناء الكعبة.

فقال لهم رجل: قد أكثرتم الجدال في ذلك، فما عليكم أن يمضي كلُّ واحد منكم إلى صاحبه يسأله، حتى ننظر ما يعطيه، ونحكم على العيان؟

فقام صاحب عبد الله إليه، فصادفه قد وضع رجله في غَرْز[٣] ناقته يريد ضيعة له، فقال: يا بن عم رسول الله! قال: قل ما تشاء، قال: أنا ابن سبيل ومنقطع به، فأخرج رجله من غَرْز الناقة، وقال له: ضع رجلك، واستو على الراحلة؛ وخذ ما في الحقيبة، واحتفظ بالسيف، فإنه من سيوف عليٍّ بن أبي طالب.

فجاد بالناقة، والحقيبة فيها مطارف[٤] خَزّ، وأربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف.

---

(١) عرابة الأوسي: من سادات المدينة المشهورين، أدرك حياة النبي ﷺ وأسلم صغيراً، وتوفي بالمدينة سنة ٦٠هـ.

(٢) كان من دهاه العرب وذوي الرأي الصائب، وكان شريف قومه غير مدافع، وعاش إلى أيام معاوية، ومات سنة ٥٨هـ.

(٣) الغرز: ركاب الرجل.

(٤) المطرف من الثياب: ما جعل في طرفه علمان.

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة، فصادفه نائماً، فقالت الجارية: هو نائم، فما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، قالت: حاجتك أهون من إيقاظه! هذا كيس فيه سبعمائة دينار، والله يعلم أن ما في دار قيس غيره، خذه، وامض إلى مَعَاطِن[١] الإبل إلى أموال[٢] لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحله، وما يصلحها، وعبداً، وامض لشأنك.

ولما انتبه قيس من رَقْدَتِه أخبرته بما صنعت فأعتقها.

ومضى صاحب عرابة الأوسي إليه؛ فألفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشي على عبدين، وقد كف بصره، فقال: يا عرابة، ابن سبيل ومنقطع به، فخلى العبدين، وصفق بيمناه على يسراه، وقال: أوّاه! أوّاه! ما تركت الحقوق لعرابة مالاً، ولكن خذهما ـ يعني العبدين ـ قال: ما كنت بالذي أقصُّ جناحيك. قال: إن لم تأخذهما فهما حرَّان، فإن شئت تأخذ، وإن شئت تعتق، وأقبل يلتمس الحائط، راجعاً إلى منزله.

فأخذهما صاحبه، وجاء بهما إلى رفاقه؛ فقالوا: إن هؤلاد الثلاثة أجود عصرهم، إلا أن عرابة[٣] أكثرهم جوداً لأنه أعطى جهده.

---

(١) المعاطن: جمع معطن، وهو مبرك الإبل.

(٢) أموال: تريد الإبل، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل، لأنها كانت أكثر أموالهم.

(٣) وفي عرابة الأوسي يقول الشماخ:

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ماراية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمـ

إياس في مجلس القضاء

استودع رجلٌ رجلاً آخر مالاً؛ ثم طالبه به فجحده[1]، فخاصمه إلى إياس بن معاوية القاضي، وقال: دفعت إليه مالاً في مكان كذا وكذا، قال: فأيّ شيء كان في ذلك الموضع؟ قال: شجرة.

قال: فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى تلك الشجرة، فلعل الله يوضح لك هناك ما تبيِّن به حقك، أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة، فنسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة.

فمضى وقال إياس للمطلوب منه: اجلس حتى يرجع صاحبك؛ فجلس وإياس يقضي وينظر إليه بين كل ساعة. ثم قال: ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟ قال: لا! فقال: يا عدوَّ الله؛ أنت الخائن، قال: أقلني، أقالك الله، فأمر بحفظه حتى جاء خصمه، فقال له: خذ منه بحقك فقد أقرَّ.

* * *

(١) الجحود: الإنكار مع العلم.

من ذكاء إياس

استودع رجلٌ أمينَ إياس مالاً، وخرج المودع إلى الحجاز، فلما رجع طلبه فجحده، فأتى إياساً فأخبره، فقال له إياس: أعلمته أنك أتيتني؟ قال: لا، قال: أفنازعته عند غيري؟ قال: لا، قال: فانصرف، واكتم سرك، ثم عد إليَّ بعد يومين.

فمضى الرجل ودعا إياس أمينه، فقال: قد حضر عندنا مال كثير، أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؛ قال: نعم، قال: فأعد موضعاً للمال، وقوماً يحملونه.

وعاد الرجل إلى إياس: فقال: انطلق إلى صاحبك، فإن أعطاك المال فذاك وإن جحد فقل له: إني أخبر القاضي بالقصة.

فأتى الرجل صاحبه، فقال: تعطيني الوديعة أو أشكوك إلى القاضي، وأخبره بالحال، فدفع إليه المال، فرجع الرجل، وأخبر إياساً.

ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به، فزجره، وقال له: لا تقربني بعد هذا يا خائن.

* * *

شب عَمْرو عن الطَّوْق

كان جذيمة[١] الأبرش ملك الحيرة قد جمع غلماناً من أبناء الملوك يخدمونه؛ منهم عديٌّ بن نصر بن ربيعة اللخمي، وكان له حظ من الجمال؛ فقالت له رقاش أخت جذيمة: إذا سقيت الملك فسكر فاخطبني إليه؛ فسقى عدي جذيمة ليلة، وألطف له في الخدمة، ولما أسرعت الخمر فيه، قال له: سلني ما أحببت، فقال: أسألك أن تزوجني رقاش أختك، قال: ما بها عنك رغبة، قد فعلت!

فدخل بها، وأصبح في ثياب جدد وطيب، فلما رآه جذيمة قال: يا عدي؛ ما هذا الذي أرى؟ قال: زوجتني أختك رقاش البارحة، قال: ما فعلت! ثم وضع يده في التراب، وجعل يضربها وجهه ورأسه، وأقبل على رقاش فقال:

حدثيني وأنت غيرُ كذوب
أبحُرّ زَنَيْت أم بهجين
أم بعَبْد وأنت أهلٌ لعبد
أم بدون وأنت أهلٌ لدون

فأجابته رقاش:

---

(١) جذيمة الأبرش ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق، عاش في الجاهلية عمراً طويلاً، وكان يقال له الوضاح والأبرش لبرص فيه، وهو الذي جاء إلى الزباء فقتلته بثأر أبيها.

أنتَ زوّجتني وما كنت أدري
وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شُرْبك المُدَامة صِرْفاً[١]
وتماديك في الصِّبا والمجُون[٢]

فأطرق جذيمة، فلما رآه عدي قد فعل ذلك خافه على نفسه فهرب منه، ولحق بقومه وبلاده، فمات هناك ثم ولدت رقاش غلاماً، فسماه جذيمة عمراً وتبناه، وأحبه حباً شديداً ـ وكان جذيمة لا يولد له ـ.

فلما بلغ الغلام ثماني سنين كان يخرج في عدة من خدم الملك يجتنون له الكمأه، فكانوا إذا وجدوا كمأه خياراً أكلوها وراحو بالباقي إلى الملك، وكان عمرو لا يأكل مما يجني، ويأتي به جذيمة فيضعه بين يديه، ويقول:

هذا جَنَاي وخِيارُه فيه
إذْ كلُّ جان يدُهُ إلى فيه

ثم إنه خرج يوماً وعليه ثياب وحلي، فاستطير وفقد زماناً، وضرب في الآفاق فلم يوجد، وأتى على ذلك ما شاء الله.

ثم وجده مالك وعقيل ابنا فارج، وهما رجلان كانا متوجهين إلى الملك بهدايا وتحف، فبينما هما بواد في السماوة انتهى إليهما عمرو بن عدي، وقد عَفَتْ[٣] أظفاره وشعره، فقالا له: من أنت؟ قال:

---

(١) صرف: غير ممزوج.
(٢) المجون: الهزل.
(٣) عفا الشعر وغيره: كثر.

ابن التنوخية؛ فلهيا عنه، وقالا لجارية معهما: أطعمينا فأطعمتهما؛ فأشار عمرو إلى الجارية أن أطعميني فأطعمته، ثم سقتهما، فقال عمرو: اسقيني، فقالت الجارية: لا تُطعم العبدَ الكراع فيطمع في الذراع(١).

ثم إنهما حملاه إلى جذيمة فعرفه، ونظر إلى فتى ما شاء من فتى! فضمه وقبله وقال لهما: حكمتكما، فسألاه منادمته، فلم يزالا نديميه حتى فرق الموت بينهم؛ وبعث عمراً إلى أمه، فأدخلته الحمام وألبسته ثيابه، وطوقته طوقاً كان له من ذهب، فلما رآه جذيمة قال: شب عمرو عن الطوق(٢).

* * *

(١) الكراع في البقر والغنم كالوظيف في الفرس والبعير وهو مستدق الساق، والذراع أفضل من الكراع لأنه في اليد، والكراع في الرجل.
(٢) ذهبت مثلاً، يضرب للابس ما هو دونه.

يَحْمي الصحاب إذا تكونُ كريهة

تزوج أبو كبير[١] الهذلي أمَّ تأبَّط شراً[٢] ـ وكان غلاماً صغيراً ـ فتنكر له، وعرف ذلك أبو كبير في وجهه إلى أن ترعرع الغلام، فقال أبو كبير لزوجه: ويحك، قد والله رابني أمر هذا الغلام، ولا آمنه، قالت: فاحتل عليه حتى تقتله.

فقال له ذات يوم: هل لك أن تغزو؟ فقال: ذاك من أمري، قال: فامض بنا، فخرجا غازيين ولا زاد معهما، فسارا ليلتهما ويومهما من الغد، حتى ظنَّ أبو كبير أن الغلام قد جاع، فلما أمسى قصد به أبو كبير قوماً كانوا له أعداء، فلما رأيا نارهم من بعد قال له أبو كبير: ويحك، قد جعنا! فلو ذهبت إلى تلك النار فالتمست لنا منها شيئاً!

فمضى تأبَّط شرا، فوجد على النار رجلين من ألصِّ من يكون من العرب ـ وإنما أرسله إليهما أبو كبير ليقتلاه ـ فلما رأياه قد غشي نارهما وثبا عليه، فرمى أحدهما وكر على الآخر فرماه، فقتلهما، ثم جاء إلى نارهما فأخذ الخبز منها، فجاء به إلى أبي كبير، فقال له: كل، لا أشبع الله بطنك! ولم يأكل هو، فقال: ويحك! أخبرني عن قصتك، فأخبره فازداد خوفاً منه.

(١) أبو كبير الهذلي: اسمه عامر بن الحليس.

(٢) هو ثابت بن جابر، كان أسمع العرب وأبصرهم وأكيدهم، وكان أعدى رجل؛ ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها، ثم يعدو خلفه فلا يفوته. وأخباره في هذا الباب كثيرة، توفي نحو سنة ٨٠ ق.هـ.

ثم مضيا في ليلتهما فأصابا إبلاً، وكان يقول له أبو كبير ثلاث ليال: اخترْ أيَّ نصفي الليل شئت تحرس فيه وأنام، وتنام النصف الآخر، فقال: ذلك إليك، اختر أيهما شئت، فكان أبو كبير ينام إلى نصف الليل ويحرسه تأبط شراً، فإذا نام تأبط شراً نام أبو كبير أيضاً لا يحرس شيئاً حتى استوفى الثلاث.

فلما كان في الليلة الرابعة ظنَّ أن النعاس قد غلب على الغلام، فقام أول الليل إلى نصفه، وحرسه تأبط شراً، فلما نام الغلام قال أبو كبير: الآن يستثقل نوماً وتمكنني فيه الفرصة؛ فلما ظن أنه استثقل أخذ حصبة صغيرة فحذف[1] بها؛ فقام كقيامه الأول، فقال: ما هذا الذي أسمع؟ قال: والله ما أدري لعل بعض الإبل تتحرك؛ فقام وطاف فلم ير شيئاً، فعاد فنام، فأخذ حصاة أصغر من تلك، فرمى بها فوثب، فطاف ورجع إليه، فقال: يا هذا؛ إني قد أنكرت أمرك؛ والله لئن عدت أسمع شيئاً من هذا لأقتلنك! قال أبو كبير: فبت والله أحرسه خوفاً أن يتحرك شيء من الإبل فيقتلني!

فلما رجعا إلى حيِّهما قال أبو كبير:

ولقد سريت على الظلام بمِغْشَمٍ
جَلْدٍ من الفتيان غير مثقل[2]

(١) حذف بها: رمى.

(٢) المغشم: الذي لا يثنيه شيء، والجلد: القوى، وغير مثقل: أي حسن القبول محبب إلى القلوب.

مَّن حملْن به وهنَّ عواقدٌ
حُبُكَ النِّطَاقِ فشبَّ غير مُهبَّل[1]
حملت به في ليلة مزءودة[2]
كرهاً وعقد نطاقها لم يُحلَلِ
فأتَتْ به حوشَ الفؤاد مُبطناً
سُهُداً إذا ما نام ليلُ الهوْجل[3]
وإذا نبذت له الحصاة رأيته
ينزو لوقعتها طمورَ الأخيل[4]
وإذا يهُبُّ من المنام رأيتَه
كرتُوب كَعب الساق ليس بزُمَّل[5]

---

(١) الضمير للنساء، وإن لم يجر لهن ذكر، وضَمَّن حملن معنى علقن فتعدى بالباء، وعواقد جمع عاقدة، والحبك جمع حباك: وهو ما يشد به النطاق. والنطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة، والأسفل ينجر على الأرض. والمهبل الذي يدعى عليه بقولهم: هبلته أمه، أي: ثكلته، أو الكثير اللحم، والمعنى أن هذا الغلام حملت به أمه وهي متعبة من الخدمة فنشأ محموداً مرضياً، ولم يدع عليه بالثكل والهبل، وهذا في زعم العرب.

(٢) مزءودة: مروعة، والعرب تزعم أن المرأة تنجب إذا حملت مغضبة.

(٣) حوش الفؤاد: ذكي كيس، والمبطن: الخميص البطن. والسهد: قليل النوم، والهوجل: الثقيل الكسلان، والأهوج.

(٤) ينزو: يقفز، والطمور: الوثب، والأخيل: الشاهين، وهو من الطيور الجارحة.

(٥) رأيته: أي: رأيت رتوبة، ورتوب الكعب انتصابه، والزمل: الضعيف. والمعنى: أنه إذا استيقظ من منامه انتصب انتصاب كعب الساق.

ما إنْ يمسُّ الأرضَ إلا منكبٌ
منه وحرفُ السَّاق طيّ المحمل[١]
وإذا رميتَ به الفِجَاجَ رأيته
يَهْوِي مخارِمها هويَّ الأجدَل[٢]
وإذا نظرت إلى أسِرَّة وَجهِه
بَرَقَتْ كبرق العارض المتهلل[٣]
يحمي الصحاب إذا تكون كريهة
وإذا هُمُ نزلوا فمأوى العيَّل[٤]

* * *

(١) يقول: إنه مدمج الخلق إذا اضطجع لا ينبسط على الأرض ولا يتمكن منها بأعضائه كلها وإنما يمس الأرض بمنكبه، فهو في ذلك مثل حمالة السيف حين تطوى.

(٢) الفجاج: جمع فج وهو الطريق الواسع في الجبل أو غيره. الهوى: القصد إلى أسفل، والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل. والأجدل: الصقر، وهذا الكلام كناية عن كونه صاحب همة إذا نيطت به الصعاب ذللها.

(٣) الأسرة: الخطوط التي في الجبهة، يقول: إذا نظرت في وجهه رأيت أسارير وجهه تشرق إشراق السحاب المتشقق بالبرق. يصفه بحسن البشر وطلاقة الوجه.

(٤) العيل: جمع عائل وهو الفقير، يصفه بأنه شجاع كريم.

تَنَصرَّتِ الأشراف من عارِ لَطْمَةٍ

رُوي أن جَبَلَـــة[١] بن الأيهم بن أبي شـــمر الغســـاني لما أراد أن يســـلم، كتب إلى عمر بن الخطاب من الشام يعلمه بذلك ويستأذنه في القدوم عليه، فَسُرّ بذلك عمر والمسلمون، فكتب إليه: أن اقدم ولك ما لنا وعليك وما علينا.

فخرج جَبَلَة في خمســـمائة فارس من عك وجفنه؛ فلما دنا من المدينة ألبَســـهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة، ولبس يومئذ جبلة تاجه وفيه قرط مارية ـ وهي جدَّته ـ ودخل المدينة فلم يبق بها أحدٌ إلا خرج ينظر إليه حتى النساء والصِّبيان، فلما انتهى إلى عمر رحَّب به وأدنى مجلسه! ثم أراد الحج، فخرج معه جَبَلة.

فبينـــا هو يطوف بالبيـــت إذا وطى على إزاره رجل من بني فزارة فحلّه، فالتفت إليه جَبَلة مغضباً، فلطمه فهشم أنفه، فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطـــاب؛ فبعث إليه فقال: ما دعاك يا جَبَلة إلى أن لَطمت أخاك هذا الفَزاري فهشـــمت أنفهَ! فقال: إنه وَطِئَ إزاري فحلّه؟ ولولا حُرْمة البيت لضربت الذي فيه عيناه[٢].

(١) جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساســـنة في بادية الشـــام. عاش زمناً في العصر الجاهلي، ولما ظهر الإســـلام أسلم في أيام عمر، ثم ارتد وعاد إلى الشام ومنها إلى القسطنطينية حيث أقام عند هرقل إلى أن توفي سنة ٣٠هـ.

(٢) يريد رأسه.

فقال له عمر: أما أنت فقد أقررت؛ فإما أن ترضيه، وإلا أقدْته منك. قال: أتُقيده مني وأنا ملك وهو سُوقة!!

فقال عمر: يا جَبَلة: إنه قد جمعك وإياه الإسلام، فما تفضله بشيء إلا بالتقوى والعافية، قال جبلة: والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية. فقال عمر: دَعْ عنك هذا، فإنك إن لم ترض الرجل أَقَدْتُه منك، قال جبلة: إذا أتنصر، قال: إن تنصرت ضربت عنقك. واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنة. فقال جبلة: أخِّرني إلى غد يا أمير المؤمنين. قال: ذلك لك.

ولما كان جُنْح الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة وسار حتى دخل القسطنطينية على هرقل فتنصر، وأقام عنده؛ وأعظم هرقل قدوم جبلة وسرَّ بذلك، وأقطعه الأموال والأرضين والرباع[1]، وجعل من محدثيه وسماره.

فلما بعث عمر بن الخطاب رسولاً[2] إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، وأجابه إلى المصالحة على غير الإسلام، أراد أن يكتب جواب عمر، وقال الرسول: ألقيت ابن عمك هذا الذي ببلدنا ـ يعني جبلة ـ الذي أتانا راغباً في ديننا؟ قال: ما لقيته، قال: القه، ثم ائتني أعطك جواب كتابك.

وذهب الرسول إلى باب جبلة، فإذا عليه من القهارمة والحجَّاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل. قال الرسول: فلم

(١) الرباع جمع ربع: الدار.

(٢) هو جثامة بن ماحق الكناني.

أزل أتلطف في الإذن حتى أذن لي، فدخلت عليه، فرأيت رجلاً أصْهَب[١] اللحية ذا سبال[٢]، وكان عهدي به أسمر أسود اللحية والرأس، فنظرت إليه فأنكرته، فإذا هو قد أتى بسحالة[٣] الذهب، فذرها في لحيته حتى عاد أصهب، وهو قاعد على سرير من قوارير[٤]، قوائمة أربعة أسود من ذهب.

فلما عرفني رفعني معه في السرير، ورحب بي، ولامني على تركي النزول عنده، ثم جعل يسائلني عن المسلمين، فذكرت خيراً وقلت: قد أضعفوا[٥] أضعافاً على ما تعرف؛ فقال: كيف تركت عمر بن الخطاب؟ قلت: بخير، فرأيت الغمَّ قد تبين فيه، لما ذكر له من سلامة عمر. ثم انحدرت عن السرير، فقال: لِمَ تأبى الكرامة التي أكرمناك بها! قلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا. قال: نعم؛ ﷺ، ولكن نقِّ قلبك من الدَّنس ولا تبال علام قعدت. فلما سمعته يقول: ﷺ طَمِعتُ فيه، فقلت له: ويحك! يا جبلة، ألا تسلم وقد عرفت الإسلام وفضله، قال: أبَعْدَ ما كان مني؟ قلت: نعم: قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت: ارتدَّ عن الإسلام، وضرب وجوه المسلمين بالسيف، ثم رجع إلى الإسلام، وقبل ذلك منه، وخلَّفته بالمدينة مسلماً، قال: ذرني من هذا، إن كنت تضمن

(١) الصهبة: حمرة يعلوها سواد.
(٢) السبال: جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر.
(٣) السحالة: ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما إذا بردا.
(٤) القوارير: شجر تعمل منه الرحال والموائد، والقوارير من الزجاج أيضاً.
(٥) أضعف الشيء: زيد على أصله فيجعل مثلين أو أكثر.

لي أن يزوجني عمر ابنته، ويوليني الإمرة بعد رجعت إلى الإسلام. قال: ضمنت لك التزويج، ولم أضمن لك الإمرة. قال: لا.

فأومأ إلى خادم بين يديه، فذهب مسرعاً. فإذا خدم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام، فوضعت ونصبت موائد الذهب وصِحَاف الفضة، وقال لي: كُلْ فقبضت يدي، وقلت: إنّ رسول الله ﷺ نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة، فقال: نعم، ﷺ ولكن نَقِّ قلبك وكُلْ فيما أحببت. وأكل في الذهب والفضة، وأكلت في الخليج[1].

فلما رفع الطعام جئ بطساس[2] الفضة وأباريق الذهب، وأوما إلى خادم بين يديه، فمر مسرعاً، فسمعت حِسّاً، فالتفتُّ، فإذا خدم معهن الكراسي مرصَّعة بالجواهر، فوضعت عشرة عن يمينه، وعشرة عن يساره، ثم سمعت حِسّاً، فإذا عشر جوار قد أقبلن مطْمُومات[3] الشعر متكسرات في الحلى، عليهن ثياب الدَّيباج، فلم أرَ وجوهاً قط أحسن منهن، فأقعدهن على الكراسي عن يساره، ثم سمعت حسّاً، فإذا جارية كأنها الشمس حسناً وعلى رأسها تاج، وعلى ذلك التاج طائر لم أرَ أحسن منه، وفي يدها اليمني جَامَةٌ[4] فيها مسك وعنبر، وفي يدها اليسرى جَامة فيها

(١) الخليج: الجفنة.

(٢) الطساس جمع الطس: وهو الطست.

(٣) طمت شعرها: عقصته وهو مطموم، والعقص أن تأخذ المرأة كل خصلة من شعرها فتلويها، ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها.

(٤) إناء من فضة.

مـاء ورد، فأومأتْ إلى الطائر، فوقع في جَامَةِ ماء الورد فاضطرب فيه، ثم أومأت إليه فطار حتى نزل على صليب في تاج جبلة، فلم يزل يُرَفرف حتى نفض ما في ريشة عليه؛ وضحك جبلة من شدة السرور، حتى بدت أنيابه، ثم التفت إلى الجواري التي عن يمينه، فقال: بالله أطربنني؛ فاندفعن يتغنّين يحققن بعيدانهن ويَقُلْن[1]:

لله درُّ عِصَابةٍ نادَمْتُهم
يوماً بجِلَّقَ[2] في الزمان الأوَّل
يَسْقُون مَنْ وَرَدَ البريص عليهمُ
بَرَدَى يُصَفّق بالرحيق السَّلْسَل[3]
أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبر أبيهمُ
قبر ابن مارية الكريم المُفْضِل
يُغْشَوْن حتى ما تهرُّ كلابهم[4]
لا يَسألون عن السواد المقبل
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهُم
شمُّ الأنوف مِنَ الطّراز الأوّل

فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: أتدري من قائل هذا؟ قلت: لا، قال: قائله حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، ثم التفت إلى الجواري اللاتي عن يساره، فقال: بالله أبكيننا، فانْدَفَعْنَ

---

(١) الشعر لحسان بن ثابت.

(٢) جلق: دمشق.

(٣) البريص: نهر بدمشق. وبردى: نهر بدمشق أيضاً. وتصفيق الشراب: مزجة، الرحيق: الخمر. سلسل: لين.

(٤) تهر كلابهم: هرير الكلب: صوته دون النباح.

يتغنين، وهنّ يخفقن بعيدانهن.

فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على خدَّية، ثم قال: أتدري من قائل هذا الذي تغنين به؟ قلت: لا أدري، قال: حسان بن ثابت ثم أنشأ يقول:

تنصرت الأشراف من عار لَطْمَة
وما كانَ فيها ـ لو صبرت لها ـ ضَرَرْ
تكنَّفَنِي منها لَجَاجٌ ونَخْوَةٌ
وبِعْتُ لها العينَ الصحيحَة بالعَوَرْ
فياليت أمِّي لم تلدني وليتني
رجَعتُ إلى الأمر الذي قال لي عُمَرْ
وياليتني أرْعَى المَخَاضِ[1] بِقَفْرَة
وكنتُ أسيراً في ربيعة أو مُضَرْ
وياليتَ لي بالشام أدنَى معيشة
أجالسُ قَوْمي ذاهبَ السمع والبَصَرْ

ثم سألني عن حسان: أحيٌّ هو؟ قلت: نعم، تركته حيّاً. فأمر لي بكسوة ومال، ونوق مُوقرة بُرّاً، ثم قال لي: إن وجدته حياً فادفع إليه الهدية، وأقرئه سلامي، وإن وجدته ميتاً فادفعها إلى أهله.

فلما قدمت على عمر وأخبرته خبر جبلة، وما دعوته إليه من الإسلام، والشرط الذي شرطه، وأني ضمنت له التزويج، ولم أضمن له الإمرة، قال: هلا ضمنت له الإمرة؟ فإذا أفاء الله به

(١) المخاض: نوق مخاض: حوامل.

الإسلام قضى عليه بحكمه ـ عز وجل ـ.

ثم ذكرت له الهدية التي أهداها إلى حسان بن ثابت. فبعث إليه، وقد كف بصره فأتي به، وقائده يقوده. فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين؛ إني لأجد رياح آل جفنة عندك. قال: نعم؛ هذا رجل أقبل من عند جبلة، قال: هات يابن أخي؛ إنه كريم من كرام مدحتهم في الجاهلية، فحلف أن لا يبقى أحد يعرفني إلا أهدى إليّ معه شيئاً. فدفعت إليه الهدية؛ وانصرف يقول:

إنّ ابن جَفنة من بقيّة مَعْشَرٍ
لم يغذُهم آباؤهم باللؤم
لم يَنسَني بالشام إذا هو ربُّها
مَلِكاً ولا مُتَنَصراً بالرُّومِ
يُعْطِي الجزيل ولا يراه عنده
إلا كبعض عَطيَّة المذموم

فقال له رجل كان في مجلس عمر: أتذكر ملوكاً كفرة أبادهم اللهَ وأفناهم؟ قال: ممن الرجل؟ قال: مزني. قال: والله لولا سوابق قومك مع رسول الله ﷺ لطوّقْتُكَ طَوْق الحمامة.

قال: ثم جهزني عمر إلى قيصر، وأمرني أن أضمن لجبلة ما اشترط به، فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته، فعلمتُ أن الشَّقاء غلب عليه في أمِّ الكتاب.

يبيع اسمه

لقي تأبط شــراً رجلاً من ثقيف يقــال له أبو وهب، وكان جباناً أهوج[1]، وعليه حلة جيدة، فقال أبو وهب لتأبط شــراً: بم تغلب الرجال يا ثابت وأنت ـ كما أرى ـ دميمٌ ضئيل؟ قال: باسمي، إنما أقول ســاعة ما ألقى الرجل: أنا تأبط شــراً، فيُخْلَع قلبه حتى أنال منه ما أردت.

فقال له الثقفي: أقــط[2]؟ قال: قط، قال: فهك لك أن تبيعني اســمك؟ قال: نعم، قال: فبم تَبْتَاعُه؟ قال: بهذه الحلَّة وبكنيتي. قال له: أفعل. ففعل، وقال تأبط شــراً: لك اســمي ولي كنيتك، وأخذ حلته، وأعطاه طمريه [3]، ثم انصرف.

وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفي:

ألا هَـــلْ أتـــى الحـســنـاء أن حـلـيـلـهـا
تــأبــط شــــرّاً واكــتــنـيــت أبـــا وَهْـــبِ
فــهـبْــه تــســمــى اسـمــي وسُــمـيـت بـاسـمـه
فــأيْــن لــه صَـبْــري عَــلَـى مُـعْـظَـم الخـطـب!
وأيـــن لـــه بـــأسٌ كـبَـأسـي وســورتـي
وأيـــن لـــه فـــي كـــل فـــادحـــة قـلـبـي!

---

(١) الهوج: الطول في حمق وطيش وتسرع.

(٢) أقط: أحسب.

(٣) الطمر: الكساء البالي.

قصة قبيلة جُرهم

جاء سيلٌ فدخل البيت الحرام فانهدم، فأعادته جرْهم على بناء إبراهيم، ثم استخفت جرْهم بحق البيت، وارتكبوا فيه أموراً عظاماً، وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة، وكانت للبيت بئر في بطنه، يلقى فيها المتاع الذي يُهدى له، وهو يومئذ لا سقف عليه، فتواعد خمسة من جُرهم أن يسرقوا كلَّ ما فيه، فقام على كل زاوية من البيت رجلٌ منهم، واقتحم الخامس، فجعل الله ـ عز وجل ـ أعلاه أسفله، وسقط منكَّساً فهلك، وفرّ الأربعة الآخرون.

فلما كثر بغي جُرْهم بمكة قام فيهم مُضاض بن عمر فقال: يا قوم؛ احذروا البغي فإنه لا بقاء لأهله، وقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم، ولم يعظموه، وتنازعوا بينهم، واختلفوا حتى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم، فتفرقوا في البلاد، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله، ولا تظلموا من دخله، وجاءه معظماً لحرماته، أو خائفاً ورغب في جواره، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوفتُ أن تخرجوا منه خروج ذل وصغار، حتى لا يقدر أحدٌ منكم أن يصل الحرم، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرز وأمن، والطير تأمن فيه.

فقال قائل منهم: ومن الذي يخرجنا منه؟ ألسنا أعز العرب وأكثر مالاً وسلاحاً! فقال مضاض: إذا جاء الأمر بطل ما تذكرون، فقد

رأيتم ما صنع الله بالعماليق، بغت في الحرم فسلط الله عليهم الذَّرَّ[١] فأخرجهم منه، ثم رموا بالجدب من خلفهم حتى ردهم الله إلى مساقط رءوسهم. ثم أرسل عليهم الطوفان.

فلما رأى مضاض بن عمرو بغيهم ومقامهم عليه عمد إلى كنوز الكعبة وهي غزالان من ذهب، وأسياف قَلَعيّة[٢] فحفر لها ليلاً في موضع زمزم ودفنها.

فبيناهم على ذلك إذ سارت القبائل من أهل مأرب، وعليهم مزيقياء، وهو عمرو بن عامر، فلما انتهوا إلى مكة وأهلها أرسل إليهم ابنه ثعلبه فقال لهم: يا قوم؛ إنا قد خرجنا من بلادنا، فلم ننزل بلدة إلا أفسح أهلها لنا، فنقيم معهم حتى نرسل رُوَّاداً فيرتادوا لنا بلداً يحملنا، فأفسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح، ونرسل رُوّاداً إلى الشام وإلى الشرق فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيراً.

فأبت ذلك جُرْهم إباء شديداً؛ واستكبروا في أنفسهم، وقالوا: لا والله، ما نحب أن ينزلوا فيضيقوا علينا مرابعنا ومواردنا، فارحلوا عنا حيث أحببتم، فلا حاجة لنا بجواركم.

فأرسل إليهم: إنه لا بد من المقام بهذا البلد حولاً حتى ترجع إليَّ رسلي التي أرسلت، فإن أنزلتموني طوعاً نزلت وحمدتكم

---

(١) الذر: صغار النمل.

(٢) قلعية: نسبة إلى قلعة، وهي بلد بالهند، إليها ينسب الرصاص والسيوف.

وآسَيْتُكم[١] في الرعي والمـاء، وإن أبيتم أقمت على كرهكم، ثم لم ترتعوا معي إلا فضلاً، ولا تشـربوا إلا رَنْقاً[٢]، وإن قاتلتموني قاتلتكم، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء، وقتلت الرجال، ولم أترك منكم أحداً ينزل الحرم أبداً.

فأبت جُرهـم أن تنزله طوعاً، وتهيَّأت لقتاله، فاقتتلوا ثلاثة أيام أفرغ عليهم فيها الصبـر، ومنعوا النصر، ثم انهزمت جُرْهم، فلم يفلت منهم إلا الشديد، وكان مضاض بن عمرو قد اعتزل حربهم، ولم يعنهم في ذلك وقال: قد كنت أحذركم هذا.

ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قَنَوْنى[٣] وما حوله.

فلما حازت خزاعة أمر مكة، وصاروا أهلها جاءهم بنو إسماعيل ـ وقد كانوا اعتزلوا حـرب جُرْهم وخزاعة، فلم يدخلوا في ذلك ـ فسـألوهم السـكني معهم وحولهم، فأذنوا لهم، فلما رأى ذلك مضاض ـ وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة أمر عظيم ـ أرسـل إلى خزاعة يستأمنها، ومتَّ إليهم برأيه وتوريعه[٤] قومه عن القتال، وسوء العشرة في الحرم، واعتزاله الحرب، فأبت خزاعة أن يقرُّوهم ونفوهم عن الحرم وقالوا: من دخله منهم فدمه هدر[٥].

---

(١) آسيتكم: شاركتكم.

(٢) الرنق: الكدر من الماء.

(٣) قنونى: واد يصب في البحر في أوائل أرض اليمن.

(٤) التوريع: الكف عن الشيء.

(٥) أي: باطل ليس فيه قود.

فنزعت إبل لمضاض من قنونى تريد مكة، فخرج في طلبها حتى وجدها قد دخلت مكة، فمضى إلى الجبال نحو أجياد حتى ظهر على أبي قبيس يتبصّر الإبل في بطن وادي مكة، فأبصر الإبل تنحر وتؤكل لا سبيل لها إليها، فخاف إن هبط الوادي أن يُقتل، فولى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول:

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون إلى الصفا
أنيسٌ ولم يَسْمُر بمكة سامرُ
ولم يتربعْ واسطاً فجنوبه
إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضرُ
بلى نحن كنَّا أهلها فأبادنا
صروف الليالي والجدود[1] العواثِرُ
وأبدلنا رَبِّي بها دارَ غُرْبة
بها الذئب يعوي والعدوُّ المُخامِرُ
أقول إذا نام الخليُّ ولم أنم
أذا العرش لا يَبْعد سهيلٌ وعامرُ[2]
وبدِّلتُ منهم أوْجُهاً لا أريدها
وحِمير قد بدلتها واليُحابرُ[3]
فهل فرجٌ آت بشيء تحبُّه
وهل جزعٌ منجيك مما تحاذرُ

(١) الجدود: الحظوظ.
(٢) أذا العرش: أي ياذا العرش.
(٣) يحابر: اسم قبيلة.

ضَيّعني صغيراً، وحَمَّلني دمه كبيراً

كان حُجر في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقتة، فَغَبَر[١] ذلك دهراً، ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يجبيهم، فمنعوه ذلك ـ وحُجر يومئذ بتهامة ـ وضربوا رسله، وضرجوهم[٢] ضَرْجاً شديد قبيحاً.

فبلغ ذلك حُجراً فسار إليهم بجند من ربيعة وقيس وكنانة، فأتاهم وأخذ سراتهم، فجعل يقتلهم[٣] بالعصا، وأباح الأموال، وصيرهم إلى تهامة، وآلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبداً، وحبس منهم عمرو بن مسعود الأسدي، وكان سيداً وعبيد بن الأبرص الشاعر، فسار بنو أسد ثلاثاً.

ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال: أيها الملك؛ اسمع مقالتي:

يا عَينُ فابْكي ما بني أسد فهم أهل النَّدامهْ

أهل القِباب الحمر والنَّـ ـهَمِ المؤبّل[٤] والمُدامَهْ

(١) غبر: لبث وبقي.

(٢) ضرجه: أدماه.

(٣) سموا لذلك عبيد العصا.

(٤) المؤبل: المقتنى.

وذوي الجياد الْجُرْدِ والْـ
ـأسْلِ الْمُثَقَّفَةِ المقامَهْ
حِلاًّ [1] أبيت اللعن حِلاًّ
إن فيما قلتَ آمَهْ [2]
في كل وادٍ بين يثـ
ـرب فالقصور إلى اليمامهْ
تَطْرِيبُ عانٍ أو صياحِ
مُحَرِّقٍ أو صوتُ هامَهْ
ومنعتَهم نجداً فقد
حَلُّوا على وجَلٍ تِهامَهْ
بَرِمَتْ بنو أسد كما
بَرِمَتْ ببيضتها الحمامَهْ
جعلَتْ لها عُودين مِنْ
نَشَمٍ وآخر من ثُمَامَهْ [3]
إما تركت تركت عَفْـ
ـواً أو قتلتَ فلا مَلاَمَهْ
أنت المليكُ عليهمُ
وهم العبيدُ إلى القيامَهْ
ذَلّوا لسَوْطِكَ مثلَ ما
ذلّ الأُشَيْقِر [4] ذو الخِزامَهْ

(١) حلا: أي: تحلل من يمينك.
(٢) الآمة: العيب.
(٣) النشم: شجر جبلي تتخذ منه القسي، والثمامة: نبت بالبادية.
(٢) الأشيقر: تصغير الأشقر: الأحمر من الدواب، والخزامة: حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يُشد بها الزمام.

فَرَقَّ لهم حُجر حين سمع قوله؛ فبعث في أثرهم فأقبلوا، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم[١] فقال لبني أسد: من الملك الأصهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الرَّبْرَب[٢]، لا يعلق رأسه الصخب! هذا دمه ينثعب[٣]، وهذا غداً أول من يُسْلب.

قالوا: مَنْ هو؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية، لأخبرتكم أنه حُجرضاحية.

فركبوا كل صعب وذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حُجر فهجموا على قبته، وهزموا أصحابه وأسروه فحبسوه، وتشاور القوم في قتله، فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا رأيهم فيه: أي قوم! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم.

فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله؛ فلما رأى ذلك علْباء بن الحارث الكاهليّ خشي أن يتوا كلوا في قتله، فدعا غلاماً من بني كاهل ـ وكان ابن أخته[٤] ـ فقال: يا بنيَّ؛ أعندك خير فتثأر بأبيك، وتنال شرف الدهر، وإن قومك لن يقتلوك!

فلم يزل بالغلام حتى حَرَّبه[٥]، ودفع إليه حديدة قد شَحذَها، وقال: ادخل عليه مع قومك، ثم اطعنه في مقتله.

---

(١) هو عوف بن ربيعة.

(٢) الربرب: القطيع من بقر الوحش.

(٣) ينثعب: يجري.

(٤) كان حجر قد قتل أبا زوج أخت علباء، وقيل بل كان حجر قتل أبا علباء نفسه.

(٥) حربه: حرشه.

فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها، ثم دخل على حُجر في قبَّته التي حبس فيها.

فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله، فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل: ثأرنا وفي أيدينا!

فقال الغلام: إنما ثأرت بأبي، فخلوا عنه.

وأقبل كاهنهم المزدجر فقال: أي قوم، قتلتموه! مُلك شهر، وذل دهر، أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبداً.

ولما طعن الغلام حُجراً ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له: انطلق إلى ابني نافع ـ وكان أكبر ولده ـ فإن بكي وجزع فالهُ عنه، واستقرهم واحداً واحداً، حتى تأتي امرأ القيس[1] ـ وكان أصغرهم ـ فأيُّهم لم يجزع، فادفع إليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي، وبيَّن في وصيته من قتله، وكيف كان خبره.

فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه، فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثم استقرأهم واحداً واحداً، فكلُّهم فعل ذلك، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد؛ فقال له: قُتل حُجر؛ فلم يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: اضرب فضرب، حتى إذا فرغ قال: ماكنت لأفسد عليك دَسْتك.

ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله، فأخبره، فقال: الخمر عليّ والنساء حرام، حتى أقتل من بني أسد مائة وأجُز نواصي مائة[2].

(١) أشهر شعراء العرب، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وقال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، ومات سنة ٨٠ ق. هـ.

(٢) يريد حتى أقتل منهم مائة وآسر مائة.

وكان امرؤ القيس قد طرده أبوه حُجر، وآلى ألا يقيم معه أنفة من قوله الشعر ـ وكانت الملوك تأنف من ذلك ـ فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذَّاذ[1] العرب، من طيئ وكلب وبكر بن وائل؛ فإذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج إلى الصيد فتصيد فأكل وأكلوا معه، وشرب الخمر وسقاهم وغنَّتْه قِيانهُ.

ولايزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير، ثم ينتقل عنه إلى غيره، فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمُّون من أرض اليمن، فقال:

تطاوَل الليل على دَمُّونْ
دمُّونُ إنا معشرٌ يمانونْ
وإنّا لأهلنا مُحِبُّونْ

ثم قال: ضيَّعني صغيراً، وحَمَّلني دمَه كبيراً. لا صحو اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمر، وغداً أمر. ثم قال:

خليليّ لا في اليوم مَصْحى لشارب
ولا في غد إذ ذاك ما كان يُشْربُ

ثم شرب سبعاً، فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً، ولا يشرب خمراً[2]، ولا يدَّهن بدُهن، ولا يصيب امرأة حتى يدرك بثأره؛ فلما جنه الليل رأى برقاً فقال:

---

(١) شذاذ العرب: الذين لم يكونوا في حيهم ومنازلهم.

(٢) وقد حرمها الإسلام بعد ذلك لما فيها من مفاسد ومضار على دين الإنسان وعقله، قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠ـ٩١].

أرِقـتُ لـبـرق بـلـيـل أهَـلْ
يـضـيءُ سـَنَـاهُ بـأعْـلـى الجَـبـلْ
أتـانـي حـديـثٌ فـكـذّبْـتُـه
بـأمـر تَـزَعْـزَعُ[1] مـنـه الـقُـلَـلْ
بـقـتـل بـنـي أسـد ربَّـهُـم
ألا كـلُّ شـيء سـواه جَـلَـلْ[2]
فـأيـن ربـيـعـة عـن ربِّـهـا
وأيـن تمـيـمٌ وأيـن الخَـوَلْ[3]
ألا يَـحْـضُـرون لـدى بـابـه
كـمـا يـحـضـرون إذا مـا أكَـلْ

وارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكراً وتغلب، فسألهم النصر، وبعث العيون على بني أسد، فلما كان الليل قال لهم علباء: يا معشر بني أسد، تعلمون والله أن عيون امرئ القيس قد أتتكم، ورجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة، ففعلوا.

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب، حتى انتهى إلى بني كنانة، وهو يحسبهم بني أسد، فوضع السِّلاح فيهم، وقال: يالثارات الملك! يالثارات الهُمام! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبيتَ اللّعن! لسنا لك بثأر، نحن من كنانة، فدونك ثأرك فاطلبهم، فإن القوم ساروا بالأمس.

---

(١) أصله: تتزعزع.

(٢) جلل: هين.

(٣) الخول: جمع خولي: وهو الراعي الحسن القيام على المال.

فتبع بني أسد، ففاتوه ليلتهم تلك، فقال:

أَلَا يـا لهـف هـنْـد إثْـرَ قَـوْم
هُـمُ كـانـوا الـشـقـاء فـلـم يُصَابُـوا
وقـاهـم جـدُّهُـم بـبـنـي أبـيـهـم
وبـالأشْـقَـيـن[١] مـا كـان الـعِـقَـابُ
وَأَفْـلَـتَـهُـنَّ عِـلـبـاء جَـريـضـاً[٢]
ولـو أدْرَكْـنَـهُ صَـفِـر الـوطـاب[٣]

وأدركهم ظهراً، وقد تقطعت خيله، وقطع أعناقهم العطش، وبنو أسد جامّون[٤] على الماء، فنهد إليهم فقاتلهم، حتى كَثُرتْ الجرحى والقتلى فيهم، وحجز الليل بينهم، وهربت بنو أسد.

فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم، وقالوا له: قد أصبت ثأرك، قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً، قالوا: بلى، ولكنك رجلٌ مشئوم وكرهوا قتالهم، وانصرفوا عنه، فمضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير.

فاستأجر من قبائل العرب رجالاً، فسار بهم إلى بني أسد، ومرَّ بتَبَالَة[٥] وبها صنم للعرب تعظمه، فاستقسم[٦] عنده بقداحِه، وهي

(١) الجد: الحظ، والأشقين: جمع أشقى، ويقصد بهم بني كنانة.

(٢) أي: بعد جهد ومشقة، والضمير في «أفلتهن» و«أدركنه» للخيل التي كروا بها عليهم.

(٣) صفر الوطاب، أي: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن.

(٤) أي: مجتمعون مستريحون.

(٥) موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة.

(٦) الاستقسام: طلب معرفة ما قسم للمرء مما لم يقسم، وقد جاء الإسلام بتحريمها في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

ثلاثة: الآمـر، والناهي، والمتربص، فأجالهـا فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها فكسـرها وضرب بها وجه الصنم، وقال: لو أبوك قتل ما عُقْتني، ثم خرج فظفر ببني أسد.

وألحَّ المنذر[١] في طلب امرئ القيس، ووجه الجيوش في طلبه من إياد وبهراء وتنوخ، وأمده أنو شروان بجيش من الأساورة فسرحهم فـي طلبه، فلم يكن لأمرئ القيس بهم طاقة، وتفرقت حمير ومن كان معـه عنه، فنجا فـي عصبة من بنـي آكل المرار، ونزل ببعض رؤساء القبائل يستجير بهم، وصار يتحول عنهم إلى غيرهم، حتى نزل برجل من بني فزارة، يقال له: عمرو بن جابر بن مازن، فطلب منه الجوار، حتى يرى ذات عيبه[٢].

فقال الفـزاري: يا ابن حجر، إني أراك فـي خلل من قومك، وأنا أنفس[٣] بمثلك من أهل الشـرف، وقد كدت بالأمس تؤكل في دار طيئ، وأهـل البادية أهل وبر، لا أهل حصون تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن ذوبـان من قيس، أفلا أدلك على بلد! فقد جئت قيصـر، وجئت النعمان؛ فلم أرَ لضيفٍ نازل ولا لمجْتَد[٤] مثله ولا مثل صاحبه.

---

(١) كانت في نفس المنذر موجدة على آل امرئ القيس؛ لأن الحارث جد امرء القيس زاحم المناذرة ملوك الحيرة عند كسرى في النيابة عنه على ملك الحيرة، وقت أن شجر الخلاف بين المناذرة وكسرى قباذ.

(٢) أي: ينظر في أمره، ويصلح من شأنه.

(٣) أنفس بك: أضن بك.

(٤) طالب عطاء.

قال: من هو وأين منزله؟ قال: السموأل بتيماء، وهو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عيبك، وهو في حصن حصين وحسب كبير.

فقال له امرؤ القيس: وكيف لي به؟ قال: أوصلك إلى من يوصلك إليه.

فصحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له: الربيع بن ضبع الفزاري، ممن يأتي السموأل فيحمله ويعطيه.

فلما صار إليه قال له الفزاري: إن السموأل يعجبه الشعر، فتعال نتناشد له أشعاراً؛ فقال امرؤ القيس: قل حتى أقول. فقال الربيع:

قل للمنية أي حين نلتقي
بفناء بيتك في الحضيض المزلق(١)
ولقد أتيت بني المُصَاض مفاخراً
وإلى السموأل زرته بالأبلق(٢)
فأتيت أفضل من تحمّل حاجة
إن جئته في غارمٍ أو مُرهق
عرفت له الأقوام كلَّ فضيلة
وحوى المكارم سابقاً لم يُسبق

فقال امرؤ القيس:

طرقتك هند بعد طول تجنب
وهنًا ولم تك قبل ذلك تَطْرُق

ثم مضى القوم حتى قدموا على السموأل فأنشده الشعر، وعرف

(١) المزلق: الموضع الذي لا تثبت عليه قدم.
(٢) الأبلق: حصن السموأل.

لهم حقهم، ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ليوصِّله إلى قيصر.

ومضى حتى انتهى إلى قيصر، فقبله وأكرمه، وكانت له عنده منزلة.

ثم إن قيصر ضم إليه جيشاً كثيفاً، فيه جماعة من أبناء الملوك، فلما فصل(١) قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قوم غدر، ولا تأمن أن يظفر بما يريد، ثم يغزوك بمن بعثت معه.

فبعث إليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب، وقال له: إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك؛ فإذا وصلتْ إليك فالبسها باليُمْن والبركة، واكتب إليّ بخبرك من منزلٍ منزل.

فلما وصلت إليه لبسها، واشتد سروره بها؛ فأسرع فيه السُّم وسقط جلده فقال:

لقد طمح الطَّمَّاح من بعد أرضه
ليلبسني مما يلبّس أبؤسا
فلو أنها نفسٌ تموت سوية
ولكنها نفسٌ تسَاقط أنفُسَا

فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضر بها فقال:

---

(١) فصل: رحل.

رب جفنة مثعَنْجِره[1]
وطعنة مسحَنْفِره[2]
تبقى غداً بأنقره

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك، فدفنت في سفح جبل يقال له: عسيب، فسأل عنها، فأخبر بقصتها، فقال:

أجارتنا إنَّ المزار قريب
وإني مقيمٌ ما أقام عسيبُ
أجارتنا إنا غريبان هاهنا
وكلٌّ غريب للغريب نسيبُ

ثم مات فدفن هناك.

* * *

(١) المثعنجرة من الجفان: التي يفيض ودكها.
(٢) مسحنفرة: متسعة.

يثأر لأبيه وجدّه

كان من حديث قيس بن الخطيم[١] أن جدَّه عديَّ بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر يقال له: مالك، وقتل أباه الخطيم بن عديّ رجلٌ من عبد قيس ممن يسكن هجر، وكان قيس يوم قُتل أبوه صبياً صغيراً، وقُتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدي، فخشيت أمُّ قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدِّه فيهلك.

فعمدت إلى كومة من تراب عند باب الدار، فوضعت عليها أحجاراً وجعلت تقول لقيس: هذا قبر أبيك وجدِّك، فكان قيس لا يشك في ذلك.

ونشأ أيِّداً[٢] شديد الساعدين؛ فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر؛ فقال له ذلك الفتى: والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدِّك لكان خيراً لك من أن تخرجها عليّ؛ فقال: ومن قاتل أبي وجدي؟ قال: سَلْ أمّك تخبرك.

فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض، وذبابه[٣] بين ثدييه؛ وقال لأمّه: أخبريني من قتل أبي وجدي! قالت: ماتا كما يموت

(١) قيس بن الخطيم: شاعر الأوس، وأحد صناديدها في الجاهلية، أدرك الإسلام وتريث في قبوله، ثم قتل قبل أن يدخل فيه، ونحو سنة٢ ق.هـ.

(٢) أيداً: شديداً قوياً.

(٣) ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

الناس، وهذان قبراهما بالفناء. فقال: والله لتخبرينني من قتلهما، أو لأتحملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، فقالت: أما جدُّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له: مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبد قيس ممن يسكن هجر.

فقال: والله لا أنتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدي؛ فقالت: يا بني إن مالكاً قاتل جدِّك من قوم خداش بن زهير ولأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر، فأته فاستشره في أمرك واستعنه يُعينك.

فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناضحه[١] وهو يسقي نخله، فضرب الجرير[٢] بالسيف فقطعه، فسقط الدلو في البئر، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرَارتْين[٣] من تمر، وقال: من يكفيني أمر هذه العجوز؟ ـ يعني أمّه ـ فإن متُّ أنفق عليها من هذا الحائط[٤] حتى تموت ثم هو له، وإنِ عشت فمالي عائد إلى وله منه ما شاء أن يأكل من ثمره، فقال رجل من قومه: أنا له، فأعطاه الحائط.

ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دلَّ عليه بمَرِّ الظهران[٥]، فسار إلى خبائه فلم يجده، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه، ثم نادى امرأة خداش: هل من طعام؟ فاطلعت إليه، فأعجبها جماله، وكان من أحسن الناس وجهاً؛ فقالت: والله ما عندنا من

(١) الناضح: البعير يستقى عليه الماء.

(٢) الجرير: الجبل.

(٣) الغرارة: الكيس.

(٤) الحائط: البستان.

(٥) الظهران: واد قرب مكة عند قرية يقال لها: «مر» تضاف إليه فيقال مرّ الظهران.

نُزْل[١] نرضاه لك إلا تمراً؛ فقال: لا أبالي، فأخرجي ما عندك؛ فأرسلت إليه بقُبَاع[٢] فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردَّ شِقَّها الباقي في القباع، ثم أمر بالقباع فأدخل على امرأة خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته.

ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس، فقال: هذا رجل مُتَحَرِّم[٣] و أقبل قيس راجعاً، فلما رأى خداش رجله وهو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفك؟ قالت: نعم؛ قال: كأن قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي؛ فلما دنا منه قرع طُنُبَ[٤] البيت بسنان رمحه، واستأذن، فأذن له خداش، فدخل إليه، فنسبه[٥] فانتسب، وأخبره بالذي جاء له، وسأله أن يعينه، وأن يشير عليه في أمره، فرحب به خداش، وذكر نعمة أبيه عنده، وقال: إن هذا الأمر مازلت أتوقَّعه منذ حين. فأما قاتل جدّك فهو ابن عم لي وأنا أعينك عليه، فإذا اجتمعنا في نادينا جلست إلى جانبه وتحدثت معه، فإذا ضربت فخذه فثب إليه فاقتله.

قال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لمَّا جالسه خداش، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له: ذو الخِرصين؛ فثار إليّ القوم ليقتلوني، فحال خداش بينهم وبيني،

---

(١) النزل: ما يهيأ للضيف من قرى.
(٢) القباع: المكيال الضخم.
(٣) متحرم: له عندنا حرمة وذمة.
(٤) الطُنب، الحبل تشد به الخيمة ونحوها، والجمع أطناب.
(٥) نسبه: طلب إليه أن ينتسب.

وقال: دعوه فإنه والله ما قتل إلا قاتل جده.

ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه، وانطلق مع قيس إلى العبدي الذي قتل أباه، حتى إذا كانا قريباً من هجر، أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دلَّ عليه قال له: إن لصاً من لصوص قومك عارضني فأخذ مني متاعاً. فسألت: من سيِّد قومه؟ فدلت عليك؛ فانطلق حتى تأخذ متاعي منه، فإن اتَّبعك وحده فستنال ما تريد منه، وإن أخرج معك غيره فاضحك، فإن سألك: ممَّ ضحكت؟ فقل: إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعت إذا دعيَ إلى اللص من قومه، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذه، هيبة له، فإن أمر أصحابه بالرجوع فذلك خير لك؛ وإن أبى إلا أن يمضوا معه فائتني به، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه.

ونزل خداش تحت ظل شجرة، وخرج قيس حتى أتى العبدي، فقال ما أمره خداش فأحفظه[1]؛ فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس، فلما طلع على خداش، قال له: اختر يا قيس؛ إما أن أعينك وإما أن أكفيك؛ قال: لا أريد واحدة منهما، ولكن إن قتلني فلا يُفْلِتَنَّكَ؛ ثم ثار إليه فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر؛ فمات مكانه.

فلما فرغ منه قال له خداش: إنا إن فررنا الآن طلبنا قومه، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله، فإنَّ قومه لا يظنون أنك قتلته،

---

(١) أحفظه: أغضبه.

وأقمت قريباً منه؛ ولكنهم إذا افتقدوه[١] اقتفوا أثره فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كل وجه، فإذا يئسوا رجعوا

قال: فدخلا في دارات من رمال هناك؛ وفقد العبدي قومه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلاً، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا فكان من أمرهم ما قال خداش، وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا، حتى أتيا منـزل خداش، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله، ففي ذلك يقول قيس:

تذكَّر ليلى حسنها وصفاءها
وبانت فما إن يستطيع لقاءها
ومثلكِ قد أصبيت ليست بكنَّة[٢]
ولا جارة أفضت إليّ خباءها
إذا ما اصطبحت أربعاً خط مئزري[٣]
وأتبعتُ دلوي في السماح رشاءها[٤]
ثأرْتُ عديًّا والخطيم فلم أضِعْ
وصيَّة أشياخ جُعلت إزاءها

* * *

(١) افتقدوه: طلبوه عند غيبته.

(٢) الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

(٣) يريد أنه إذا شرب أربعا اختال حتى جر ثوبه من الخيلاء.

(٤) يريد أنه بلغ في السماح منتهاه، يقال: أتبع الدلو رشاءها، وأتبع الفرس لجامها إذا بذل آخر مجهوده.

حذاء الطنبوري

كان في بغداد رجل اسمه أبو القاسم الطنبوري، وكان له مداس[١]، وهو يلبسه سبع سنين، وكان كلما تقطع منه موضع جعل مكانه رقعة إلى أن صار في غاية الثقل، وصار الناس يضربون به المثل.

فاتفق أنه دخل يوماً سوق الزجاج، فقال له سمسار[٢]: يا أبا القاسم، قد قدم إلينا اليوم تاجر من حلب، ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد، فاشتره منه، وأنا أبيعه لك بعد هذه المدة؛ فتكسب به المثل مثلين! فمضى واشتراه بستين ديناراً.

ثم إنه دخل إلى سوق العطارين؛ فصادفه سمسار آخر، وقال له: يا أبا القاسم، قد قدم إلينا اليوم من نصيبين[٣] تاجر، ومعه ماء ورد، ولعجلة سفره يمكن أن تشتريه منه رخيصاً، وأنا أبيعه لك فيما بعد، بأقرب مدة، فتكسب به المثل مثلين!

فمضى أبو القاسم، واشتراه أيضاً بستين ديناراً أخرى، وملأ به الزجاج المذهب وحمله، وجاء به فوضعه على رف من رفوف بيته في الصدر!

ثم إن أبا القاسم دخل الحمام يغتسل؛ ف قال له بعض أصدقائه:

(١) المداس كسحاب: الذي يلبس في الرجل.

(٢) السمسار: المتوسط بين البائع والمشتري.

(٣) قاعدة ديار ربيعة.

يا أبا القاسم؛ أشتهى أن تغير مداسك هذا! فإنه في غاية الشناعة! وأنت ذو مال بحمد الله! فقال له أبو القاسم: الحق معك؛ فالسمع والطاعة.

ثم إنه خرج من الحمام، ولبس ثيابه، فرأى بجانب مداسه مداساً آخر جديداً؛ فظن أن الرجل من كرمه اشتراه له؛ فلبسه، ومضى إلى بيته!

وكان ذلك المداس الجديد للقاضي، وقد جاء في ذلك اليوم إلى الحمام، ووضع مداسه هناك، ودخل يستحم!

فلما خرج فتش عن مداسه، فلم يجده؛ فقال: أمن لبس حذائي لم يترك عوضه شيئاً؟ ففتشوا؛ فلم يجدوا سوى مداس أبي القاسم! فعرفوه، لأنه كان يضرب به المثل.

فأرسل القاضي خدمه فكبسوا[1] بيته، فوجدوا مداس القاضي عنده؛ فأحضره القاضي، وضربه تأديباً له، وحبسه مدة، وغرمه بعض المال وأطلقه!

فخرج أبو القاسم من الحبس، وأخذ حذاءه، وهو غضبان عليه، ومضى إلى دجلة، فألقاه فيها؛ فغاص في الماء!

فأتى بعض الصيادين ورمى شبكته، فطلع فيها فلما رآه الصياد عرفه، وظن أنه وقع منه في دجلة! فحمله وأتى به بيت أبي القاسم؛ فلم يجده! فنظر فرأى نافذة إلى صدر البيت، فرماه منها إلى البيت، فسقط على الرف الذي فيه الزجاج، فوقع وتكسر

---

(١) كبس داره: هجم عليها واحتاط بها.

الزجاج وتبدد ماء الورد!

فجاء أبو القاسم ونظر إلى ذلك، فعرف الأمر، فلطم وجهه، وصاح يبكي، وقال: وافقراه أفقرني هذا المداس الملعون!

ثم إنه قام ليحفر له في الليل حفرة، ويدفنه فيها، ويرتاح منه؛ فسمع الجيران حس الحفر؛ فظنوا أن أحداً ينقب عليهم، فرفعوا الأمر إلى الحاكم؛ فأرسل إليه، وأحضره، وقال له: كيف تستحل أن تنقب على جيرانك حائطهم؟ وحبسه، ولم يطلقه، حتى غرم بعض المال!

ثم خرج من السجن ومضى وهو حردان[1] من المداس، وحمله إلى كنيف الخان، ورماه فيه فسد قصبة الكنيف؛ ففاض وضجر الناس من الرائحة الكريهة! وبحثوا عن السبب؛ فوجدوا مداساً فتأملوه؛ فإذا هو مداس أبي القاسم! فحملوه إلى الوالي، وأخبروه بما وقع؛ فأحضره الوالي ووبخه وحبسه، وقال له: عليك تصليح الكنيف! فغرم جملة مال، وأخذ منه الوالي مقدار ما غرم تأديباً له وأطلقه.

فخرج أبو القاسم والمداس معه، وقال ـ وهو مغتاظ منه ـ: والله ما عدت أفارق هذا المداس!

ثم إنه غسله وجعله على سطح بيته حتى يجف؛ فرآه كلب؛ فظنه رمة[2] فحمله وعبر به إلى سطح آخر، فسقط من الكلب على

---

(١) حردان: غضبان.

(٢) الرمة بالكسر: العظام البالية.

رأس رجل، فآلمه وجرحه جرحاً بليغاً، فنظروا وفتشوا لمن المداس، فعرفوا أنه لأبي القاسم!

فرفعوا الأمر إلى الحاكم؛ فألزمه بالعوض، والقيام بلوازم المجروح مدة مرضه، فنفد عند ذلك جميع ما كان له، ولم يبق عنده شيء!

ثم إن أبا القاسم أخذ المداس، ومضى به إلى القاضي، وقال له: أريد من مولانا القاضي أن يكتب بيني وبين هذا المداس مبارأة شرعية على أنه ليس مني ولست منه! وأن كلا منا بريء من صاحبه وأنه مهما يفعله هذا المداس لا أواخذ أنا به، وأخبره بجميع ما جرى عليه منه!

فضحك القاضي منه ووصله ومضى!

❋ ❋ ❋

قصة آخر نسور لقمان

واسمه (لُبد)، وكان لقمان ـ كما تقول الأسطورة ـ قد عُمِّر عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ فرخ النسر، فيحمله في جوبة في الجبل الذي هو في أصله، فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر، فإذامات أخذ آخر مكانه، حتى هلكت كلها إلا السابع أخذه فوضعه في ذلك الموضع، وسماه لُبَداً، وكان أطولها عمراً، فضربت العرب به المثل فقالوا: طال الأبد على لبد، قال الأعشى:

وأنت الذي ألهيت قيلا بكاسه
ولقمان إذ خيَّرت لقمان في العمر
لنفسك أن تختار سبعة أنسر
إذا ما مضى نسر خلوتَ إلى نسر
فعُمِّر حتى خال أن نسوره
خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

فعاش لقمان ـ زعموا ـ ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، قال النابغة:

أخنى عليها الذي أخنى على لُبَد

وقال لبيد:

ولقد جرى لبد فأدرك جريه
ريب المنون وكان غير مُثَقل

لما رأى لبدُ النسور تطايرت
رفع القوادم كالفقير الأعزل[١]
من تحته لقمان يرجو نهضه
ولقد يرى لقمان ألا يأتلي[٢]

هو لقمان بن عاديا بن لجين بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، والعرب تزعم أن لقمان خير بين بقاء سبع بَعَرات سمر، من أظب عُقر، في جبل وعر، لا يمسها القطر، وبين بقاء سبعة أنسر، كلما هلك نسر خلف بعده نسر، فاستحقر الأبعار واختار النسور، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له: يا عم ما بقي من عمرك إلا عمر هذا؟ فقال لقمان: هذا لبد، ولبد بلسانهم الدهر، فلما انقضى عمر لبد رآه لقمان واقعاً، فناداه: انهض لبد؛ فذهب لينهض فلم يستطع، فسقط ومات، ومات لقمان معه، فضرب به المثل، فقيل: «طال الأبد على لبد»، «وأتى أبد على لبد».

❊ ❊ ❊

(١) الفقير: الذي كسرت فقراته.
(٢) يأتلي: يقصر.

قصة نزار وأولاده

لما حضرت نزاراً الوفاةُ جمع بنيه: مضر وإياداً وربيعة وأنماراً، فقال: يا بني، هذه القبة الحمراء وكانت من أدم ـ لمضر، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة، وهذه الخادم ـ وكانت شمطاء ـ لإياد، وهذا البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون فأئتوا الأفعى الجرهمي، ومنزله بنجران، فتشاجروا في ميراثه، فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمي، فبيناهم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر أثر كلأ قد رعي فقال: إن البعير الذي رعى هذا لأعور، وقال ربيعة: إنه لأزور(١)، وقال إياد: إنه لأبتر(٢) وقال أنمار: إنه لشرود(٣)، فساروا قليلاً فإذا هم برجل ينشد جمله، فسألهم عن البعير؛ فقال مضر: أهو أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: أهو أزور؟ قال: نعم، وقال إياد: أهو أبتر؟ قال نعم، قال أنمار: أهو شرود؟ قال: نعم وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه. قالوا: والله ما رأيناه، قال: هذا والله الكذب، وتعلق بهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجران، فلما نزلوا نادى صاحب البعير: هؤلاء أخذوا جملي ووصفوا لي

---

(١) الأزور: من مال أحد جانبيه على الأخر.

(٢) الأبتر: المقطوع الذنب.

(٣) الشرود: النافر.

صفتــه، ثم قالوا: لــم نره، فاختصموا إلــى الأفعى، وهو حكم العرب؛ فقال الأفعى: كيف وصفتموه ولم تروه؟ قال مضر: رأيته رعى جانباً وترك جانباً فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدته، فعلت أنه أعور؛ لأنه أفسد بشدة وطئــه لازوراره، وقال إياد: عرفت أنه أبتر باجتماع بعره، ولو كان ذيالاً لمصع[1] به، وقال أنمار: عرفت أنه شــرود لأنه كان يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبث نبتاً، فعلمت أنه شرود، فقال الرجل: ليسو بأصحاب بعيرك فاطلبه، ثم سألهم: مــن أنتم؟ فأخبروه، فرحب بهم، فقال: أمحتاجون إليَّ وأنتم كما أرى؟ ثم أنزلهم فذبح لهم شاة وأتاهم بمدامة، وجلس لهم الأفعى حيث لا يرى وهو يســمع كلامهم، فقال ربيعة: لم أر كاليوم لحماً أطيب منه لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة! فقال مضر: لم أر كاليوم مدامــاً أطيب منها لولا أن حبلتها[2] نبتت على قبر، فقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً أسرى منه لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له! فقال أنمار: لم أر اليوم كلاماً أنفع في حاجتنا من كلامنا، وكان كلامهم بأذنه، فقال: ما هؤلاء إلا شياطين. ثم دعا القهرمان فقال: ماهذه المدامة؟ وما أمرها؟ قال: هي من حبلة غرســتها على قبر أبيك لم يكن عندنا شــراب أطيب من شــرابها، وقال للراعي: ما أمر هذه

---

(١) مصع به: رمى به.

(٢) الحبل: القضيب من شجر العنب.

الشاة؟ قال: هي عناق[١] أرضعتها بلبن كلبة، وذلك أن أمها كانت قد ماتت ولم يكن في الغنم شاة ولدت غيرها، ثم أتى أمه فسألها عن أبيه، فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال، وكان لا يولد له، قالت: فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك، فأمكنت من نفسي ابن عم له كان نازلاً عليه، فخرج الأفعى إليهم، فقص القوم عليه قصتهم وأخبروه بما أوصى به أبوهم، فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر، فذهب بالدنانير والإبل الحمر، فسمي «مضر الحمراء» لذلك، وقال: وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء أسود؛ فصار لربيعة الخيل الدهم، فقيل «ربيعة الفرس»، وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لإياد، فصار له الماشية البلق من الحبلق والنقد[٢]، فسمى «إياد الشمطاء»، وقضى لأنمار بالدراهم وبما فضل، فسمي «أنمار الفضل»، فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأفعى: إن العصا من العُصية، وإن خُشينا من أخشن، ومساعدة الخاطل تعد من الباطل، فأرسلهن مثلاً، خُشين وأخشن: جبلان أحدهما أصغر من الآخر، والخاطل: الجاهل، والخطل في الكلام: اضطرابه.

* * *

(١) العناق: الأنثى من المعز.

(٢) الحبلق: غنم صغار لا تكبر. والنقد: جنس من الغنم قبيح.

الفهرس

مقدمة ٣

أولاً: الأمثال

إِنَّ البُغاثَ بأَرضناَ يَسْتَنْسرُ ٧
إِنَّ وَرَاءَ الأكَمة ما ورَءَهاَ ٧
إِنَّ البلاء مُوَكَّلٌ بالمَنْطق ٧
إِنَّ النِّساء لَحْمٌ عَلَى وَضَم ٩
أَتَتْك بحائن رِجْلاهُ ١٠
أَنا ابْنُ بَجْدَتِها ١١
إذا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنْ ١١
إِنَّما أُكلْتُ يَوْمَ أُكِل الثَّوْرُ الأَبْيَضُ ١٢
أَناَ ابْنُ جَلاَ ١٣
أَناَ جُذَيْلُهاَ المُحَكَّكُ وَعُذَيْقُها المُرَجَّبُ ١٣
إِنَّهُ نَسيجُ وَحْده ١٤
أَكَلَ عَلَيْه الدَّهْرُ وَشَربَ ١٤
إِنَّهُ لَيَعْلَمُ منْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الكَتفُ ١٥
إِذَا زَلّ العالِمُ زَلَّ بزلّته عالَمٌ ١٥
أَناَ النَّذيرُ العُرْيانُ ١٦
إِيَّاك أَعْني وَاسْمَعي ياَ جارَهْ ١٧
إِنَّكَ لَتُكْثِرُ الحَزَّ وَتُخْطِئُ المَفْصِلَ ١٩

إنّ غداً لناظره قريبُ ١٩
إنّ أخاكَ مَنْ آساكَ ٢٣
ألا مَنْ يشْتَري سَهراً بنَوْم ٢٦
إنْ كُنْتَ كذُوباً فكُنْ ذَكوراً ٢٧
إذا ما القارظُ العَنَزيُّ آبا ٢٨
بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبى ٢٩
بَعْدَ اللّتيّا والّتي ٢٩
بيْنَهُمْ عِطْرُ مَنْشَمَ ٣٠
بَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ منْ بَعْضٍ ٣٠
باتَ فُلان يَشْوي القَراحَ ٣١
أبْصَرُ منْ زَرْقَاء اليمامَة ٣١
تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكُلُ بثَدْيَيْها ٣٢
تركْتُهُمْ في حَيْص بَيْص وحِيص بِيص ٣٥
تَطْلُبُ أثراً بعْدَ عَيْن ٣٥
تَسْمَعُ بالمُعَيْديِّ خيْرٌ منْ أنْ تَراهُ ٣٨
تَربَتْ يَداكَ ٤٢
جَرَى الْوَادي فطَمَّ عَلَى القَرِيِّ ٤٢
جَزاءَ سنمَّار ٤٢
جَعْجَعَةً ولاَ أرَى طِحْناً ٤٣
جَاءَ بالطِّمِّ والرِّمِّ ٤٣
جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعك ٤٤
جَاوَزَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ ٤٥
جَاءوا عَلَى بَكْرَة أبيهِمْ ٤٥
حَالَ الجَرِيضُ دُونَ القَرِيضِ ٤٦

حَنَّت وَلَاتَ هَنَّتْ وَأَنَّى لَكِ مَقْرُوعُ ٤٧
حَسْبُكَ مِنْ شَرّ سَمَاعُهُ ٥٠
حَدِيثُ خُرَافَةَ ٥٠
حَذْوَ القُذَّة بالْقُذَّة ٥٠
حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ ٥١
حَسْبُكَ مِنَ القِلادَة مَا أَحَاطَ بِالعُنُقِ ٥١
حَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ ٥١
حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ ٥٢
الحَرْبُ خُدْعَةَ ٥٢
الْحَدِيثُ ذُو شُجُون ٥٢
أَحَقُّ الْخَيْل بالرَّكْض الْمُعَارُ ٥٤
الْحُمَّى أَضْرَعَتْنِي لَكَ ٥٥
أَحَشَفاً وَسُوءَ كِيلَة ٥٦
الْحَقُّ أَبْلَجُ وَ البَاطِلُ لجلَجٌ ٥٧
أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً ما ٥٧
حتَّى يُؤَلِّفَ بَيْنَ الضَّبِّ والنُّونِ ٥٨
الْحَرْبُ سِجَالٌ ٥٨
الحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ٥٩
خَالِفْ تُذْكَرْ ٥٩
خَطْبٌ يَسِيرٌ فِي خَطْبٍ كَبِيرٍ ٦٠
خَلَا لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي ٦٧
خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ٦٨
الْخُنْفَسَاءَ إِذَا مُسَّت نَتَّنَتْ ٦٨
أَخْطَأَتِ اُسْتُهُ الْحُفْرَةَ ٦٨

الْخَيْرُ عَادَة، والشَّرُّ لَجَاجةٌ ٦٩
أَخْطَبُ مِنْ سَحْبان وَائِلٍ ٦٩
أَخْرَقُ مِنْ حَمَامَة ٧٠
أَخْيَبُ مِنْ حُنَيْن ٧٠
أَخْدَعُ مِنْ ضَبّ ٧٢
دُونَ ذَلِكَ خَرْطُ القَتَاد ٧٢
الدَّمَ الدَّمَ وَالهَدَمَ الهَدَمَ ٧٣
دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ في حُجُرَاتِهِ ٧٣
ذَهَبَ أَمْس بِمَا فيه ٧٤
ذَهَبُوا أَيْدِي سَبا، وَتَفَرَّقُوا أَيْدي سَبا ٧٥
ذَكَّرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِياً ٧٧
رَمَتْنِي بِدَائِهَا وانْسَلَّتْ ٧٨
رَمَاهُ الله بِثَالِثَة الأثافي ٧٨
أُريهَا السُّها وَتُرِيني القَمَرَ ٧٩
رُبَّ أخ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ ٧٩
رُبَّ عَجلَة تَهَبُ رَيْثاً ٨١
رَجَعْتُ أَدْرَاجِي ٨٢
رَضِيتُ مِنْ الغَنِيمَة بالإيابِ ٨٣
رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْن ٨٣
رُبَّ رَمْيَة مِنْ غَيْرِ رَام ٨٤
رضا الناس غَايَةٌ لا تُدْرَكُ ٨٥
أَرْسِلْ حَكِيماً وَلَا تُوصِه ٨٥
أُرِيدُ حِبَاءَه وَيُرِيدُ قَتْلي ٨٥
رُبَّ كَلِمةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي ٨٥

زَوْجٌ مِنْ عُود، خَيْرٌ مِنْ قُعودٍ ٨٦
زُرْغِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً ٨٨
سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ ٩٠
سَكَتَ ألفاً وَنَطَقَ خَلْفاً ٩١
أَساءَ سَمْعاً فأَساءَ جَابَةً ٩١
سُقِطَ فِي يَده ٩٢
سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ ٩٣
اسْعَ بِجَدِّكَ لا بَكَدِّكَ ٩٦
السَّعيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِه ٩٨
سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ ٩٨
شَرُّ السَّيْرِ الحَقْحَقَة ٩٨
شَرِقَ بالرِّيق ٩٩
شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَم ٩٩
شَقَّ فُلانٌ عَصاَ المُسْلمينَ ١٠٠
أَشأَمُ مِنْ غُرابِ البَيْنِ ١٠١
صَاحَتْ عَصَافِيرُ بَطْنِه ١٠٤
ضَرب أَخْمَاساً لأَسْدَاس ١٠٥
ضِغْثٌ عَلَى إِبّالَة ١٠٥
أَطْرِقْ كَرَا إِنَّ النَّعامَةَ في القُرى ١٠٦
أَطْمَعُ مِنْ أَشْعَبَ ١٠٧
عِنْدَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُرَى ١٠٩
عِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِينُ ١١٠
عَلَى يَدَيْ عَدْل ١١٣
عَلَى أَهْلِهَا تَجْني بَرَاقِشُ ١١٣

عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً ١١٤
أَعْطِ القَوْسَ بَارِيهَا ١١٥
عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ ١١٥
اعْقِلْ وَتَوَكَّلْ ١١٦
العَوْدُ أَحْمَدُ ١١٦
غَمَرَاتٌ ثُمَّ يَنْجَلِينَ ١١٨
غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ ١١٨
غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ ١٢٠
فِي الصَّيْفِ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ ١٢١
فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ ١٢٢
أَفْرِخْ رَوْعُكَ ١٢٣
قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ ١٢٤
قَلَبَ الأَمْرَ ظَهْراً لِبَطْنٍ ١٢٤
قَلَبَ لَهُ ظَهْرَ المِجَنِّ ١٢٤
قَدْ أَلْقَى عَصَاهُ ١٢٥
قَدْ قِيلَ ذلِكَ إِنْ حَقّاً وإِنْ كَذِباً ١٢٦
قَدْ حَمِيَ الْوَطِيسُ ١٢٩
اقْتُلُونِي وَمَالِكاً ١٢٩
القَوْلُ مَا قَالَتْ حَذَامِ ١٣٠
قَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيّاً ١٣٠
كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ ١٣١
كَالأَشْقَرِ إِنْ تَقَدَّمَ نُحِرَ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عُقِرَ ١٣١
كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ ١٣٢
كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ١٣٤

أَكْذب النَّفْس إذَا حَدَّثْتها ١٣٥
كالثَّوْر يُضْرَبُ لَمَّا عَافَت البَقَرُ ١٣٥
كلُّ شاة برِجْلها مُعَلَّقَةٌ ١٣٦
كَمُجير أمّ عَامر ١٣٧
كَيْفَ أعَاوِدُكَ وَهَذَا أثَرُ فَأسك ١٣٨
كالمُسْتَغيث منَ الرَّمْضاء بالنَّار ١٤٠
كَذي العُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتعٌ ١٤٠
لَوْ ذَاتُ سوار لطَمَتْني ١٤١
لَيْسَ الخبرُ كالمُعايَنَة ١٤١
لكُلِّ صارم نَبْوَة وَلكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَةٌ، وَلِكَلِّ عالِمٍ هَفْوَة ١٤٢
لكُلِّ سَاقطَة لاَقطَةٌ ١٤٢
لكنَّ حَمْزَة لاَبَواكي لَهُ ١٤٣
لَوْ غيرُ ذَات سِوَار لطَمَتِني ١٤٣
للْيَدَيْن وَللْفَم ١٤٤
لاَ عطْر بَعْدَ عَرُوس ١٤٤
لاَ تَعْدَمُ الحَسْنَاءُ ذَاماً ١٤٥
لاَ يُلْسَعُ المُؤْمنُ منْ جُحْر مَرَّتَيْنِ ١٤٦
لاَ في العير وَلاَ في النَّفير ١٤٦
لاَ تكُنْ حُلْواً فَتُسْتَرَط، وَلاَ مُرّاً فَتُعقَى ١٤٨
لا ينتطحُ فيه عنزان ١٤٩
لاَ تنْهَ عَنْ خُلق وَتَأتيَ مثْلَهُ ١٤٩
مَا يُقَعْقَعُ لَهُ بالشِّنَان ١٤٩
ماتَ حَتْفَ أنْفه ١٥٠
مَا يَوْمُ حَلِيمَة بِسِرٍّ ١٥٠

ما أَشْبَهَ اللَّيْلَة بِالْبَارِحَهْ ١٥٢
مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ ١٥٢
مَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً، ولا كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً ١٥٣
مَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ١٥٣
مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فما ظَلَمَ ١٥٤
مَن اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَمَ ١٥٥
مَوَاعِيدُ عُرْقُوب ١٥٦
مُكْرَةٌ أَخُوكَ لاَبَطَلٌ ١٥٧
مَنْ طَلَبَ شَيْئاً وَجَدَهُ ١٥٧
نَفْسُ عِصَام سَوَّدَتْ عِصَاماً ١٥٨
أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ ١٥٩
النَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ العَاجِلِ ١٦٠
وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَهْ ١٦٠
وَجَدْتُ النَّاس اُخْبر تَقْلُهُ ١٦٢
أَوْسَعْتُهُمْ سَبّاً وَأَوْدَوْا بِالإِبلِ ١٦٣
أوردها سعدٌ . . وسعدٌ مُشْتَمِل ١٦٤
وَيْلٌ لِلشَّجِي مِنَ الخَلِيِّ ١٦٤
هَنِيئاً مَرِيئاً غَيرَ داء مُخَامِرِ ١٦٦
هُمَا كَفَرَسَيْ رِهَانِ ١٦٦
هَمُّك مَا هَمَّكَ ١٦٧
هَلُمَّ جَرّاً ١٦٧
أَهْوَنُ مِنْ قُعَيْسٍ عَلَى عَمَّتِه ١٦٩
أَهْوَنُ مَنْ تَبَالَةً عَلَى الحَجَّاج ١٦٩
يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفوكَ نَفَخَ ١٧٠

الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ١٧٠
يَرْكَبُ الصَّعْبَ مَنْ لَا ذَلُولَ لَهُ ١٧٠

ثانياً: القصص

حرب البَسُوس ١٧٣
حرب دَاحِسَ والغبراء ١٧٧
ذكر الكُسَعي وندامته ١٧٩
ذكر ابن ظالم وظلمه ١٨٢
ذكر ربيعة بن مُكَدَّم حامي الظغينة ١٨٧
ذكر المتلمس وصحيفته ١٩٤
ذكر السَّموْأل ووفائه ٢٠٠
ذكر غِراب نوح وفِنْد وَبُطْئهما ٢٠٣
ذكر طَسْم وجَديس ومهلكهما ٢٠٥
ذكر بيهس وفرصته ٢٠٩
ذكر حاجب وقوسه ٢١٢
ذكر وافد المُحَرِّق ٢١٥
خبر خَنْدف وخرنق وفارعة ٢٢٠
ذكر حَجَّام ساباط ٢٢٨
ذكر بني أنف الناقة ٢٢٩
ذكر المحَلَّق ٢٣٥
ذكر بني العجلان وحط الهجاء لهم ٢٣٨
قوم عاد يستسقون بمكة ٢٤٠
مَكْرمة ٢٤٣
اختبار الأجواد ٢٤٧
إياس في مجلس القضاء ٢٤٩

من ذكاء إياس ٢٥٠
شب عَمْرو عن الطَّوْق ٢٥١
يَحْمي الصحاب إذا تكونُ كريهة ٢٥٤
تَنَصَّرَتِ الأشراف من عارِ لَطْمَةٍ ٢٥٨
يبيع اسمه ٢٦٥
قصة قبيلة جُرهم ٢٦٦
ضَيّعني صغيراً، وحَمَّلني دمه كبيراً ٢٧٠
يثأر لأبيه وجدّه ٢٨١
حذاء الطنبوري ٢٨٦
قصة آخر نسور لقمان ٢٩٠
قصة نزار وأولاده ٢٩٢
الفهرس ٢٩٥